الفصل الأول

أساسيات البحث.

المبحث الأول: المقدمة وأهمية البحث وأسباب اختياره.

المبحث الثاني: مشكلة البحث وأهدافه وأسئلته فروضه.

المبحث الثالث: منهج البحث وحدوده ووسائله وأدواته ومصطلحاته والدراسات السابقة ومساهمته في الفكر الإنساني وهيكله.

المبحث الأول: المقدمة وأهمية الموضوع وأسباب اختيــاره.

مقدمة:

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم.

قال تعالى: {يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ}(١)

وقال تعالى: {يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبًا ۝١} (٢)

وقال تعالى: {يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلاً سَدِيدًا ۝٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَـٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ۝٧١} (٣)

اللهم صلى على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم في العالمين إنك حميد مجيد.

أما بعد:

فإن من سنن الله في الدعوات أن يتعرض المؤمنون والداعون إلى الله للابتلاء وللامتحان وقد يشتد بهم البلاء إلى درجة الزلزلة.

---

(١) آل عمران، الآية: ١٠٢

(٢) النساء الآية: ١.

(٣) الأحزاب، الآيات: ٧٠ – ٧١.

فالإيمان ليس قولاً باللسان أو شعارات تطلق أو مظاهرات أو هتافات وحسب لكن لابد من الامتحان والابتلاء. ويقرر القرآن هذه الحقيقة قال تعالى: { الٓمٓ ﴿١﴾ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتۡرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمۡ لَا يُفۡتَنُونَ ﴿٢﴾ وَلَقَدۡ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۖ فَلَيَعۡلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعۡلَمَنَّ ٱلۡكَٰذِبِينَ ﴿٣﴾ }[1]

وقال تعالى: {أَمۡ حَسِبۡتُمۡ أَن تَدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ وَلَمَّا يَأۡتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوۡاْ مِن قَبۡلِكُمۖ مَّسَّتۡهُمُ ٱلۡبَأۡسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلۡزِلُواْ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصۡرُ ٱللَّهِۗ أَلَآ إِنَّ نَصۡرَ ٱللَّهِ قَرِيبٞ ﴿٢١٤﴾ }[2]

وقال تعالى: {وَلَقَدۡ كُذِّبَتۡ رُسُلٞ مِّن قَبۡلِكَ فَصَبَرُواْ عَلَىٰ مَا كُذِّبُواْ وَأُوذُواْ حَتَّىٰٓ أَتَىٰهُمۡ نَصۡرُنَاۚ وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِۚ وَلَقَدۡ جَآءَكَ مِن نَّبَإِيْ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ﴿٣٤﴾}[3]

ومن الرسل الذين كذبوا وأوذوا سيدنا إبراهيم عليه السلام فكان نموذجاً للدعاة إلى الله في الصبر وتحمل البلاء، ونموذجاً للرجل الذي تجرد لله واحتسب، فلم تزده الفتنة والمحنة إلا قوة وثباتاً حتى خلد الله ذكره في القرآن الكريم.

وتأكيداً لذلك أحببت أن أتناول بالدراسة هذا الموضوع (الابتلاءات في حياة الخليل إبراهيم عليه السلام وأثرها في الدعوة المعاصرة).

أسأل الله تبارك وتعالى أن يمهد لي الطريق ويوفقني لبلوغ المرام. وأن ينفع بهذا البحث الباحث والقارئ، وكل من اطلع عليه وأن يتقبله بقبول حسن، إنه ولى ذلك والقادر عليه، وصلى الله وبارك وأنعم على نبينا الكريم، وعلى آله وصحبه الطاهرين، وعلى من سلك مسلكه بإحسان إلى يوم الدين.

---

(١) العنكبوت الآية: ١ - ٣
(٢) البقرة الآية: ٢١٤
(٣) الأنعام الآية: ٣٤

أهمية البحث:

أولاً: تظهر أهمية هذا الموضوع في كونه متعلقاً بأبي الأنبياء وإمام التوحيد وأحد أولي العزم من الرسل الذيى ابتلي فصبرفهو نموذجاً للدعاة إلى الله في الصبر على الابتلاء والمحن.

ثانياً: ارتبط الموضوع بحقيقة وجود الإنسان وحياته ومستقبله بعد مماته بعموم الابتلاء لكل بشر وخاصة الدعاة إلى الله.

ثالثاً: كثرة الابتلاءات والمحن التي يتعرض لها الدعاة في هذه الأيام، فأبناء الدعوة اليوم يحاربون ويعتقلون ويسجنون.

رابعاً: صبر الدعاة على البلاء دعوة صامتة لهذا الدين وهي التي تدخل الناس دين الله، فإذا تأملنا في إبراهيم الخليل عليه السلام نجده نموذجاً للناس وللدعاة إلى الله خاصة في الصبر على الابتلاءات والمحن.

أسباب اختيار الموضوع:

اخترت هذا الموضوع لإبراز ما يتمتع به سيدنا إبراهيم عليه السلام من منزلة رفيعة عند المسلمين وكذلك إظهار الصفات الجليلة التي تحلى بها إبراهيم عليه السلام وأيضاً الرغبة الشديدة في خدمة القرآن الكريم والسنة والدفاع عنها.

المبحث الثاني: مشكلة البحث وأهدافه وأسئلته وفروضه.

مشكلة البحث:

الابتلاء سنة من سنن الله في الدعوات، والصراع قائم بين الحق والباطل إلى أن تقوم الساعة إذن فالدعاة مبتلون لا محالة طالما أن الصراع قائم.

إلا أن هناك فهم خاطئ يقع فيه البعض وهو أن الابتلاءات والمحن إنما هي ضربات قاصمة أو قاضية أو مقعده وأنها بمثابة هدم لكل ما تم بناءه مما يثبط الهمم في بذل أي جهد ما دامت النتيجة هكذا. هدم لما يقوم به من بناء.

وهنا يطرح سؤال ما هي الآثار المستفادة من ابتلاء إبراهيم الخليل عليه السلام في سير الدعوة إلى الله تعالى.

لذى يرغب الباحث في عرض ابتلاءات سيدنا إبراهيم عليه السلام ودورها في الدعوة المعاصرة نموذج للدعاة في وقتنا الحاضر وما يجني من فوائد الدعوة والدعاة.

أهداف البحث:

١) شرف التعلق بكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم دراسة وفهماً وتفسيراً.
٢) التواصل مع كتب التراث من خلال البحث في كتب: التفاسير – العقيدة – الحديث – الدعوة – والتاريخ الإسلامي – التراجم.
٣) التعرف على الابتلاءات التي تعرض لها سيدنا إبراهيم عليه السلام والفوائد الدعوية من هذا الابتلاء.
٤) معرفة فضائل وصفات سيدنا إبراهيم عليه السلام.
٥) الدروس والعبر المستفادة من حياة الخليل إبراهيم عليه السلام.

أسئلة البحث:

١) من هو سيدنا إبراهيم عليه السلام؟ وأين توفى؟
٢) ما هي فضائل وصفات سيدنا إبراهيم عليه السلام؟
٣) ما مفهوم الابتلاء؟ وما الحكمة منه؟
٤) ما هي الابتلاءات التي تعرض لها إبراهيم عليه السلام؟
٥) ما هي الدروس المستفادة من سيرة إبراهيم عليه السلام.

فروض البحث:

١) سيدنا إبراهيم عليه السلام هو أحد أولي العزم من الرسل وهو أبو الأنبياء لقد طاف عليه السلام في الآفاق يحمل رسالة ربه ويبلغها حتى توفاه الله ودفن في مدينة الخليل وعمره مائة وخمس وسبعون سنة.

٢) اتخذ الله إبراهيم عليه السلام خليلاً فهو إمام الحنفاء وصاحب قلب سليم.

٣) الابتلاء له معاني ودلالات ومن معاني الابتلاء الاختبار والامتحان.

٤) تعرض إبراهيم عليه السلام للابتلاءات عدة منها ابتلاء بإلقائه في النار وابتلاء بذبح ولده، وابتلاء بملك مصر.

٥) أهمية الدعوة إلى الله والثبات على دين الله والتضحية بالنفس والولد والشجاعة في الحق والبدء بدعوة الأقربين وألا يغتر الداعي إلى الله بعلمه.

المبحث الثالث: منهج البحث وحدوده ووسائله وأدواته.

منهج البحث:

المنهج الذي سوف يتبعه الباحث هو:

المنهج الاستقرائي: وذلك يتبع الموضوع من مظانه وجمع المعلومات المتعلقة به.

المنهج التحليلي: وذلك بتحليل ما تم استقراءه من أفكار وآراء بعد الوصول إلى النتائج المرجوة بحسب أهداف البحث:

١) عزو الآيات الواردة في البحث إلى مواضعها في القرآن الكريم بذكر اسم السورة ورقم الآية.

٢) عزو الأحاديث الواردة في البحث إلى مصادرها الأصلية مع ذكر اسم المرجع وتاريخ طباعته وإبراز ذلك في الهامش.

٣) بينت بعض الكلمات الغريبة الواردة في البحث.

المنهج الاستنباطي: من القرآن والسنة يستنبط الباحث عبر الابتلاءات في حياة الخليل إبراهيم عليه السلام ودورها في الدعوة المعاصرة وبالرجوع إلى مصادر البحث ما استطعت إلى ذلك سبيلا. والحرص على الأمانة العلمية في عزو الأقوال إلى قائلها وبذل الجهد من نقل قول كل قائل من مصدره قدر المستطاع.

المنهج التاريخي: وذلك بجمع الأدلة والحقائق من خلال النصوص التاريخية المتعلقة بموضوع الدراسة.

حدود البحث:

الحدود الموضوعية:

الابتلاءات التي تعرض لها نبي الله إبراهيم عليه السلام ودورها في الدعوة المعاصرة.

وسائل البحث وأدواته:

سوف يقوم الباحث باستخدام الأدوات الآتية:

١) أمهات كتب التفسير القديمة والحديثة.

٢) الرجوع إلى المصادر والمراجع المعتمدة مثل المعاجم– كتب التاريخ – كتب الدعوة – كتب السيرة.

٣) الرجوع إلى المكتبات والمواقع الإلكترونية.

٤) الدراسات والرسائل العلمية ذات الصلة بالموضوع.

مصطلحات البحث والدراسات السابقة ومساهمته في الفكر الإنساني وهيكله.

مصطلحات البحث:

- **الابتلاء:** لفظ الابتلاء مأخوذ من مادة (ب ل و) والتي تدل على نوع من الاختبار.

جاء في لسان العرب: بلوت الرجل بلو وبلاءً، وابتليته اختبرته، وبلاه يبلو بلواً إذ جربه واختبره [١].

وفي المعجم الوسيط: ابتلاه جرَّبه وعرفه، والبلاء المحنة تنزل بالمرء ليختبر بها [٢].

- **الدعوة لغة:** مشتقة من الفعل الثلاثي دعا يدعو دعوة، والاسم دعوة، والقائم بها يسمى داعية، والجمع دعاة: والدعوة: النداء والطلب والدعاء.

قال الزمخشري: دعوت فلاناً ويقال ناديته وصحت به. [٣]

- **المعاصرة: لغة:** مفاعلة من عاصر يعاصر. يقال: عاصر فلاناً لجأ إليه ولاذ به وعاش معه في عصر واحد. [٤]

والمعاصرة اصطلاحاً: هي أن يعيش المرء في عصره، عارف بزمانه مقبلاً على شأنه بأصالته آخذاً بمقتضيات عصره. [٥]

- **والدعوة المعاصرة:** هي تكافؤ الدعوة مع العصر الذي يعيش فيه بخيث تعالج واقعه وتلبي متطلباته. [٦]

---

(١) لسان العرب، ابن منظور ٨٣/١٤، دار صادر، بيروت، الطبعة الثالثة ١٤١٤هـ.

(٢) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية ٧١/١ تحقيق إبراهيم مصطفى وآخرون، الناشر دار الدعوة.

(٣) أساس البلاغة، أبو القاسم محمود بن عمر بن محمد بن عمر الخوارزمي الزمخشري، ١٨٩/١، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م، دار الفكر.

(٤)المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، تحقيق إبراهيم مصطفى – أحمد الزيات، الناشر دار الدعوة، ٦٠٤/٢.

(٥) أساليب الدعوة الإسلامية المعاصرة، د. أحمد بن ناصر بن عبد الرحمن العمار، دار إشبيليا للتوزيع والنشر، ١٤١٦هـ، ص ٣٦.

(٦) محمد أبو الفتح البيانوني، على الإنترنت، ١٤ مارس ٢٠١٦م.

الدراسات السابقة:

بعد البحث والتحري في المكتبات لم أجد دراسة سابقة تناولت ابتلاءات سيدنا إبراهيم عليه السلام ودورها في الدعوة المعاصرة.

ولكن وقعْتُ على بعض الرسائل العلمية التي تحدثت عن سيدنا إبراهيم عليه السلام وحصل أصحابها على درجة الماجستير أو الدكتوراه، منها ما تمكنت من الاطلاع عليه ومنها ما لم أتمكن من الاطلاع عليه فما تمكنت منه ما يلي:

الرسائل:

١/ الدراسة الأولى:

(استجابة دعوة سيدنا إبراهيم عليه السلام)، وهي عبارة عن رسالة ماجستير مقدمة من الطالبة سيدة أحمد عبد الله عثمان جامعة أم درمان الإسلامية كلية التربية قسم الدراسات الإسلامية ١٤٢٨ – ٢٠٠٧م.

أوجه الاتفاق:

اتفقت هذه الرسالة مع رسالتي في التعريف بسيدنا إبراهيم عليه السلام.

أوجه الاختلاف:

اختلفت هذه الدراسة مع دراستي في أنها تناولت فضل مكة وبيان حرمتها والمراحل التي مرَّ بها بناء البيت الحرام، ثم تناولت الأمن وأثره في نشر الدعوة والفقر وأثره في نشر الدعوة والرزق وأثره في نشر الدعوة، ثم تناولت الجانب الروحي والاجتماعي في الحج ولم تتعرض الباحثة لابتلاء سيدنا إبراهيم عليه السلام.

الدراسة الثانية:

(البعد العقدي في قصة إبراهيم مع قومه من خلال القرآن الكريم)، وهي عبارة عن رسالة ماجستير مقدمة من الطالبة فاطمة محمد أحمد قسم الله علي، من جامعة أم درمان الإسلامية كلية أصول الدين قسم العقيدة ١٤٣٤هـ –٢٠١٣م.

أوجه الاتفاق:

اتفقت هذه الرسالة مع رسالتي في التعريف بسيدنا إبراهيم عليه السلام.

أوجه الاختلاف:

اختلفت هذه الرسالة مع رسالتي من حيث تناولها معجزات سيدنا إبراهيم وفضل مكة وأثر البيت الحرام على العالم الإسلامي.

أما رسالتي فقد تناولت ابتلاءات سيدنا إبراهيم والفوائد الدعوية من حياة إبراهيم عليه السلام.

الدراسة الثالثة:

(إبراهيم عليه السلام في أسفار اليهود عرض ونقد)، وهي عبارة عن دراسة ماجستير مقدمة من الطالبة فاطمة بنت خالد رومان – جامعة أم القرى المملكة العربية السعودية كلية أصول الدين قسم العقيدة، إشراف أحمد عبد الرحيم ١٤٢١هـ.

أوجه الاتفاق:

اتفقت هذه الرسالة مع رسالتي بالتعريف بسيدنا إبراهيم وصفاته.

أوجه الاختلاف:

اختلفت هذه الرسالة مع رسالتي حيث تناولت هجرات سيدنا إبراهيم عليه السلام وتناولت أبناء إبراهيم عليه السلام، ودعوة إبراهيم في الأسفار اليهودية والتعريف بالأسفار اليهودية.

أما رسالتي فقد تناولت ابتلاءات سيدنا إبراهيم عليه السلام ودورها في الدعوة المعاصرة.

الدراسة الرابعة:

(إبراهيم الخليل في القرآن الكريم دراسة موضوعية)، وهي عبارة عن رسالة ماجستير مقدمة من الطالب قسطاس إبراهيم، جامعة الإيمان، اليمن، إشراف عبد الدائم القاضي، ١٤٢٠هـ، ٢٠٠٤م.

أوجه الاتفاق:

اتفقت هذه الدراسة مع دراستي في صفات سيدنا إبراهيم عليه السلام، وابتلاء ابراهيم عليه السلام بذبح ولده.

أوجه الاختلاف:

اختلفت هذه الرسالة مع رسالتي حيث تناولت بناء الكعبة ورفع إبراهيم لقواعد البيت ومعنى المعجزة وتناولت الإيمان بالرسل وبراءة سيدنا إبراهيم من اليهودية والنصرانية.

أما رسالتي فتناولت سيدنا إبراهيم عليه السلام ودورها في الدعوة المعاصرة.

الدراسة الخامسة:

(السمات العامة والخاصة لدعوتي إبراهيم ولوط عليهما السلام)، رسالة ماجستير، إعداد حسين علي القضاة، إشراف الدكتور عباس محجوب محمود، جامعة القرآن الكريم والعلوم الإسلامية، شعبة الدعوة ١٤١٧هـ -١٩٩٦م.

أوجه الاتفاق:

اتفقت هذه الرسالة مع رسالتي في حياة الخليل إبراهيم عليه السلام وابتلاءه بإلقائه في النار.

أوجه الاختلاف:

اختلفت هذه الرسالة معي حيث تناولت هجرة إبراهيم عليه السلام وبناء الكعبة، وقصة سيدنا لوط من حيث نشأته وهجرته والقوم الذين أرسل إليهم وأخلاقهم والعبرة من قصة لوط عليه السلام.

مساهمة البحث في الفكر الإنساني:

يسهم هذا البحث في توجيه الدعاة إلى الله وحثهم على الصبر وتحمل ما يقع عليهم من ابتلاءات وهم يسيرون في طريق دعوتهم إلى الله، كما يسهم أيضاً في بيان حقيقة ما وقع لسيدنا إبراهيم عليه السلام من ابتلاءات ومعرفة أنه لا يُمَكَّنْ الإنسان حتى يبتلى وكذلك مساهمته من حيث أنه يتعلق بأشرف علم وأفضل وظيفة وهي الدعوة إلى الله، تعالى لاستفادة الدعاة منها.

هيكـــل البحـــث:

اشتمل هذا البحث علي مقدمة وأربعة فصول وخاتمه علي النحو التالي:

الفصل الأول: **أساسيات البحث**؛ **وفيه أربعة مباحث**.

المبحث الأول: المقدمة وأهمية الموضوع وأسباب اختياره.

المبحث الثاني: مشكلة البحث وأهدافه وأسئلة فروضه.

المبحث الثالث: منهج البحث وحدوده ووسائله وأدواته ومصطلحاته والدراسات السابقة ومساهمته في الفكر الإنساني وهيكله.

الفصل الثاني: **حياة الخليل إبراهيم عليه السلام ووفاته وفضائله وصفاته ودعاؤه**.

المبحث الأول: حياة الخليل إبراهيم عليه السلام ووفاته.

المبحث الثاني: فضائل إبراهيم عليه السلام وصفاته.

المبحث الثالث: دعاء إبراهيم عليه السلام.

الفصل الثالث: **الابتلاء من سنن الدعوات**.

المبحث الأول: مفهوم الابتلاء والحكمة منه.

المبحث الثاني: صبر الدعاة على الابتلاء.

المبحث الثالث: فوائد الابتلاء.

الفصل الرابع: **الفوائد الدعوية من ابتلائه مع أبيه وملك مصر وولده والدروس المستفادة من سيرته**.

المبحث الأول: ابتلاء إبراهيم الخليل بأبيه وقومه.

المبحث الثاني: ابتلاء إبراهيم الخليل مع ملك مصر.

المبحث الثالث: ابتلاؤه بذبح ولده.

الخاتمة؛ **وتتضمن أهم النتائج والتوصيات**.

الفهـــــارس

١. فهرس: الآيات القرآنية.
٢. فهرس: الأحاديث النبوية.
٣. فهرس الأعلام.
٤. فهرس: المصادر والمراجع.
٥. فهرس: الموضوعات.

الفصل الثاني

حياة الخليل إبراهيم عليه السلام ووفاته وفضائله وصفاتُه ودعاؤه.

المبحث الأول: حياة الخليل إبراهيم عليه السلام ووفاته.

المبحث الثاني: فضائل إبراهيم عليه السلام وصفاته.

المبحث الثالث: دعاء إبراهيم عليه السلام.

المبحث الأول: حياة الخليل إبراهم عليه السلام ووفاته

التعريف بسيدنا إبراهيم عليه السلام:

اختلف العلماء في نسب إبراهيم عليه السلام فمنهم من قال هو إبراهيم بن تارح بن ناحور بن سروج بن رعو بن فالح بن عابر بن شالح بن ارفكشاذ بن سام بن نوح عليه السلام(١).

ومنهم من قال هو إبراهيم بن تارخ بن ناخور بن سَارُوغ " بن أرْغُو ابن فالح بن غابر بن شالخ بن قينان بن أرفخشَذَ بن سام بن نُوحٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ (٢).

وهذا النسب الذي ذكره المؤرخون نقلاً عن التوراة وأن اسم أبيه تارح.

وذكر الإمام الفخر الرازي أن والد إبراهيم كان تارحا وآزر عماً له، والعم قد يطلق عليه اسم الأب كما حكى الله عن أولاد يعقوب أنهم قالوا: {قَالُواْ نَعْبُدُ إِلَـٰهَكَ وَإِلَـٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَـٰعِيلَ وَإِسْحَـٰقَ }(٣)، ومعلوم أن إسماعيل كان عماً ليعقوب وقد اطلقوا عليه لفظ الأب (٤).

قال الضحاك عن ابن عباس: إن أبا إبراهيم لم يكن اسمه آزر وإنما كان اسم والد إبراهيم تارح.

وقال مجاهد والسدي: آزر صنم قلت كأنه غلب عليه آزر لخدمته ذلك الصنم (٥)

وقد ذكر الامام ابن الجوزي أن للعلماء في كلمة آزر أربعة أقوال:

أحدها: أنه اسم أبيه.

والثاني: أنه اسم صنم، فأما اسم أبي إبراهيم، فتارح، قاله مجاهد. فيكون المعنى: أتتخذ آزر أصناماً؟ فكأنه جعل أصناماً بدلاً من آزر، والاستفهام معناه الإنكار.

والثالث: أنه ليس باسم، إنما هو سبّ بعيب، وفي معناه قولان:

أحدهما: أنه المعوَّج، كأنه عابه بزيغه وتعويجه عن الحق، ذكره الفراء.

والثاني: أنه المخطئ، فكأنّه قال: يا مخطئ أتتخذ أصناماً؟ ذكره الزجاج.

---

(١) البداية والنهاية، ابن كثير تحقيق علي شيري- ط ١، دار احياء التراث ١٦٠/١ .

(٢) الكامل في التاريخ ٨٦/١ ابن الأثير - تحقيق عمر عبد السلام تدمري، الناشر الكتاب العربي – بيروت الطبعة الأولى ١٤١٧هـ ١٩٩٧م.

(٣) البقرة، الآية: ١٣٣.

(٤) مفاتيح الغيب الرازي، ٣٢/١٣، دار إحياء التراث العربي، بيروت الطبعة الثالثة ١٤٢٠هـ.

(٥) مختصر تفسير ابن كثير، محمد علي الصابوني ٥٩١/١ دار القرآن الكريم بيروت.

والرابع: أنه لقب لأبيه، وليس باسمه، قاله مقاتل بن حيان.

قال ابن الانباري: قد يغلب على اسم الرجل لقبه، حتى يكون به أشهر منه باسمه[١]

والأرجح والله أعلم من هذه الأقوال أن يكون آزر اسماً للأب وهذا النسب الذي ذكره المؤرخون نقلاً عن التوراة وأن اسم أبيه تارح غير دقيق لأن هذا التعريف نقله المؤرخون كما في التوراة فإن من المقطوع به عند المسلمين أن التوراة والإنجيل دخلهما تحريف وتبديل فلم يعد مجال للوقوف بما فيهما من نصوص [٢]

القرآن والسنة يذكران أن اسم أبيه آزر:

وإذا عدنا إلى كتاب الله وسنة رسوله نجد القرآن قد ذكر أن اسم أبيه آزر وهو الصحيح كما في قوله تعالى: {۞ وَإِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ ءَازَرَ} [٣]

لكن آزر اسم أعجمي، وهومشتق من آزر فلان فلانا إذا عاونه، فهو مؤازر قومه على عبادةالأصنام [٤].

وقد أخبرنا النبي صلى الله عليه وسلم أن والد إبراهيم هو آزر وذلك في الحديث الذي رواه البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " يلقى إبراهيم أباه آزر يوم القيامة، وعلى وجه آزر قترة وغبرة، فيقول له إبراهيم: ألم أقل لك لا تعصني، فيقول أبوه: فاليوم لا أعصيك، فيقول إبراهيم: يا رب إنك وعدتني أن لا تخزيني يوم يبعثون، فأي خزي أخزى من أبي الأبعد؟ فيقول الله تعالى: " إني حرمت الجنة على الكافرين، ثم يقال: يا إبراهيم، ما تحت رجليك؟ فينظر، فإذا هو بذبح ملطخ، فيؤخذ بقوائمه فيلقى في النار "[٥].

---

(١) زاد المسير في علم التفسير، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (المتوفى: ٥٩٧هـ، المحقق: عبدالرزاق المهدي، الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤٢٢ هـ

(٢) النبوة والأنبياء، محمد علي الصابوني، دار القلم دمشق، الطبعة الرابعة، ص ٢٠٣.

(٣) الأنعام، الآية: ٧٤.

(٤) تفسير القرطبي، ص ٢٢.

(٥) انظر فتح الباري بشرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني، المجلد السادس، ص ٣٧٨، دار الفكر للطباعة للنشر والتوزيع.

لقبه وكنيته:

لقب إبراهيم عليه السلام بالخليل كما قال الله عز وجل في كتابه الكريم: {وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبۡرَٰهِيمَ خَلِيلاً } [١].

أي أن الله امتن على إبراهيم بسلامة الفطرة والاعتقاد، وقوة العقل وصفاء الروح، وكمال المعرفة بالله، وشدة العزيمة وعلو الهمة في محاربة الوثنية والشرك، حتى صار من أولي العزم، فهو خليل الرحمن، عدو الشيطان.[٢]

ورد في السنة المطهرة عن الصحابي الجليل جندب رضي الله عنه أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول قبل أن يتوفى: (إن الله اتخذني خليلا كما اتخذ إبراهيم خليلا)[٣].

وسمي الخليل خليلا، لأن محبته تخلل القلب فلا تدع فيه خللا إلا ملأته.

وأنشد بشار:

قد تخللت سلك الروح مني * وبه سمي الخليل خليلا [٤]

كنيتـــه:

كان سيدنا إبراهيم عليه السلام يكنى أبا الضيفان. روي ابن عساكر عن عكرمة أنه قال: كان إبراهيم عليه السلام يكنى أبا الضيفان [٥] لأنه كان كريما سخياً مشهوراً بإكرام الضيف كما قال الله عز وجل: {هَلۡ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ضَيۡفِ إِبۡرَٰهِيمَ ٱلۡمُكۡرَمِينَ } [٦]

[٦]

مولده ووفاته:

اختلف العلماء في الموضع الذي ولد فيه سيدنا إبراهيم – عليه السلام – فقال بعضهم كان مولده بالسوس من أرض الأهواز، وقال بعضهم: كان مولده ببابل من أرض السواد بناحية كوثى، وقال بعضهم: كان مولده بالوركاء بناحية الزوابي وحدود كسكر، ثم

---

(١) سورة النساء، الآية: ١٢٥

(٢) تفسير المنير، ٢٨٧/٥ وهبة الزحيلي، دار الفكر المعاصر، دمشق- دمشق- الطبعة الثانية ١٤١٨م.

(٣) المستدرك على الصحيحين ٥٩٩/٢ للحاكم – تحقيق مصطفى عبد القادر – الناشر دار الكتب العلمية بيروت الطبعة الأولى، ١٤١١هـ - ١٩٩٠م.

(٤) الجامع لأحكام القرآن ٤٠٠/٥ القرطبي، تحقيق أحمد البردوني إبراهيم، الناشر دار الكتب المصرية الطبعة الثانية ١٩٦٤م.

(٥) البداية والنهاية، مرجع سابق ١٩٦٦/١ .

(٦) سورة الذاريات، الآية: ٢٤

نقله أبوه إلى الموضع الذي كان به نمرود من ناحية كوثى وقال بعضهم: كان مولده بحران، ولكن أباه تارخ نقله إلى أرض بابل [١].

والقول المعتمد عند أهل العلم أنه ولد ببابل وهذا هو الذي قاله ابن كثير في كتابه البداية والنهاية حيث قال وهذا هو الصحيح المشهور عند أهل السير والتواريخ والأخبار، وصحح ذلك الحافظ ابن عساكر عن ابن عباس قال: ولد إبراهيم بغوطة دمشق في قرية يقال لها برزة في جبل يقال له قاسيُون، ثم قال والصحيح أنه ولد ببابل.[٢]

زمان ميلاده عليه السلام:

أما زمان ميلاده – عليه السلام – فقد اضطربت الروايات في تعيينه. وقد روى عن ابن عباس رضي الله عنهما كلاماً في تحديد أزمنة ميلاد بعض الأنبياء عليهم السلام منهم إبراهيم، ولكن لا يطمئن إليه. ولكن أكثر المؤرخين يقدرون أنه عاش في الفترة الواقعة بين عامي (٢٠٠-١٧٠٠) قبل الميلاد والله أعلم[٣].

وفاة إبراهيم عليه السلام:

لقد انتقل إبراهيم عليه السلام إلى جوار ربه بعد هذه الحياة الحافلة بعبادة ربه، ودعوة قومه وأبيه إلى نبذ عبادة غير الله من الأوثان، وجاهد في سبيل ذلك جهاداً مضنياً، وصبر وصابر على لأواء الطريق وعلى أذى القريب والبعيد فما لانت له قناة وما هانت له عزيمة.

حقاً لقد كانت حياته حافلة بالأعمال الجليلة والصفات الحميدة والجود والكرم لمن يعرف ولمن لا يعرف.

وقد طاف في الآفاق يحمل رسالة ربه ويبلغها إلى كل من يلقاه وإلى حيث حل وارتحل، لقد قام بهذا الواجب مع أبيه ومع قومه ومع النمرود حاكم العراق وقام به حيث ارتحل من العراق إلى الشام وفلسطين، وحين انتقل من فلسطين إلى مصر وبعد عودته من مصر إلى فلسطين وبعد سفره بولده إسماعيل وأمه هاجر وزوجته إلى مكة وبناء البيت الحرام بمشاركة ولده إسماعيل وبعد استقراره في فلسطين حتى التحق بالرفيق

---

(١) تاريخ الطبري ص ٢٢٣، ابن جرير دار التراث بيروت الطبعة الثانية – الجزء الأول. انظر تاريخ ابن خلدون ٣٨/٢ تحقيق خليل شحادة، الناشر دار الفكر بيروت، الطبعة الثانية ١٤٠٨هـ ١٩٨٨م. وانظر الكامل في التاريخ ٨٦/١ ابن الأثير دار الكتاب العربي تحقيق عمر عبد السلام، الطبعة الأولى.

(٢) البداية والنهاية ، مرجع سابق ١٦١/١

(٣) دراسات تاريخية في القرآن الكريم، محمد بيومي مهران ص ١٢٣-١٢٧، نقلاً عن كتاب فقه دعوة الأنبياء في القرآن تأليف: أحمد البراء الأميري ص ١٤٤، دار السلام.

الأعلى[١]، فلما أراد الله تبارك وتعالى قبض روح إبراهيم عليه السلام أرسل إليه ملك الموت في صورة شيخ هرم.

قال الإمام الطبري: كان إبراهيم كثير الطعام يطعم الناس ويضيفهم، فبينما هو يطعم الناس إذا هو بشيخ كبير يمشي في الحرة، فبعث إليه بحمار فركبه حتى إذا أتاه أطعمه، فجعل الشيخ يأخذ اللقمة يريد أن يدخلها في فمه، فإذا دخلت جوفه خرجت من دبره وكان إبراهيم قد سأل ربه ألا يقبض روحه حتى يكون هو الذي يسأل الموت، فقال للشيخ حين رأى من حاله ما رأى: ما بالك يا شيخ تضع هذا؟ قال يا إبراهيم الكبر، قال: ابن كم أنت؟ فزاد على عمر إبراهيم سنتين! فقال إبراهيم: إنما بيني وبينك سنتان، فإذا بلغت ذلك صرت مثلك قال نعم، قال إبراهيم: اللهم اقبضني إليك قبل ذلك فقام الشيخ فقبض روحه، وكان ملك الموت [٢]. هذه القصة التي ذكرها الإمام الطبري والتي يحكيها أهل الكتاب عندما يتكلمون عن وفاة إبراهيم. والمحققون من المؤرخين لا يؤيدون مثل ذلك فإن ابن كثير يقول! إنها من الإسرائيليات ويقول الله أعلم بصحتها.

ويقول ابن الأثير وهذا عندي فيه نظر لأن إبراهيم لا يخلو أن يكون قد رأى من هو أكبر منه بسنتين أو أكثر من ذلك فإن من عاش مائتي سنة كيف لا يدري من هو أكبر منه بهذا القدر لغريب؟

ولكن هكذا روي. ثم يقول: إنه قد بلغه عمر نوح ولم يصبه مما رأى بذلك الرجل. ومن هذين التعليقين لمؤرخين من المؤرخين الإسلاميين نعلم أن هذه القصة وما على شاكلتها إنما هي من تلفيق الإسرائيليات مما لا يعتد به [٣].

ويذكر أنه توفى وعمره مائة وخمس وسبعون سنة وقيل مائتي سنة ودفن في مدينة الخليل التي سميت باسمه ونسب إليها [٤]

(١) مع الأنبياء في الدعوة إلى الله، محمد عبد القادر أبو فارس، ص ١٧٧، الناشر جمعية المحافظة على القرآن الكريم.
(٢) تاريخ الطبري، ابن جرير ص ٣١٢، ج١، دار التراث بيروت
(٣) انظر نظرات من أحسن القصص، محمد السيد الوكيل ص ٢٣٥
(٤) تاريخ الطبري ، ابن جرير، ص٣١٢ ومع الأنبياء في الدعوة إلى الله، محمد عبد القادر أبو فارس ص ١٧٧.

المبحث الثاني: فضائل وصفات سيدنا إبراهيم عليه السلام

لقد حبا الله سيدنا إبراهيم عليه السلام وخصه بفضائل حميدة وخصال جليلة سأتناول في هذا البحث جملة من هذه الصفات التي وردت في كتاب الله وسنة رسوله محمد صلى الله عليه وسلم لتكون نموذجاً للدعاة إلى الله في كل زمان ومكان. وقد سمى الله إبراهيم عليه السلام بشيخ الأنبياء وأبى الأنبياء، وهو نموذج للهداية والطاعة والشكر وهذه الصفات ينبغي أن يقتدي بها دعاة اليوم وهم ينطلقون بدعوتهم بين الناس على بصيرة وعلم كما قال الله عز وجل: {قُلۡ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِيۖ وَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ١٠٨} [1]

ومن أعظم فضائل وصفات سيدنا إبراهيم عليه السلام ما يلي:

أولاً: سيدنا إبراهيم أمة في رجل:

وصفه الله تبارك وتعالى بأنه عليه السلام أمة بقوله تعالى: {إِنَّ إِبۡرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةٗ قَانِتٗا لِّلَّهِ حَنِيفٗا وَلَمۡ يَكُ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ١٢٠ شَاكِرٗا لِّأَنۡعُمِهِۚ ٱجۡتَبَىٰهُ وَهَدَىٰهُ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ١٢١} [2]

ولو تدبرنا آيات القرآن لوجدنا أن سيدنا إبراهيم عليه السلام كان أمة في نفسه وفي بيته وفي مجتمعه وهو نموذج للهداية والطاعة والشكر والإنابة لله عز وجل. يقول الشهيد سيد قطب رحمه الله أنه يعدل أمة كاملة بما فيها من خير وطاعة وبركة ويحتمل أن يكون إماماً يقتدى به في الخير [3].

لفظ أمة يطلق في اللغة بإطلاقات متعددة منها:

١) الجماعة كما في قوله تعالى: {وَلَمَّا وَرَدَ مَآءَ مَدۡيَنَ وَجَدَ عَلَيۡهِ أُمَّةٗ مِّنَ ٱلنَّاسِ يَسۡقُونَ} [4] أي جماعة من الناس.

٢) الدين والملة والطريقة [5]، قال تعالى: أي على دين وملة.

---

(١) يوسف، الآية: ١٠٨

(٢) النحل، الآية: ١٢٠ - ١٢١

(٣) في ظلال القرآن للسيد قطب ، ص ٢٢٠١، المجلد الرابع، دار الشروق بيروت القاهرة.

(٤) القصص، الآية: ٢٣.

(٥) الكليات ١٨٢/١ الكفوي

٣) الحين والزمان[١] كما في قوله تعالى: {وَلَئِنْ أَخَّرْنَا عَنْهُمُ الْعَذَابَ إِلَىٰ أُمَّةٍ مَّعْدُودَةٍ}[٢]؛ أي إلى زمان معين.

والمراد بقوله تعالى: {إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً }؛ أي كان عنده من الخير ما كان عند أمة، أي جماعة كثيرة من الناس وهذا التفسير مروي عن ابن عباس. وقال مجاهد: وسمى عليه السلام أمة لانفراده بالإيمان في وقته مدة ما وفي صحيح البخاري أنه قال لزوجته سارة ليس على الأرض اليوم مؤمن غيري وغيرك.

ويصح أن يكون المراد بقوله تعالى: {إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً } إماماً يقتدي به في وجوه الطاعات وفي الوان الخيرات وفي الأعمال الصالحة وفي إرشاد الناس إلى أنواع البر[٣] قال تعالى: {۞ وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ۖ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا}[٤] ويقول الإمام الطبري إن إبراهيم خليل الله كان معلم خيرٍ يأتم به أهل الهدى[٥].
الهدى[٥].

فالأمة هو الرجل الجامع للخير قال عبد الله بن مسعود قال يرحم الله معاذ كان أمة قانتاً فقيل له يا أبا عبد الرحمن إنما ذكر الله بهذا إبراهيم عليه السلام، فقال ابن مسعود إن الأمة الذي يعلم الناس الخير[٦].

دعاة اليوم والاقتداء بإبراهيم عليه السلام:

فإن الدعوة إلى الله أمر جليل ودعامة عظيمة من دعائم ترسيخ المبادئ الحقة في المجتمع المسلم، ومن أهم طرق الدعوة إلى الله والتي يكون مردودها أوقع وأقوى في النفوس "القدوة الصالحة" والتي يرى فيها الناس واقعاً معاشاً للمبادئ التي يكون إليها القول فيها صنوا العمل.

فعلى الدعاة اليوم أن يقتدوا بسيدنا إبراهيم عليه السلام الذي كان أمه وحدة يدعوا إلى الله تعالى يعلم الناس الخير ويرشدهم إلى أنواع البر.

---

(١) الكليات ١٨٢/١ الكفوي، انظر المعجم الوسيط ٢٧/١ مجمع اللغة العربية.
(٢) هود، الآية: ٨
(٣) التفسير الوسيط للقرآن الكريم، محمد سيد طنطاوي ص ٢٥٧ جزء ٨، دار النهضة للطباعة.
(٤) البقرة، الآية: ١٢٤
(٥) انظر جامع البيان في تأويل القرآن – ابن جرير جزء ١٧، ص ٣١٦.
(٦) انظر المعجم الوسيط ٢٧/١، مجمع اللغة العربية الناشر دار الدعوة، تفسير القرطبي، ١٩٨، دار الكتب المصرية.

فهل قام دعاة اليوم بواجبهم نحو دعوتهم. فالله جعل أمة الإسلام أمة دعوة ورسالة نواصل المسير على منهاج النبوة وتبلغ الدعوة وتفهم الحجة قال تعالى: {وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ }(١)

إن من الوسائل المهمة في تبليغ الدعوة إلى الله وجذب الناس إلى الإسلام وامتثال أوامره واجتناب نواهيه، القدوة الطيبة للداعي وأفعاله الحميدة وصفاته العالية وأخلاقه الزاكية مما يجعله أسوة حسنة لغيره، يكون بها أنموذجاً يقرأ فيه الناس معاني الإسلام فيقبلون عليها وينجذبون إليها لأن التأثير بالأفعال والسلوك أبلغ وأكثر من التأثير بالكلام وحده، إن الإسلام انتشر في كثير من بلاد الدنيا بالقدوة الحسنة الطيبة للمسلمين التي كانت تبهر أنظار غير المسلمين وتحملهم على اعتناق الإسلام فالقدوة الحسنة التي يحققها الداعي بسيرته الطيبة هي في الحقيقة دعوة عملية للإسلام يستدل بها سليم النظر راجح العقل من غير المسلمين على أن الإسلام حق من عند الله (٢).

يقول الدكتور على عمر بادحدح تحت عنوان القدوة الحية والنموذج المتحرك: لا يخفى أبداً أثر القدوة فهي الصورة الحية للفكر، والتطبيق العملي للدعوة والتوضيح الجلي للحجة، ولا شك أنها من أعظم أسباب بذر المحبة في القلوب، ووجود القناعة في العقول، وكثير من المدعوين ينتفعون بالسيرة ولاسيما العامة وأرباب العلوم المعاصرة فإنهم ينتفعون من السيرة والأخلاق الفاضلة والأعمال الصالحة ما لا ينتفعون من الأقوال التي قد لا يفهمونها(٣).

ثانياً: القنوت:

وصف الله سيدنا إبراهيم عليه السلام بأنه قانتاً لله تعالى: {إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٠﴾ }(٤) ومعنى قانتاً لله مطيعاً له، خاضعاً لأوامره ونواهيه من القنوت وهو الطاعة مع الخضوع (١).

---

(١) آل عمران، الآية: ١٠٤

(٢) القدوة المبادئ ونماذج ٧/١ صالح بن عبد الله بن حميد، الناشر وزارة الأوقاف السعودية.

(٣) مقومات الداعية الناجح، ص ٣٢، على بادحدح، دار الأندلس الخضراء، الطبعة الأولى. انظر كتاب الندوة العالمية المتخصصة – قضايا الدعوة الإسلامية في السودان، ص ٢٠ – عدد فبراير ٢٠٠٨م.

(٤) النحل، الآية: ١٢٠.

وقال الضحاك: كل قنوت في القرآن يُعني به الطاعة وقنت لله يقنت: أطاعه ومنه قوله تعالى: { كُلٌّ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ } [٢] أي مطيعون [٣].

والقانت الذي يطيع الله ورسوله[٤]، والقنوت له معاني متعددة منها:

١- الدعاء: والمشهور في اللغة أن القنوت هو الدعاء وحقيقة القانت أنه القائم بأمر الله: فالداعي إذا كان قائماً، خص بأنه يقال له قانت لأنه ذاكر لله تعالى وهو قائم على رجليه، فحقيقة القنوت العبادة والدعاء لله عز وجل في حال القيام [٥].

٢- السكوت وإطالة القيام: ومن معاني القنوت السكوت عما لا يجوز التكلم به في الصلاة ويدل على ذلك ما روى عن زيد بن أرقم قال وكنا نتكلم في الصلاة حتى نزلت هذه الآية: {وَقُومُواْ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ } [٦]، فأمرنا بالسكوت ونهينا عن الكلام.

٣- وقيل القنوت طول القيام في الصلاة ويدل عليه ما روى عن جابر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (أفضل الصلاة طول القنوت) رواه مسلم.

٤- ومن القنوت طول الركوع والسجود وغض البصر والهدوء في الصلاة وخفض الجناح والخشوع فيها.

وكان العلماء إذا قام أحدهم يصلي يهاب الرحمن أن يلتفت أو يقلب الحصى أو يعبث بشيء أو يحدث نفسه بشيء من أمور الدنيا إلا ناسياً.

وقال ابن الإنباري: القنوت على أربعة أقسام. الصلاة وطول القيام وإقامة الطاعة والسكون[٧].

وقد كان سيدنا إبراهيم عليه السلام إبراهيم عليه السلام مطيعاً ربه أطاع ربه حينما أمر بذبح ولده وأطاع ربه في بناء البيت الحرام وأطاع ربه في كل أمر فاستحق أن يوصف بهذه الصفة ألا هي صفة القنوت لله.

ثالثاً: الحنيفية:

ذكر الله عز وجل الحنيفية في القرآن الكريم اثنا عشر مرة [١]:

---

(١)التفسير الوسيط، محمد سيد طنطاوي، مرجع سابق، ج٨، ص ٢٥٧.
(٢) البقرة، الآية: ١١٦
(٣) تاج العروس، ج٥، ص ٤٥، المرتضى الزبيري – دار الهداية.
(٤) موسوعة الصحيح الميسور من التفسير بالمأسور ص٢١٠، حكمت بن بشر بن ياسين، دار المآثر للتوزيع والنشر.
(٥) لسان العرب، الأفريقي، ج٢، ص ٧٤، دار صادر بيروت.
(٦) البقرة: ٢٣٨
(٧) لسان العرب مرجع سابق، جزء٢، ص ٧٣، دار صادر بيروت.

١- قال تعالى: {قُلۡ بَلۡ مِلَّةَ إِبۡرَٰهِـۧمَ حَنِيفٗا }[٢]

٢- قال تعالى: {مَا كَانَ إِبۡرَٰهِيمُ يَهُودِيّٗا وَلَا نَصۡرَانِيّٗا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفٗا مُّسۡلِمٗا }[٣]

٣- قال تعالى: {قُلۡ صَدَقَ ٱللَّهُۗ فَٱتَّبِعُواْ مِلَّةَ إِبۡرَٰهِيمَ حَنِيفٗا }[٤]

٤- قال تعالى: {وَمَنۡ أَحۡسَنُ دِينٗا مِّمَّنۡ أَسۡلَمَ وَجۡهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحۡسِنٞ وَٱتَّبَعَ مِلَّةَ إِبۡرَٰهِيمَ حَنِيفٗا }[٥]

٥- قال تعالى: {إِنِّي وَجَّهۡتُ وَجۡهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ حَنِيفٗا }[٦]

٦- قال تعالى: {قُلۡ إِنَّنِي هَدَىٰنِي رَبِّيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ دِينٗا قِيَمٗا مِّلَّةَ إِبۡرَٰهِيمَ حَنِيفٗا}[٧]

٧- قال تعالى: {وَأَنۡ أَقِمۡ وَجۡهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفٗا وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ }[٨]

٨- قال تعالى: {إِنَّ إِبۡرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةٗ قَانِتٗا لِّلَّهِ حَنِيفٗا وَلَمۡ يَكُ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ }[٩]

٩- قال تعالى: {ثُمَّ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ أَنِ ٱتَّبِعۡ مِلَّةَ إِبۡرَٰهِيمَ حَنِيفٗا }[١٠]

١٠- قال تعالى: {فَأَقِمۡ وَجۡهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفٗاۚ فِطۡرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيۡهَاۚ }[١١]

١١- قال تعالى: {حُنَفَآءَ لِلَّهِ غَيۡرَ مُشۡرِكِينَ بِهِۦ }[١٢]

١٢- قال تعالى: {وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ }[١٣]

---

(١) المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، محمد فؤاد عبد العاطي ص ٢٢، مكتبة الغزالي- دمشق.
(٢) البقرة، الآية: ١٣٥.
(٣) آل عمران، الآية: الآية: ٦٧
(٤) آل عمران، الآية: ٩٥
(٥) النساء، الآية: ١٢٥
(٦) الأنعام، الآية: ٧٩
(٧) الأنعام، الآية: ١٦١
(٨) يونس، الآية: ١٠٥
(٩) النحل، الآية: ١٢٠
(١٠) النحل، الآية: ١٢٣
(١١) الروم، الآية: ٣٠
(١٢) الحج، الآية: ٣١
(١٣) البينة، الآية: ٥

تعريف الحنيفية في اللغة:

قال الأزهري: في معنى الحنيفية لغة: الحنف ميل في صدر القدم، فالرجل أحنف والرِجلِ حنفاء، ويقال سمي الأحنف بن قيس لحنف كان في رجله[١].

وقال بن فارس : الحاء والنون والفاء أصل مستقيم وهو الميل: يقال للذي يمشي علي ظهور قدمية أحنف[٢]

والحنيف: الناسك والمختون والمستقيم الطريقة.

يقال: وهو يتحنف: أي يتحرى أقوى الطرق [٣].

سمي إبراهيم حنيفاً: لأنه حنف إلى دين الله وهو الإسلام والحنف الميل، ومنه رجل حنفاء ورجل أحنف، وهو الذي قدماه كل واحد منهما إلى أختها لأصبعها. قالت أم الأحنف:

والله ما حَنفَ برجْله *** ما كان في فتيانكم من مثله

وقال الشاعر:

وإذا حول الظل العيش رأينه *** حنيفاً وفي قرن الضحى يتنصر

أي: الحِرْباة تستقبل القبلة بالعشي والمشرق بالغداة وهي قبلة النصارى.

وقال قوم الحنف الاستقامة، فهي دين إبراهيم حنيفاً لاستقامته [٤]

والحنيف الذي يؤمن بالرسل كلهم أولهم وأخرهم [٥]

تعريف الحنيفية في الشرع:

قال الراغب الاصفهاني: الحنف هو ميل عن الضلال إلى الاستقامة. والحيف ميل عن الاستقامة الي الضلال.والحنيف هو المائل إلى ذلك، قال تعالى: {قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا } (٦) وقال وقال تعالى: {حَنِيفًا مُّسْلِمًا }[٧] وجمعه حنفاء قال عز وجل: {وَٱجْتَنِبُواْ قَوْلَ ٱلزُّورِ ﴿٣٠﴾ حُنَفَآءَ لِلَّهِ }[٨]، وتحنف فلان تحرى طريق الاستقامة[٩]

---

(١) تهذيب اللغة ٧١/٥ الأزهري، تحقيق محمد عوض مرعب، الناشر دار احياء التراث العربي بيروت الطبعة الأولى ٢٠٠١م.
(٢) مقاييس اللغة ١١٠/٢ ابن فارس تحقيق عبد السلام هارون، الناشر دار الفكر، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.
(٣) مجمل اللغة لابن فارس جزءاً، ص ٢٥٤ دار النشر مؤسسة الرسالة. انظر معجم مقاييس اللغة لابن فارس، دار الفكر، ص١١١.
(٤) تفسير القرطبي مرجع سابق، ج٢، ص ١٤٠.
(٥) فتح القدير للشوكاني، ج١، ص ١٧٣، دار بن كثير الطبعة الأولى.
(٦) النحل الآية: ١٢٠
(٧) آل عمران، الآية ٦٧.
(٨) الحج: ٣٠ - ٣١
(٩) المفردات في غريب القرآن ٢٦٠/١ الراغب الاصفهاني تحقيق صنوان عدنانالراودي، الناشر، دار القلم، الدار الشامية، دمشق بيروت الطبعة الأولى، وانظر تهذيب اللغة ٧١/٥.

وقال الشيخ عبد الرحمن السعدي رحمه الله: حنيفاً أي مائلاً عن الشرك إلى التوحيد وعن التوجه للخلق إلى الإقبال على الخالق [١]

والحنيف: المائل عن كل دين باطل إلى دين الحق [٢].

يقول الإمام القرطبي: في معنى قوله تعالى: {حَنِيفًا مُّسْلِمًا }[٣] قال مائلاً عن الأديان المكروهة إلى دين الحق دين إبراهيم عليه السلام [٤].

الحنيفية هي دين إبراهيم عليه السلام:

إذن فإن الحنيفية هي ملة الإسلام التي كان عليها إبراهيم عليه السلام. والأنبياء قبله وبعده وقد أمر الله عز وجل نبيه والمؤمنين باتباعها فقال سبحانه وتعالى: {فَٱتَّبِعُواْ مِلَّةَ إِبۡرَٰهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ } [٥]

وكان النبي صلى الله عليه وسلم على الحنيفية قبل الاسلام ولم يفعل شيئاً من أعمال الجاهلية وكان يتعبد على ملة إبراهيم عليه السلام وقد أخبر النبي صلى الله عليه وسلم أنه جاء بالحنيفية السمحة ففي الحديث الذي أخرجه الإمام أحمد عن أبي أمامة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «بعثت بالحنيفية السمحة» وأخرج أحمد أيضا، والبخاري في الأدب المفرد، وابن المنذر عن ابن عباس قال: «قيل: يا رسول الله! أي الأديان أحب إلى الله؟ قال: الحنيفية السمحة»[٦]

كان من دعاء النبي صلى الله عليه وسلم إذا أصبح وإذا أمسى: (أصبحنا على فطرة الإسلام وكلمة الإخلاص، وسنة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، وملة أبينا إبراهيم حنيفا مسلما، وما كان من المشركين إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين) [٧]

وكان صلى الله عليه وسلم إذا قام إلى الصلاة يدعو بهذا الدعاء: عن علي بن أبي طالب، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، أنه كان إذا قام إلى الصلاة، قال: «وجهت وجهي

---

(١) تسيير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان – السعودي جزء١، ص ٢٠٦ مؤسسة الرسالة – الطبعة الأولى.
(٢) السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير الخطيب الشربيني ج١، ص ٩٦، مطبعة بولاق القاهرة.
(٣) آل عمران، الآية: ٦٧.
(٤) تفسير القرطبي ١٣٩/٢ تحقيق أحمد المردوني، دار الكتب المصرية الطبعة الثانية.
(٥) سورة آل عمران، آية ٩٥.
(٦) فتح القدير للشوكاني، ج١، ص ١٧٣، دار ابن كثير الطبعة الأولى.
(٧) مسند أحمد ٨١/٣٥ حديث رقم ٢١١٤٤

للذي فطر السماوات والأرض حنيفا، وما أنا من المشركين، إن صلاتي، ونسكي، ومحياي، ومماتي لله رب العالمين، لا شريك له، وبذلك أمرت وأنا من المسلمين[١].

وبعد النقول يتضح لنا أن سيدنا إبراهيم عليه السلام قد ترك الشرك ومال إلى دين الحق وهو الإسلام الذي ارتضاه الله للناس جميعاً.

رابعاً: البراءة من الشرك:

قال تعالى: {قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِيٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُواْ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُاْ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَآ أَمْلِكُ لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ ۖ رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٤﴾ }(٢)

إن نبي الله إبراهيم عليه السلام، كان قوياً في الحق شديداً على أهل الضلال أياً كانت مكانتهم منه فلقد تبرأ من أقرب الناس إليه وهو أبوه قال لأبيه: {إِنِّيٓ أَرَىٰكَ وَقَوْمَكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٧٤﴾ }[٣] وقال تعالى: {وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ }[٤]

لقد تبرأ إبراهيم عليه السلام من دين الآباء ولم تمنعه الأبوة من أن ينكر على أبيه عبادة الأصنام لترى أنه لم يكن من الأدب مع الآباء تركهم وماهم فيه من باطل تأدباً معهم ولئن كان ذلك مغضباً للآباء فهو مرض للرب وحق الله فوق حق الأبناء [٥].

قال تعالى: {يَٰٓأَبَتِ لَا تَعْبُدِ ٱلشَّيْطَٰنَ ۖ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ عَصِيًّا ﴿٤٤﴾ يَٰٓأَبَتِ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَٰنِ وَلِيًّا ﴿٤٥﴾ }[٦]

ولقد تبرأ إبراهيم من أبيه عندما تبين أن أباه عدوٌ لله لا رجاء في هداه. لقد كان استغفار إبراهيم لأبيه بسبب وعده له أن يستغفر له لعل الله يهديه قال تعالى: {سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّىٓ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ بِى حَفِيًّا }[٧] فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه وذلك أن بعض

(١) صحيح مسلم ٥٣٤/١ حديث رقم ٧٧١ الحيث رواه أبي بن كعب رضي الله عنه
(٢) الممتحنة، الآية: ٤
(٣) الأنعام، الآية: ٧٤
(٤) الزخرف، الآية: ٢٦
(٥) من نور الإسلام ٤٥٤، ج٤ محمد أبو ريه دار التوزيع للنشر الإسلامية
(٦) مريم: ٤٤ - ٤٥
(٧) مريم، الآية: ٤٧

المؤمنين كانوا يدعون لآبائهم الذين ماتوا على الشرك ويستغفرون لهم ويقولون أن إبراهيم كان يستغفر لأبيه [1]، فأنزل الله عز وجل: {وَمَا كَانَ ٱسۡتِغۡفَارُ إِبۡرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوۡعِدَةٖ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوّٞ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنۡهُۚ إِنَّ إِبۡرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٞ ١١٤ }[2]

قال مجاهد: نهو أن يتأسوا باستغفار إبراهيم لأبيه فيستغروا للمشركين [3]

والبراء هو التخلي والمفاصلة والكره لأعداء الله وإن كان أقرب الناس فهي البراءة من القوم ومعبوداتهم وعبادتهم وهو الكفر بهم والإيمان بالله وهي العداوة والبغضاء لا ينقطع حتى يؤمن القوم بالله وحده وهي المفاصلة الحاسمة الجازمة التي لا تستبقي شيئاً من الوشائج والأواصر بعد انقطاع وشيجة العقيدة وآصرة الإيمان. وفي هذا فصل الخطاب في مثل هذه التجربة التي يمر بها المؤمن في أي جيل. وفي قرار إبراهيم والذين معه أسوة لخلفائهم من المسلمين إلى يوم الدين.[4]

خامساً: شاكر لأنعمه:

الشكر: لغة مصدر شكر وهو مأخوذ من مادة "ش ك ر" التي تدل على الثناء على الإنسان بمعروف يولِيكَهُ [5].

قال الأزهري: الشكر لا يكون إلا ثناء ليد أوليتها [6].

واصطلاحاً: قال الكفوي: الشكر كل ما هو جزاء للنعمة عرفاً وقال أصل الشكر تصور النعمة واظهارها والشكر من العبد الإحسان ومن الله المجازاة والثناء الجميل [7] إذا الشكر عبارة عن معروف يقابل النعمة سواء كان باللسان أو باليد أو بالقلب، وقيل: هو الثناء على المحسن بذكر إحسانه فالعبد يشكر الله أي يثني عليه بذكر احسانه الذي هو نعمة[8].

يقول الإمام بن القيم مقام الشكر جامع لجميع مقامات الإيمان ولذلك كان أرفعها وأعلاها، وهو فوق الرضا[9].

---

(1) مختصر ابن كثير، مرجع سابق ، تحقيق محمد الصابوني، دار القرآن الكريم، ٤٣٨/٢.
(2) التوبة، الآية: ١١٤.
(٣) تفسير مجاهد، تحقيق: محمد عبد السلام أبو النيل، دار الفكر الحديث، ١/ ٦٥٥.
(٤) في ظلال القرآن ٣٥٤٢/١ سيد قطب، دار الشروق.
(٥) نضرة النعيم، مرجع سابق ص ٢٣٩٣.
(٦) تاج العروس، محمد بن محمد الملقب بمرتضى الزبيري – مجموعة من المحققين، ج٨، ص ٣٨.
(٧) نضرة النعيم مرجع سابق، ص ٢٧٩٣.
(٨) التعريفات، محمد الجرجاني، تحقيق جماعة من العلماء – دار الكتب، ج١، ص١٢٨.
(٩) مدارك السالكين، ابن، القيم دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة الثالثة، جزء١، ص١٥٧

والشكر على ثلاثة أضرب: شكر القلب وهو تصور النعمة وشكر اللسان وهو الثناء على المنعم وشكر سائر الجوارح وهو مكافأة النعمة يقدر استحقاقه قال تعالى {اعملوا آل داود شكراً}[١]؛ معناه: اعملوا ما تعملونه شكر لله. [٢]

والله سبحانه وتعالى أمر عباده بالشكر قال تعالى: {فَٱذۡكُرُونِيٓ أَذۡكُرۡكُمۡ وَٱشۡكُرُواْ لِي وَلَا تَكۡفُرُونِ ﴿١٥٢﴾ }[٣]

قال ابن عباس وابن جبير: أذكروني بطاعتي أذكركم بمغفرتي. [٤]

وقام رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى تورمت قدماه فقيل له: يا رسول الله قد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك، فقال: "أولا أكون عبداً شكوراً"[٥].

وضرب لنا سيدنا إبراهيم عليه السلام مثلاً عالياً وقدوة صالحة في شكره لربه فكان شاكراً لربه بقلبه ولسانه وجوارحه يخلص الشكر لله فيما أنعم عليه أي معترفاً بفضل الله عليه ومستعملاً نعمه فيما خلقت له ومؤدياً حقوق خالقه. [٦]

لا يخل بشكر النعم. يقول الإمام البيضاوي في تفسير قوله تعالى: {شَاكِرًا لِّأَنۡعُمِهِ } قال: ذكر بلفظ القلة للتنبيه على أنه لا يخل بشكر النعم القليلة فكيف بالكثير[٧].

ويقول صاحب الظلال في تفسير قوله: {شَاكِرًا لِّأَنۡعُمِهِ }[٨]، يقول شاكراً بالقول والعمل لا كهؤلاء المشركين الذين يجحدون نعمة الله قولاً ويكفرونها عملاً ويشركون في رزقه لهم ما يدعون من الشركاء ويحرمون نعمة الله عليهم اتباعاً للأوهام والأهواء [٩].

وكان من آثار ذلك الشكر أن آتاه الله في الدنيا حسنة وأنعم عليه بنعم ظاهرة وباطنة فكانت نتيجة هذه الخصال أن اجتباه ربه واختصه بخلته وجعله من صفوة خلقه وخيار عباده المقربين [١٠].

---

(١) سورة سبأ، الآية ١٣.
(٢) نضر النعيم، ص ٢٣٩٦.
(٣) سورة البقرة، الآية ١٥٢.
(٤) زاد المسير، جمال الدين أبو الفرج الجوزي، ج١، ص ١٢٣.
(٥) مسند أحمد، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، إشراف: عبد الله التركي، مؤسسة الرسالة، ص ١٣٨.
(٦) التفسير الوسيط، محمد سيد طنطاوي، دار النهضة، مصر للطباعة والنشر، الطبعة الأولى، ٨/ ٢٥٨.
(٧)انظر تفسير البيضاوي، تحقيق محمد عبد الرحمن المرعشلي دار احياء التراث العربي الطبعة الأولى جزء ١، ص ٢٤٤، وانظر التفسير المنير للزحيلي ٢٦٠/١٤
(٨)النحل، الآية: ١٢١
(٩)في ظلال القرآن، مرجع سابق، ج٤/ ص٢٢٠١.
(١٠) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن السعدي، تحقيق عبد الرحمن بن بعلا، الناشر: مؤسسة الرسالة – الطبعة الأولى ٤٥/١.

سادساً: حليم أواه منيب:

لقد مدح الله سيدنا إبراهيم عليه السلام بهذه الصفات الجليلة.

قال تعالى: {إِنَّ إِبۡرَٰهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّٰهٌ مُّنِيبٞ ﴿٧٥﴾ }[1] والحلم بالكسر الأناة [2].

وقيل هو الأناه والعقل وهو نقيض السفه. [3]

وقيل الحلم: هو الطمأنينة عند ثورة الغضب. [4]

وقال ابن فارس: الحلم ترك الإعجال بالعقوبة وترك الطيش. [5]

ومن أسماء الله الحليم، والحليم هو الصبور على الأذى الصفوح عن الجناية المقابل لها بالإحسان. [6]

والحليم: هو الذي لا يستخفه شيء من عصيان العباد ولا يستفزه الغضب عليهم. [7]

والأواه: أي المتضرع في الدعاء. وقيل كثير الثناء وقيل المسبح. [8]

المنيب: وهو الذي يعود سريعاً إلى ربه. [9]

وقال مجاهد أواه منيب: قال القانت الرّجاع. [10]

فإبراهيم عليه السلام اتصف وتخلق بهذه الصفات: صفة الحلم، وصفة الإنابة، وكان من حلم إبراهيم عليه السلام أنه كان إذا آذاه الرجل من قومه قال له: هداك الله.[11]

وهذه الأخلاق هي أخلاق النبوة والرسالة التي لازمت سيدنا إبراهيم عليه السلام فكان كثير الدعاء حليماً عمن ظلمه، وأنابه مكروهاً. ولهذا استغفر لأبيه مع شدة آذاه له في قوله: {قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنۡ ءَالِهَتِي يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُۖ لَئِن لَّمۡ تَنتَهِ لَأَرۡجُمَنَّكَۖ وَٱهۡجُرۡنِي مَلِيّٗا ﴿٤٦﴾ قَالَ سَلَٰمٌ عَلَيۡكَۖ سَأَسۡتَغۡفِرُ لَكَ رَبِّيٓۖ إِنَّهُۥ كَانَ بِي حَفِيّٗا ﴿٤٧﴾ } [12] فحلم عنه

١- سورة هود، الآية ٧٥.
٢- مختار الصحاح ٨٠/١.
٣- نضرة النعيم، ٥/ ١٧٣٥.
٤- التعريفات للجرجاني، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، ١/ ٩٢.
٥- مجمل اللغة، لابن فارس، مؤسسة الرسالة، ١/ ٢٤٦.
٦- التفسير الوسيط، محمد سيد طنطاوي، ٧/ ٢٤٣.
٧- النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير، المكتبة العلمية، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي – محمد ومحمد، ١/ ٤٣٣.
٨- لسان العرب، ٣/ ٤٧٣، وتاج العروس ١٣٦/ ٣٣١.
٩- في ظلال القرآن، سيد قطب، ٤/ ١٩١٣.
١٠- تفسير الطبري، مؤسسة الرسالة، ١٥/ ٤٠٦.
١١- تفسير القرآن العظيم، لابن أبي حاتم، تحقيق: أسعد محمد الطيب، مكتبة نزار، ٢٠٥٨/٦.
١٢- سورة مريم، الآية ٤٦ – ٤٧.

مع أذاه له، ودعا له واستغفر [1]. ولهذا قال الله تعالى: {إِنَّ إِبۡرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٞ ١١٤}[2] {١١٤}[2]

يقول الإمام ابن القيم:

والإنابة هي عكوف القلب على محبته وذكره بالإجلال والتعظيم وعكوف الجوارح على طاعته بالإخلاص له والمتابعة لرسوله ومن لم يعكف قلبه على الله وحده عكف على التماثيل المتنوعة كما قال إمام الحنفاء لقومه {مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِيٓ أَنتُمۡ لَهَا عَٰكِفُونَ } فأقتسم هو وقومه حقيقة العكوف فكان حظ قومه العكوف على التماثيل وكان حظه العكوف على الرب الجليل. [3]

ولعل هذه الصفات التي تحلى بها إبراهيم عليه السلام هي من أهم الصفات التي ينبغي أن يتحلى بها الدعاة إلى الله. فالدعاة إلى الله يتعرضون لمشكلات ومواقف ويقابلون أصنافاً كثيرة من الناس منهم السفيه والجاهل فعليه أن يضبط نفسه عن الغضب ولا يجاري السفهاء من الناس، فإذا اتصف بصفة الحلم تغلب على كثير من العقبات التي يتعرض لها في مخالطته للناس ولذلك قال الله عز وجل: {وَعِبَادُ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمۡشُونَ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ هَوۡنٗا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلۡجَٰهِلُونَ قَالُواْ سَلَٰمٗا ٦٣ }[4]

والله سبحانه وتعالى وصف النبي صلى الله عليه وسلم بأعلى وصف الا وهو الخلق الحسن فما أحوج الدعاة اليوم وهم يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر أن يكون أمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر لا غلظة فيه ولا شدة ولا تعالي ولا توبيخ ولا تقريع.

وعلى الداعي أن يقول الحق ولو كان مراً ولكن في أسلوب يدعو إلى قبوله، كما لا يجوز للداعية أن يراهن أو ينافق بقصد ترغيب الناس وكسب مودتهم حتى يعرفوا الحق فإن

١- الحكمة في الدعوة إلى الله تعالى، د. سعيد بن علي وهب القحطاني، الناشر: وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، ١/ ٦٠.

٢- سورة التوبة، الآية ١١٤.

٣- الفوائد، ابن القيم، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الثانية، ١/ ١٩٦.

٤- سورة الفرقان، الآية ٦٣.

هذا الأسلوب لا يتفق وجلال ما يدعو إليه [1] وقد حذر الله منه فقال: {وَدُّواْ لَوۡ تُدۡهِنُ فَيُدۡهِنُونَ ۝٩ }[2]

سابعاً: الصّديّقية:

لقد وصف الله سيدنا إبراهيم عليه السلام بصفة الصديقية قال تعالى: {وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِبۡرَٰهِيمَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقٗا نَّبِيًّا ۝٤١ }[3]

جمع الله له بين الصديقية والنبوة والصديقية صيغة مبالغة من الصدق فهو كثير الصدق في أقواله وأفعاله وأحواله، كان من أهل الصدق في حديثه وأخباره ومواعيده.

الصدق في اللغة: مطابقة الحكم للواقع.

وفي الاصطلاح: قول الحق في مواطن الهلاك. [4]

والصدق ضد الكذب، والصديق: الدائم التصديق؛ وهو الذي يصدق قوله بالعمل.[5]

يقول الإمام ابن القيم في حقيقة الصدق:

والصدق الوفاء بالعمل وقيل موافقة السر النطق وقيل استواء السر والعلانية. [6]

ووصف الله الأنبياء بهذه الصفة في معرض المدح والثناء قال تعالى: {وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِسۡمَٰعِيلَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلۡوَعۡدِ وَكَانَ رَسُولٗا نَّبِيًّا ۝٥٤ }[7].

وقال تعالى: {وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِدۡرِيسَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقٗا نَّبِيًّا ۝٥٦ }[8].

ووصف النبي محمد صلى الله عليه وسلم بالصادق الأمين وأمر الله المؤمنين بأن يكونوا مع الصادقين، قال تعالى: {يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ۝١١٩ }[9].

١- في رحاب الإسلام، حسام حميده، الجزء الثاني، دار التوزيع النشر الإسلامية، ص٣٣٣.
٢- سورة القلم، الآية ٩.
٣- سورة مريم، الآية ٤١.
٤- التعريفات، للجرجاني، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الأولى، ١/ ١٣٢.
٥- مختار الصحاح، تحقيق، يوسف الشيخ محمد، الكتب العصرية، ١/ ١٧٤.
٦- مدارك السالكين، ابن القيم الجوزية، ٢/ ٢٦٢.
٧- سورة مريم، الآية ٥٤.
٨- سورة مريم، الآية ٥٦.
٩- سورة التوبة، الآية ١١٩.

فإبراهيم عليه السلام تخلق بهذا الخلق الكريم فكان صادقاً في قوله وفعله واعتقاده وهذه الصديقية جاءت من الله على إبراهيم باستجابة دعائه حين قال: {وَٱجۡعَل لِّي لِسَانَ صِدۡقٖ فِي ٱلۡأٓخِرِينَ ﴿٨٤﴾ }[1].

الدعاة إلى الله والتخلق بخلق الصدق:

ما أحوج الدعاة اليوم إلى هذا الخلق والتمسك به فالداعية الصادق مع نفسه الصادق مع الناس الصادق في حمل أمانة هذا الدين يرى أثر الصدق في وجهه وفي كلامه فالإنسان الصادق يؤثر أثراً بليغاً في الإنسان المدعو. وليحذر الداعية الكذب فإن الكذب من الأشياء التي تفقد المدعو الثقة في الداعية.

والصدق يشمل كل ما يصدر عن الداعية من الأقوال والأفعال والتصرفات الظاهرة والباطنة فيكون صادقاً في مواعيده ومعاملاته فلا يتأخر عن موعد المحاضرة أو الدرس وإن حصل له مانع عليه أن يعتذر في الحال بأن يرسل نائباً عنه أو يتصل بالهاتف أو يرسل من يخبرهم بالتأخير، ولا يترك الناس ينتظرون ويبدأ عندهم الهرج والمرج ويظنون به الظنون والداعية إلى الله أحوج الناس إلى الصدق في كل شيء، فالصدق منهج عام وسمة من سمات شخصية الداعية في أقواله وأفعاله والصدق في القول تعبير عن وضوح ومروءة عالية وشهامة وكرم. [2]

والداعي المسلم الصادق يظهر أثر صدقه في وجهه وصوته فقد كان صلى الله عليه وسلم يتحدث إلى من لا يعرفه فيقولون والله ما هو بوجه كذاب ولا صوت كذاب، ولا شك أن ظهور أثر الصدق في وجه الداعي وصوته يؤثر في المخاطب وتحمله ذلك قبول قوله واحترامه إلا إذا كان عمى القلب قد بلغ مبلغاً عظيماً. [3]

ثامناً: صاحب قلب سليم:

من صفات وفضائل سيدنا إبراهيم عليه السلام أنه صاحب قلب سليم قال تعالى: {إِذۡ جَآءَ رَبَّهُۥ بِقَلۡبٖ سَلِيمٍ ﴿٨٤﴾ }[4]

قال الضحاك: هو القلب الخالص. [1]

١- سورة الشعراء، الآية ٨٤.
٢- دليل الداعية، ناجي بن دابل السلطان، ١/ ٣١.
٣- أصول الدعوة، عبد الكريم زيدان، ١/ ٣٤٨.
٤- سورة الصافات، الآية ٨٤.

فالقلب السليم هو الخالص من الأوصاف الذميمة كالحقد والحسد وغيرها من الأمراض.[٢]

وقيل هو الخالي من البدعة المطمئن على السنة. [٣]

وقال محمد بن سيرين القلب السليم أن يعلم بأن الله حق وأن الساعة قائمة وأن الله يبعث من في القبور. [٤]

وقال ابن الجوزي القلب السليم الذي يلقى الله وليس فيه شيء غير الله. [٥]

فهو قلب سليم من كل شهوة تخالف أمر الله ونهيه، ومن كل شبه تعارض خبره، فسلم من عبودية ما سواه وسلم من تحكيم غير رسوله فخلصت عبودية الله فإن أحب أحب لله وإن أبغض أبغض في الله، وإن أعطى أعطى لله وإن منع منع لله. [٦]

ولعل سلامة القلب التي تحلى بها خليل الله وأبو الدعاة من أهم الصفات التي يحتاج إليها العاملون في حقل الدعوة الإسلامية في زماننا هذا، وفي كل زمان فيكون قلوبهم صافية نقية سليمة من الحقد والحسد والتباغض نحو منافسيهم والعاملين معهم في الدعوة إلى الله فلا يهمزونهم ولا يلمزونهم ولا يتهمونهم بشيء من التهم التي تنفر القلوب وتفرق الكلمة وتضعضع الصف: {وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٞ رَّحِيمٌ ١٠ }[٧]

وعندئذ سيكونون قد أخذوا بواحد من أهم أسباب النصر في الدنيا والفلاح في الآخرة[٨]، {يَوۡمَ لَا يَنفَعُ مَالٞ وَلَا بَنُونَ ٨٨ إِلَّا مَنۡ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلۡبٖ سَلِيمٖ ٨٩ }[٩]

١- تفسير الطبري، ١٩/ ٣٦٦.
٢- نضرة النعيم، ١٠/ ٤٤٣٤.
٣- معالم التنزيل في تفسير القرآن، تفسير البغوي، دار إحياء التراث العربي، تحقيق: عبد الرازق المهدي، ٣/ ٤٧١.
٤- تفسير الطبري، ١٩/ ٣٦٦.
٥- صفوة الصفوة، ابن الجوزي، تحقيق: أحمد محمد علي، دار الحديث – القاهرة، ٢/ ٣٥٩.
٦- تزكية النفوس، أحمد فريد، الناشر دار العقيدة للتراث، ١/ ١٩.
٧- سورة الحشر، الآية ١٠.
٨- فقه دعوة الأنبياء في القرآن الكريم، د. أحمد البراء الأميري، دار السلام، ص ٢١٢.
٩- سورة الشعراء، الآية ٨٨ – ٨٩.

تاسعاً: وفاء إبراهيم عليه السلام:

لقد وصف الله سيدنا إبراهيم عليه السلام بهذا الخلق الكريم إلا وهو خلق الوفاء قال تعالى: {وَإِبۡرَٰهِيمَ ٱلَّذِى وَفَّىٰٓ ﴿٣٧﴾ }[1]: أي وفى في جميع ما أمر به، وفى بالأمر والنهي ووفى بذبح ولده، ووفى بأداء الرسالة ووفى بماله فكان يسمى (أبا الضيفان). فقام بجميع ما أمر به في كل مقام من مقامات العبادة فكان لا يشغله أمر جليل عن حقير ولا كبير عن صغير.

يقول الإمام القرطبي:

وفى عمله كل يوم بأربع ركعات في صدر النهار وكان يقول كلما أصبح وأمسى {فَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ حِينَ تُمۡسُونَ وَحِينَ تُصۡبِحُونَ }[2].

لكن الإمام الطبري علق على هاتين الروايتين وقال في أسانيدهما نظر. [3]

والرأي الراجح: أن عمل ما أُمر به وبلغ رسالات ربه وهذا ما قال به الحسن وقتادة وسعيد بن جبير.

وقال مجاهد: وفى بما فُرض عليه. [4]

وقال ابن عباس: ما ابتلي أحد بهذا الدين فقام به كله غيرَ إبراهيم ابتلى بالإسلام فأتمه فكتب الله له البراءة فقال: {وَإِبۡرَٰهِيمَ ٱلَّذِى وَفَّىٰٓ ﴿٣٧﴾ }[5]، فذكر عشرين براءة فقال {ٱلتَّٰٓئِبُونَ ٱلۡعَٰبِدُونَ ٱلۡحَٰمِدُونَ } التوبة إلى آخر الآيات، وعشر من الأحزاب {إِنَّ ٱلۡمُسۡلِمِينَ وَٱلۡمُسۡلِمَٰتِ }[6]، وعشر من سورة المؤمنون إلى قوله {وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِفُرُوجِهِمۡ حَٰفِظُونَ }[7]، وعشراً في سأل سائل إلى قوله {وَٱلَّذِينَ هُمۡ عَلَىٰ صَلَاتِهِمۡ يُحَافِظُونَ }[8]. [9]

١- سورة النجم، الآية ٣٧.
٢- تفسير القرطبي، تحقيق: أحمد البردونس وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية، ١٧/ ١١٣.
٣- تفسير الطبري، ابن جرير، تحقيق: عبد الله الزاكي، دار هجر للطباعة والنشر، ٢/ ٥٠٧.
٤- تفسير القرطبي ١٧/ ١١٣.
٥- سورة النجم، الآية ٣٧.
٦- سورة الأحزاب، الآية ٣٥.
٧- سورة المؤمنون، الآية ٩.
٨- سورة المعارج، الآية ٣٤.
٩- تفسير الطبري، تحقيق: عبد الله عبد المجيد التركي، دار هجر للطباعة، ٢/ ٢٩٨.

وبعد هذه النقول التي بينت وفاء إبراهيم عليه السلام يتضح لنا أن إبراهيم عليه السلام استحق هذا الوصف وهذه المكانة، وهو مقام عظيم ذلك المقام الذي بلغه إبراهيم مقام الوفاء والتوفيق بشهادة الله عز وجل. [١]

عاشراً: النبوة والرسالة:

قال تعالى: {وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا نُوحٗا وَإِبۡرَٰهِيمَ وَجَعَلۡنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلۡكِتَٰبَۖ فَمِنۡهُم مُّهۡتَدٖۖ وَكَثِيرٞ مِّنۡهُمۡ فَٰسِقُونَ ٢٦}[٢]

لقد من الله تبارك وتعالى على سيدنا إبراهيم عليه السلام بنعمة النبوة والرسالة ولم تحصر النبوة والرسالة فيه فقط بل امتدت لتكون في ذريته الصالحين. ومن ذريته إسماعيل عليه السلام جد العرب وإسحاق أبو يعقوب ومن يعقوب تفرعت أنبياء بني إسرائيل وأسباطهم وقد سجل القرآن الكريم هذه المناقب لأبي الأنبياء عليه السلام[٣]. فقال {وَوَهَبۡنَا لَهُۥٓ إِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَجَعَلۡنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلۡكِتَٰبَ وَءَاتَيۡنَٰهُ أَجۡرَهُۥ فِي ٱلدُّنۡيَاۖ وَإِنَّهُۥ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ٢٧}[٤] إذن فمن نسله جميع الأنبياء فهي شجرة مباركة باسقة متشابكة الفروع فيها النبوة والكتاب ممتدة من فجر البشرية منذ نوح حتى إذا انتهت إلى إبراهيم تفرعت وامتدت وانبثقت النبوات من ذلك الفرع الكبير الذي صار أصلاً باسقاً ممتداً إلى آخر الرسالات. [٥]

وختم الله النبوة والرسالة برسالة محمد صلى الله عليه وسلم، إن مهمة الرسل مهمة سامية ونبيله فمنهم الذين يبلغون أمر الله إلى الناس ويخبرون عن المغيبات اليقينية التي لابد من الإيمان بها والتسليم لها بما أعلمهم الله وما أطلعهم على الغيب وبما إصطفاهم بوحي ومعرفة. [٦]

حادي عشر: إكرام الضيف:

من الصفات التي تحلى بها سيدنا إبراهيم عليه السلام صفة الكرم فهو الأسوة والقدوة في إكرام الضيف وإكرام الضيف خلق حث عليه الإسلام فعن أبي هريرة رضي

١- في ظلال القرآن، سيد قطب، دار الشروق – بيروت، ١/ ١١٢.
٢- سورة الحديد، الآية ٢٦.
٣- سماحة الإسلام في الدعوة إلى الله والعلاقات الإنسانية، د. عبد العظيم المطعني، مكتبة وهبة، ١/ ٥٦.
٤- سورة العنكبوت، الآية ٢٧.
٥- في ظلال القرآن، سيد قطب، ٦/ ٣٤٩٥.
٦- أضواء على الثقافة الإسلامية، د. نادية شريف العمري، مؤسسة الرسالة – الطبعة الثانية.

الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه) فمن عرف بالضيافة عرف بشرف المنزلة وعلو المكانة وقد اشتهر سيدنا إبراهيم بهذا الخلق حتى كان يكنى أبا الضيفان[١] لشدة كرمه فكان جواداً كريماً في إكرام ضيفه. والقرآن يحكي لنا وبين لنا كرم إبراهيم عليه السلام قال تعالى {هَلۡ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ضَيۡفِ إِبۡرَٰهِيمَ ٱلۡمُكۡرَمِينَ ﴿٢٤﴾ إِذۡ دَخَلُواْ عَلَيۡهِ فَقَالُواْ سَلَٰمٗاۖ قَالَ سَلَٰمٞ قَوۡمٞ مُّنكَرُونَ ﴿٢٥﴾ فَرَاغَ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِۦ فَجَآءَ بِعِجۡلٖ سَمِينٖ ﴿٢٦﴾ فَقَرَّبَهُۥٓ إِلَيۡهِمۡ قَالَ أَلَا تَأۡكُلُونَ ﴿٢٧﴾ فَأَوۡجَسَ مِنۡهُمۡ خِيفَةٗۖ قَالُواْ لَا تَخَفۡۖ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٖ ﴿٢٨﴾ }[٢]

فهذه الآيات تحكي لنا ما دار بين إبراهيم عليه السلام وبين الملائكة الذين جاءوا لبشارته بابنه إسحاق والإخبار بإهلاك قوم لوط. [٣]

ويبدأ الله هذه الآيات بالاستفهام التقريري تفخيماً لشأن الحديث ولفتاً للانتباه مع تهديد العرب ووعيدهم ووعظهم وتسلية الرسول صلى الله عليه وسلم على ما يجري عليه من قومه وأطلق عليهم صفة الضيف حيث أضافهم إبراهيم عليه السلام والضيافة سنة وذهب أحمد وجماعة إلى وجوب الضيافة للنزيل، وحيّوه بصيغة سلاماً التي هي دعاء، فرد عليهم الخليل مختاراً الأفضل من التسليم فقال: {سلامٌ} لأن الرفع أقوى وأثبت من النصب لدلالته على الثبات والدوام. [٤]

فعدل إبراهيم ومال خفية إلى أهله، فعمد إلى عجل سمين فذبحه وشواه بالنار، ثم وضعه أمامهم وتلطف في دعوتهم إلى الطعام قائلاً: ألا تأكلون؟ فلما رآهم لا يأكلون أحس في نفسه خوفاً منهم، قالوا له: لا تخف إنا رسل الله، وبشروه بأن زوجته (سارة) ستلد له ولداً سيكون من أهل العلم بالله وبدينه وهو إسحاق عليه السلام. [٥]

وعند التأمل والتدبر في هذه الآيات نستنبط الأمور التالية:

١. أنه وصف ضيفه بأنهم مكرمون وهذا على أحد القولين أنه إكرام إبراهيم لهم أنهم المكرمون عند الله ولاتنافي بين القولين فالآية تدل على المعنيين.

١- البداية والنهاية، ابن كثير، دار الفكر، ١/ ١٤٠.
٢- سورة الذاريات، الآيات ٢٤ – ٢٨.
٣- التفسير الوسيط، سيد طنطاوي، ١٤/ ١٩.
٤- التفسير المنير، وهبة الزحيلي، دار الفكر المعاصر، دمشق، ج٢٧/ ٢٦.
٥- التفسير الميسر، نخبة من أساتذة التفسير، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف، ١/ ٥٢١.

٢. قوله تعالى {إِذۡ دَخَلُواْ } فلم يذكر استئذانهم ففي هذا دليل على أنه صلى الله عليه وسلم كان قد عرف بإكرام الضيفان.
٣. قوْله لهم (سلام) بالرفع وهم سلمُوا عليه بالنصب والسلام بالرَّفع أكمل فإنه يدل على الجملة الأسمية الدالة على الثبوت والتجرد والمنصوب يدل على الفعلية الدالة على الحُدُوث والتجرد فإبراهيم حياهم أحسن من تحيتهم.
٤. أنه راغ إلى أهله ليجئهم بنزلهم، والروغان هو الذهاب في اختفاء بحيث لا يكاد يشعر به الضيف وهذا من كرم رب المنزل المضيف أن يذهب في اختفاء بحيث لا يشعر به الضيف فيشق عليه، ويستحي فلا يشعر به إلا وقد جاءهُ الطعام.
٥. أنه ذهب إلى أهله فجاء بالضيافة فدل على أن ذلك كان معداً عندهم مهيئاً للضيفان ولم يحتج أن يذهب إلى غيرهم من جيرانه أو غيرهم فيشتريه أو يستقرضه.
٦. أنه جاء بعجل كامل ولم يأت ببضعة منه وهذا من تمام كرمه.
٧. أنه سمين لا هذيل ومعلوم أن ذلك من أفخر أموالهم ومثله من يتخذ للاقتناء والتربية فآثر به ضيفانه.
٨. أنه قربه إليهم بنفسه ولم يأمر خادماً بذلك. [١]
٩. يستحب أن يكون قرى الضيف أكثر من حاجته وهذا نجده من إبراهيم إذ قدم عجلاً سميناً لثلاثة عن جبرائيل وميكائيل وإسرافيل.
١٠. أن يكون قرى الضيف شهياً وخير القرى اللحم المشوي على الرضف، وهذا اللحم يكون سميناً عليه شيء من الشحم تأمل قوله تعالى {فَجَآءَ بِعِجۡلٖ سَمِينٖ } وقوله {جَآءَ بِعِجۡلٍ حَنِيذٖ } فإن اللحم السمين إذا شوى ذاب شحمه فأنضج اللحم وأعطى طعماً شهياً له هذا ما يقوله أهل الطهيُ أهل الخبرة.
١١. يستحب إذا قدم القرى ألا يتوالى الضيوف في الأكل ويستحب للمستضيف أن يدعو الضيوف إلى الطعام عند وضع الطعام وأن يلاطفهم في ذلك تأمل قوله {فَقَرَّبَهُۥٓ إِلَيۡهِمۡ قَالَ أَلَا تَأۡكُلُونَ }.

١- جلال الأفهام في فضل الصلاة على محمد خير الأنام، ابن القيم، دار العروبة، الكويت، ١/ ٢٧٣.

١٢. يستحب للقادم أن يأكل من الطعام المقدم إليه ولو كان لقمة أو لقمتين ولا يمتنع عن الأكل إلا إذا كان صائماً صوم فريضة أو صوم نافلة. [١]

الدعاة إلى الله وصفة الكرم:

الداعي إلى الله ينبغي أن يتخلق بهذا الخلق ويتحلى بهذه الصفة (صفة الكرم) فالإسلام دين يقوم على البذل والإنفاق ولا يقوم على الشح والإمساك، ولذلك حبب إلى أتباع نبيه صلى الله عليه وسلم أن تكون نفوسهم سخية وأكفهم ندية ووصاهم بالمسارعة إلى دواعي الإحسان ووجوه البر وأن يجعلوا تقديم الخير إلى الناس مشغلهم الدائم، لا ينفكون عنه في صباح أو مساء. [٢]

فالداعية إلى الله ينبغي أن يكون كريماً جواداً في عطائه وفي ضيافته بل وفي علمه أيضاً فبذله للناس وفي دعوته وفي طيب كلامه وفي كل شيء والكرم لا يتوقف على المال فقد يعطي الإنسان مالاً لكن مع المن والأذى فلا يفرح به آخذه ولكن هشاشة الوجه وطلاقته وبشاشته وطيب الكلام وحسن الاستقبال كل هذا من أعظم ألوان الكرم فينبغي للداعية أن يتحراها ويحرص عليها بل وعلى كل خلق كريم حثت عليه الفطرة السليمة. [٣]

يقول الدكتور علي عمر بادحدح في كتابه مقومات الداعية الناجح، ليس العطاء محصوراً في المال، بل هو أوسع من ذلك إذ يشمل كل عون يقدمه الداعية للمدعويين وكل معروف يسديه لهم فقد يعطيهم من وقته أو جهده أو فكره، بل حتى من بشاشة وجهه وحسن استقباله وميدان العطاء بالنسبة للداعية فسيح وأثره كبير، فينبغي أن يكون فيه سابقاً ومنافساً، ومحققاً لما أوصى به الشيخ البنا الداعية بقوله وأن تكون عظيم الشأن مدرباً على الخدمات العامة، تشعر بالسعادة والسرور إذا استطعت أن تقدم خدمة لغيرك من الناس فتعود المريض وتساعد المحتاج وتحمل الضيف، وتواسي المنكوب ولو بالكلمة الطيبة وتبادر دائماً إلى الخيرات. [٤]

١- مع الأنبياء في الدعوة إلى الله، محمد عبد القادر أبو فارس، جمعية المحافظة على القرآن الكريم، ص ١١٢.
٢- في نور الإسلام، محمد أبو ربه، ص ٢٣٩، نقلاً من كتاب خلق المسلم، الشيخ الغزالي.
٣- درس للشيخ سلمان العودة، على الإنترنت، درس رقم ٢١٩.
٤- مجموعة رسائل البنا، ص ٢١. نقلاً عن كتاب مقومات الداعية الناجح، د. علي عمر بادحدح، ص ١٧٢.

ثاني عشر: اتخذه الله خليلاً:

قال تعالى: {وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبۡرَٰهِيمَ خَلِيلاً }[1]

الخلةُ (بالضم) هي المحبة التي تخللت روح المحب وقلبه حتى لم يبقى فيه موضع لغير المحبوب كما قيل:

قـد تخللــت مسـلك الـروح منــي

ولــذا ســمى الخليــل خلــيلاً [2]

والله يحب الأصفياء من عباده ويحبونه، وقد كان إبراهيم كامل الحب لله، ولذلك عاد أباه وقومه وجميع الناس في حبه تعالى ولإخلاصه له.

وقيل إن الخليل مشتق من الخلَّة – بفتح الخاء – وهي الحاجة، لأن إبراهيم ما كان يشعر بحاجته إلى أحد غير الله عز وجل حتى قال في الحاجات العادية التي تكون التعاون بين الناس {ٱلَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهۡدِينِ ﴿٧٨﴾ وَٱلَّذِى هُوَ يُطۡعِمُنِى وَيَسۡقِينِ }[3].

والأول أظهر وأكمل. [4]

أي أن الخلة هي المحبة بل هي أعلى أنواع المحبة وهذه المرتبة حصلت للخليلين محمد وإبراهيم عليهما السلام.

وأما المحبة من الله فهي لعموم المؤمنين وإنما اتخذ الله إبراهيم خليلاً لأنه وفىّ بما أمر به وقام بما ابتلى به فجعله الله إماماً للناس واتخذه خليلاً ونوه بذكره في العالمين. [5]

فالله عز وجل إمتن على إبراهيم بسلامة الفطرة والاعتقاد وصفاء الروح وكمال المعرفة وشد العزيمة وعلو الهمة في محاربة الوثنية حتى صار من أولي العزم فهو خليل الرحمن عدو الشيطان. [6]

١- سورة النساء، الآية ١٢٥.
٢- مدارك السالكين، ابن القيم، ٣/ ٣٣.
٣- سورة الشعراء، الآية ٧٨ – ٧٩.
٤- تفسير المنار، محمد سيد رضا، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٥/ ٣٥٨.
٥- تفسير السعدي، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، ١/ ٢٠٦.
٦- التفسير المنير في العقيدة الشريعة المنهج، د. وهبة الزحيلي، دار الفكر، الطبعة الثانية، ٥/ ٢٨٧.

ثالث عشر: توكل سيدنا إبراهيم على الله:

لقد توكل خليل الرحمن على ربه حسن التوكل فعندما رجع سيدنا إبراهيم عليه السلام بالسيدة سارة إلى أرض الشام ومعها هاجر وكانت جارية ذات هيئة فوهبتها سارة لإبراهيم وقالت خذها لعل الله يرزقك منها ولداً [١]، وكان ذلك بعد عودته من مصر إلى الأرض المباركة فلسطين ففعل.

وتزوج سيدنا إبراهيم من السيدة هاجر وأنجب منها إسماعيل بعد طول انتظار وأمره ربه أن يأخذ هاجر وابنه إسماعيل إلى مكة ويتركها هناك في الصحراء دون صحبة أو مأوى ويمتثل إبراهيم لأمر ربه متوكلاً عليه وكلما خطى خطوة تبعده عنهما أحس بالحنين إليهما فلما أشرف على الوادي وكاد ينفصل عنه راجعاً إلى الشام فوض أمره إلى ربه [٢]. روى البخاري عن ابن عباس: (ثم جاء بها إبراهيم وبابنها إسماعيل وهي ترضعه حتى وضعهما عند البيت عند دوحة فوق زمزم في أعلى المسجد، وليس بمكة يومئذ أحد وليس بها ماء فوضعهما هنالك ووضع عندهما جراباً فيه تمر، وسقاء فيه ماء، ثم قفَّى إبراهيم منطلقاً، فتبعته أمُ إسماعيل فقالت: يا إبراهيم، أين تذهب وتتركنا بهذا الوادي، الذي ليس فيه إنس ولا شيء؟ فقالت له ذلك مراراً وجعل لا يلتفت إليها فقالت له: آلله الذي أمرك بهذا؟ قال: نعم، قالت: إذا لا يضيعنا ثم رجعت، فانطلق إبراهيم حتى إذا كان عند الثنيه حيث لا يرونه استقبل بوجهه البيت، ثم دعا بهؤلاء الكلمات، ورفع يديه، فقال: {رَّبَّنَآ إِنِّيٓ أَسۡكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيۡرِ ذِي زَرۡعٍ عِندَ بَيۡتِكَ ٱلۡمُحَرَّمِ }[٣] حتى بلغ {يَشۡكُرُونَ } وجعلت أم إسماعيل ترضع وتشرب من ذلك الماء حتى إذا نفذ ما في السقاء عطشت وعطش ابنها وجعلت تنظر إليه يتلوى، أو قال: يتلبَّط[٤] فانطلقت كراهية أن تنظر إليه فوجدت الصفاء أقرب جبل في الأرض يليها فقامت عليه ثم استقبلت الوادي تنظر هل ترى أحد فلم تر أحداً فهبطت من الصفا حتى إذا بلغت الوادي رفعت طرف درعها [٥] ثم سعت سعي الإنسان المجهود حتى جاوزت الوادي ثم أتت المروة فقامت ونظرت هل ترى أحد فلم تر أحداً ففعلت ذلك سبع مرات،

١- الكامل في التاريخ، ابن الأثير، تحقيق: عمر عبد السلام، دار الكتب العربي- بيروت، الطبعة الأولى، ص ١/ ٩٢.
٢- في نور الإسلام، محمود أبو ربه، الجزء الرابع، دار التوزيع النشر سلام، ص ٤٥٥.
٣- سورة إبراهيم، الآية ٣٧.
٤- يتلبط: يتلوى من شدة الوجع والألم.
٥- ثوبها.

قال ابن عباس: قال النبي صلى الله عليه وسلم: (فذلك سعي الناس بينهما) فلما أشرفت على المروة سمعت صوتاً فقالت: صهٍ [١] – تريد نفسها – ثم تسمَّعت، فسمعت أيضاً فقالت: قد أسمعت إن كان عندك غواث [٢]، فإذا هي بالملك عند موضع زمزم فبحث بعقبه أو قال: بجناحيه حتى ظهر الماء فجعلت تُحّوضه [٣] وتقول بيدها هكذا وجعلت تغرف من الماء في سقائها وهو يفور بعدما تغرف. [٤]

ومن خلال هذا الحديث وهذه القصة التي يتضح من خلالها توكل سيدنا إبراهيم على ربه بعد أن استجاب الله لدعائه فجعل البيت الحرام حرماً آمناً يجبى إليه ثمرات كل شيء رزقاً من لدنه وبعد تفجير ماء زمزم كل ذلك جزاءاً أو فضلاً ونعمة من الله لسيدنا إبراهيم عليه السلام الشاكر لنعمه المتوكل على ربه هو وزجته الصالحة التي نطقت بهذا العبارة حين تركها "إذن لا يضيعنا" أي ثقة بالله وأي توكل على الله عند هذه المرأة الغريبة التي تعيش في هذه الظروف القاسية لا ماء ولا طعام ولا شراب ولا غذاء فينزل برد الرضا على هذا القلب المملوء توكلاً وحباً لله وطاعة لأوامره.

رابع عشر: الاجتباء والاصطفاء:

لقد مدح الله عبده ورسوله وخليله إبراهيم عليه السلام بهذه الصفة الجليلة وهي صفة الاجتباء والاصطفاء، قال تعالى: {ٱجۡتَبَىٰهُ وَهَدَىٰهُ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴿١٢١﴾ }[٥]

ومعنى اجتباه أي اصطفاه واختاره. [٦]

أي اختاره للنبوة واختصه بها وهداه إلى صراط مستقيم وهو ملة الإسلام ودين الحق.[٧] فجمع الله له بين خيري الدنيا والآخرة.

يقول الشيخ أبو بكر الجزائري في تفسير قوله: {ٱجۡتَبَىٰهُ } أي اصطفاه لرسالته وخلته لأنه أحب الله أكثر من كل شيء فتخلل حب الله قلبه فلم يبقى لغيره في قلبه مكان.[٨]

١- صه: انصتي.

٢- غواث أي عوان ومساعدة.

٣- تحوضه: تجعل له حوضاً.

٤- الجامع المسند الصحيح المختصر – صحيح البخاري، تحقيق: محمد زهير بن ناصر، الناشر دار طوق النجاة، ٤/ ١٤٢.

٥- سورة النحل، الآية ١٢١.

٦- المعجم الوسيط – مجمع اللغة العربية، الناشر دار الدعوة ١/ ١٠٠٦. وانظر لسان العرب ٤/ ١٣٠١. والشفاء بتعريف حقوق المصطفى، عياض بن موسى أبو الفضل، دار الفيحاء، الطبعة الثانية، ١/ ٤٥٤.

٧- فتح القدير، الشوكاني، دار ابن كثير، بيروت، الطبعة الأولى، ٣/ ٢٤١. وانظر تفسير الزمخشري، دار الكتب العربي – بيروت، الطبعة الطبعة الثالثة، ٢/ ٦٤٣.

٨- أيسر التفاسير، للجزائري، مكتبة العلوم والحكم، المدينة، الطبعة الخامسة، ٣/ ١٦٨.

يقول الإمام ابن تيمية إذا كان العبد مخلصاً لله اجتباه فأحيا قلبه واجتذبه إليه فيصرف عنه ما يضاد ذلك من السوء والفحشاء ويخاف من حصول ضد ذلك بخلاف القلب الذي لم يخلص لله فإن فيه طلباً وإرادة وحباً مطلقاً فيهوى ما يسنح له بما يهواه كالغصن أي نسيم مر به عطفه وأماله فتارة يجتذبه الصور المحرمة وغير المحرمة فبقى أسيراً عبداً لمن لو اتخذه هو عبداً له لكان ذلك عيباً ونقصاً وذماً. [١]

فالله سبحانه هو الذي اختاره إبراهيم لهذا الفضل العظيم وإكرامه بهذا الخير العميم وهداه إلى صراط التوحيد الخالص القويم.

وهكذا نرى أن إبراهيم عليه السلام قد نال هذا الاجتباء والاصطفاء بفضل من الله عز وجل.

خامس عشر: أول من يكسى من الخلائق يوم القيامة:

إن أول من يكسى يوم القيامة سيدنا إبراهيم عليه السلام. روى الإمام البخاري في صحيحه عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "إنكم تحشرون حفاة عراء غرلاً، ثم قرأ {كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ ۚ وَعْدًا عَلَيْنَآ ۚ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ ﴿١٠٤﴾}[٢] وأول من يكسى يوم القيامة إبراهيم"[٣].

يقول الإمام ابن حجر في كتاب فتح البارئ: إن الحكمة من خصوصية إبراهيم بذلك لكونه ألقي في النار، وقيل لأنه أول من لبس السراويل، وقيل إنه لم يكن في الأرض أخوف لله منه فعجلت له الكسوة أماناً له ليطمئن قلبه. [٤]

وهذه الأقوال ما هي إلا استنباطاً لبعض العلماء وتقديم إبراهيم بالكسوة لا يقتضي أنه أفضل من نبينا محمد صلى الله عليه وسلم مطلقاً [٥]، فالرسول صلى الله عليه وسلم هو أفضل الخلق على الإطلاق وتقديم الخليل على نبينا في الكسوة واللباس له عدة معاني ذكرها بعض العلماء منها:

١- العبودية، ابن تيمية، تحقيق: محمد زهير الشاوش، الناشر الكتب الإسلامي، الطبعة السابعة، ١/ ١٢٤. وانظر الفتاوى الكبرى، ابن تيمية، دار الكتب العلمية، ٥/ ٤٠٢.

٢- سورة الأنبياء، الآية ١٠٤.

٣- صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل البخاري، تحقيق: محمد زهير بن ناصر ، الناشر دار طوق النجاة، ٤/ ١٣٩.

٤- فتح البارئ بشرح صحيح البخاري، ابن حجر، دار المعرفة، ١١/ ٣٨٤.

٥- منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية، ابن تيمية، تحقيق: محمد رشاد سالم، الناشر جامعة الإمام محمد بن سعود.

أولاً: أنه أول من يكسى بعد نبينا عليه الصلاة والسلام لأن المتكلم لا يدخل في عموم كلامه فقوله أول من يكسى أي من الخلائق غيري أي بعدي هو إبراهيم ووجه ذلك أن أفضل الخليلين نبينا محمد صلى الله عليه وسلم فكسي ثم كسي خليل الرحمن وهذا توجه قال به بعض العلماء. [١]

ثانياً: قيل إن الحديث على ظاهره ولا يضاف إليه قيد فهو أول من يكسى مطلقاً وفي ذلك مزية لإبراهيم عليه وسلم على نبينا عليه الصلاة والسلام لكن لا يلزم أنه أفضل منه مطلقاً.

ثالثاً: قيل إن نبينا عليه الصلاة والسلام يتأخر في الكسوة عن خليل الرحمن إبراهيم لكن يكسى بحلة أعلى وأكمل. [٢] فهي حلة من حلل الجنة.

وسواء كسي إبراهيم أولاً أم رسولنا لكن سوف يكسى في يوم شديد حرة في يوم يقف الناس عراة كما ولدتهم أمهاتهم فيكسى إبراهيم لما قدمه في دنياه ضحى بنفسه وتجرد من ثيابه حينما ألقي في النار وقيد ثم رمي فيها وهو من أولي العزم من الرسل [٣] لكنه صبر واستسلم لأمر الله وكان شديد الخوف من الله فكان أخوف الخلق من رب العالمين فإذا كان هذا الخوف وهذا الاضطراب فينبغي أن يعجل له الأمن والكسوة علامة الأمن وأنه مرضي عنه.

والدعاة إلى الله اليوم يعتريهم خوف ويتعرضون لألوان شتى من التعذيب يجردون من ثيابهم وينكل بهم لكن لا يضيع هذا عند الله العليم القدير فسوف يكسيهم الله يوم القيامة بسبب ما تعرضوا له من بلاء فعطاء الله واسع فالله سوف يجازي الصابرين وينتقم من العاصين المجرمين {وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ }[٤].

سادس عشر: كونه خير البرية:

أثنى الله سبحانه وتعالى على نبيه وخليله إبراهيم عليه السلام في كثير من آيات القرآن الكريم وكذلك أثنى النبي صلى الله عليه وسلم على سيدنا إبراهيم عليه السلام ووصفه بأنه خير البرية.

١- درس للشيخ عبد الرحيم الطحان، على الإنترنت، ٦/ ١٥٧.
٢- فتح البارئ، ابن حجر، ١١/ ٣٨٥.
٣- وأولى العزم من الرسل هم: محمد، نوح، إبراهيم، موسى، عيسى، قال تعالى: {وإِذْ أَخذنا مِن النَّبيينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنكَ ومِن نُوح وإِبراهِيمَ ومُوسَى وَعِيسَى ابن مَرْيم...} الأحزاب.
٤- سورة الشعراء، الآية ٢٢٧.

روى الإمام مسلم عن أنس بن مالك قال: جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يا خير البرية، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ذاك إبراهيم عليه السلام"[١].

والنبي صلى الله عليه وسلم قال ذالك تواضعاً وإلا فهو أفضل الخلق على الإطلاق. وهو الذي قال عن نفسه "أنا سيد ولد آدم يوم القيامة، وأول من تنشق عنه القبر وأول شافع وأول مشفع"[٢]. وهذا الحديث دليل على تفضيله صلى الله عليه وسلم على الخلق كلهم.

سابع عشر: أقرب شبهاً برسول الله صلى الله عليه وسلم:

من الصفات التي وهبها الله تبارك وتعالى لنبيه إبراهيم حبيبنا محمد صلى الله عليه وسلم هو التشابه بينهما في الخلقة، فعن جابر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "عُرض عليَّ الأنبياء فإذا موسى ضرْب من الرجال كأنه من رجال شنوءَةَ ورأيت عيسى بن مريم عليه السلام فإذا أقرب من رأيت به شبهاً عروة بن مسعود، ورأيت إبراهيم صلوات الله عليه فإذا أقرب ما رأيت به شبهاً صاحبكم – يعني نفسه – ورأيت جبريل عليه السلام فإذا أقرب من رأيت به شبهاً دحية"[٣].

وقد ذكر النبي صلى الله عليه وسلم ذلك في رحلة الإسراء والمعراج حيث قال عن نفسه "أنا أشبه ولدِ إبراهيم صلى الله عليه وسلم. [٤]

١- صحيح مسلم، حديث رقم ٢٣٦٩، الناشر دار إحياء التراث العربي، بيروت، ٤/ ١٨٣٩.
٢- شرح النووي على مسلم، ١٥/ ٣٧.
٣- صحيح مسلم، حديث رقم ١٦٧، ١/ ١٥٣.
٤- صحيح البخاري، حديث رقم ٣٣٩٤، تحقيق: محمد نصر بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ، ٤/ ١٥٢.

المبحث الثالث: دعاء إبراهيم عليه السلام

من الصفات البارزة عند سيدنا إبراهيم عليه السلام كثرة إلتجائه إلى الله سبحانه وتعالى بالدعاء. والدعاء صورة محببه إلى الله تعالى إلى درجة يقول فيها الرسول "إنه من لم يسأل الله يغضب عليه"[١] وهذا الحديث يسير في انسجام مع ما رواه الإمام أحمد عن النعمان بن بشير قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "إن الدعاء هو العبادة"[٢] ثم قرأ {وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾ }[٣] ولقد وصف الله نفسه بأنه قريب وبأنه مجيب وبأنه رؤوف رحيم وبأنه ودود وقال {وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِۖ فَلْيَسْتَجِيبُواْ لِى وَلْيُؤْمِنُواْ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾ }[٤].

ومنزلة الدعاء بهذه المثابة لأنه تضرع إلى الله والإلتجاء إليه وحده وتحقيق لقوله تعالى: {إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾ }[٥] وذلك إنما هو تحقيق الإسلام لوجه الله وهو أخص خصائص التدين السليم.

ولقد كان سيدنا إبراهيم عليه السلام يدعوا إلى الله ويلجأ إليه في كل أموره حتى إنه في الحالات التي كان يغلبه فيها الحياء من الله فيصمت لسانه كأن حاله فيها ناطقاً بالدعاء. [٦]

دعاء إبراهيم من أجل إنجاب الولد:

لقد دعا سيدنا إبراهيم عليه السلام من أجل إنجاب الولد فاتجه إلى ربه يسأله الذرية الصالحة والخلف الصالح فقال: {رَبِّ هَبْ لِى مِنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ ﴿١٠٠﴾ فَبَشَّرْنَـٰهُ بِغُلَـٰمٍ حَلِيمٍ ﴿١٠١﴾ }[٧]؛ أي رب هب لي ولداً صالحاً يعينني على طاعتك ويؤنسني في الغربة فبشرناه بغلام حليم، أي فبشرناه بصبي ذكر كبير ويصير ذا حِلم كثير. وهذا الغلام كما

١- رواه الترمذي وحسنه الألباني، ٥/ ٤٥٦.
٢- مسند الإمام أحمد بن حنبل، تحقيق شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، ٣٠/ ٢٩٧.
٣- سورة غافر، آية ٦٠ .
٤- سورة البقرة، الآية ١٨٦.
٥- سورة الفاتحة، الآية ٥.
٦- في رحاب الأنبياء، د. عبد الحليم محمود، كتاب اليوم، ص ١٠١.
٧- سورة الصافات، الآيات ١٠٠ – ١٠١.

قال ابن كثير عليه السلام فإنه أول ولد بشر به إبراهيم عليه السلام [١]، والغلام هو إسماعيل عليه السلام، ولنا أن نتصور فرحة إبراهيم الوحيد المفرد المهاجر المقطوع من أهله وقرابته لنا أن نتصور فرحته بهذا الغلام الذي يصفه بأنه حليم. [٢]

دعاء سيدنا إبراهيم عندما كان يتفقد تركته في مكة:

لما ذهب سيدنا إبراهيم عليه السلام ليتفقد ابنه إسماعيل بعد غياب طويل وبعد أن ماتت أم إسماعيل فجاء إبراهيم بعد ما تزوج إسماعيل يطالع تركته فلم يجد إسماعيل فسأل امرأته عنه فقالت: خرج يبتغي لنا، ثم سألها عن عيشهم وهيئتهم فقالت: نحن في ضيق وشدة وشكت إليه قال: فإذا جاء زوجك فاقرئ عليه السلام وقولي له يغير عتبه بابه. فلما جاء إسماعيل كأنه آنس شيئاً فقال: هل جاءكم من أحد؟ فقالت: نعم جاءنا شيخ كذا وكذا فسألنا عنك فأخبرتُهُ، وسألني كيف عيشنا، فأخبرته إنا في جهد وشدة، قال: فهل أوصاك بشيء؟ قالت: نعم أمرني أن أقرأ عليك السلام ويقول لك غير عتبة بابك، قال: ذاك أبي، وقد أمرني أن أفارقك فألحقي بأهلك، وطلقها وتزوج منهم أخرى، ولبث عنهم إبراهيم ما شاء الله ثم أتاهم بعد فلم يجدهُ فدخل على امرأته فسألها عنه فقالت: خرج يبتغي لنا، قال: كيف أنتم؟ وسألها عن عيشهم وهيئتهم، فقالت: نحن بخير وسعة وأثنت على الله عز وجل فقال: ما طعامكم؟ قالت: اللحم، قال: فما شرابكم؟ قالت: الماء، قال: "اللهم بارك في اللحم والماء". قال النبي صلى الله عليه وسلم ولم يكن لهم يومئذ حب ولو كان لهم حب لدعا لهم فيه فهما لا يخلو عليها أحد بغير مكة إلا لمْ يوافقاه قال: فإذا جاء زوجك فأقرئي عليه السلام ومريه أن يثبت عتبة بابه، فلما جاء إسماعيل قال: هل أتاكم من أحد؟ قالت: نعم. أتانا شيخ حسن الهيئة وأثنت عليه فسألني عنك فأخبرته فسألني كيف عيشنا فأخبرته أنا بخير قال: فأوصاك بشيء؟ قالت: نعم، هو يقرأ عليك السلام ويأمرك أن تثبت عتبة بابك، قال: ذاك أبي وأنت العتبة أمرني أن أمسكِك، ثم لبث عنهم ما شاء الله ثم جاء بعد ذلك وإسماعيل يبري نباله تحت دوحه قريباً من زمزم فلما رآه قال: يا إسماعيل إن الله أمرني أن أبني هاهُنا بيتاً. [٣]

١- التفسير المنير للزحيلي، ٢٣/ ١١٤.

٢- في ظلال القرآن، سيد قطب، دار الشروق، ٥/ ٢٩٩٤.

٣- قصص الأنبياء، ابن كثير، تحقيق: مصطفى عبد الواحد، مطبعة دار التأليف، القاهرة، الطبعة الأولى، ١/ ٢٠٧.

الدعاء وهما يرفعان قواعد البيت الحرام:

لقد دعا سيدنا إبراهيم عليه السلام ربه عندما كان يبني هذا البيت بأمر من الله فقال لابنه إسماعيل إن الله قد أمرني أن أبني له بيتاً قال: إسماعيل: فأطع ربك، فقال إبراهيم: قد أمرك أن تُعينني على بنائه، قال: إذن أفعل فقام معه فجعل إبراهيم يبنيه، وإسماعيل يناوله الحجارة ثم قال إبراهيم لإسماعيل: إإتني بحجر حسن أضعه في الركن فيكون للناس علماً، فناداه أبو قبيس: إن لك عندي وديعة، وقيل: بل جبرائيل أخبره بالحجر الأسود فأخذه ووضعه موضعه وكانا كلما بنيا دعوا الله: {رَبَّنَا تَقَبَّلۡ مِنَّآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾ }[1].

فلما ارتفع البناء وضعف الشيخ عن رفع الحجارة قام على حجر وهو مقام إبراهيم، فجعل يناوله فلما فرغ من بناء البيت أمره الله أن يؤذن في الناس بالحج فقال إبراهيم: يا رب وما يبلغ صوتي؟ قال: أذن وعلي البلاغ، فنادى: أيها الناس إن الله قد كتب عليكم الحج إلى البيت العتيق فسمعه ما بين السماء والأرض وما في أصلاب الرجال وأرحام النساء فأجابه من آمن ممن سبق في علم الله أن يحج إلى يوم القيامة.[2]

دعوات خاشعات:

وبعد أن فرغا إبراهيم وإسماعيل من رفع قواعد البيت قالا {رَبَّنَا وَٱجۡعَلۡنَا مُسۡلِمَيۡنِ لَكَ} ولم يكتفيا بذلك بل أراد امتداد حلاوة التكليف إلى ذريتهما من بعدهما فيقولان {وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةٗ مُّسۡلِمَةٗ لَّكَ }[3] من الإسلام وهو الخضوع والإذعان وقد كانا خاضعين مذعنين في كل حال وإنما طلبا الثبات والدوام على ذلك الإسلام الذي هو الخضوع لله بحق وإنما يتحقق بعقيدة التوحيد وتحري ما رسمه الشارع في العبادات والمعاملات والأخلاق في أداء ما أمر واجتناب ما نهى.

وقوله {وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةٗ مُّسۡلِمَةٗ لَّكَ } معناه واجعل يا ربنا من ذريتنا أمة مخلصة وجهها إليك مذعنة لأوامرك ونواهيك[4]، وهي دعوة تكشف عن اهتمامات القلب المؤمن.

١- سورة البقرة، آية ١٢٧.
٢- الكامل في التاريخ، ابن الأثير، تحقيق: عمر عبد السلام، دار الكتاب العربي، ١/ ٩٥.
٣- تفسير الشعراوي، مطابع أخبار اليوم، ١/ ٥٨٧.
٤- التفسير الوسيط، سيد طنطاوي، ١/ ٢٧٣.

إن أمر العقيدة هو شغله الشاغل وهو همه الأول وشعور إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام – بقيمة النعمة التي أسبغها الله عليهما – نعمة الإيمان تدفعهما إلى الحرص عليها في عقبهما وإلى دعاء الله ربهما ألا يحرم ذريتهما هذا الإنعام الذي لا يكافئه إنعام لقد دعوا الله ربهما أن يرزق ذريتهما من الثمرات، ولم ينسيا أن يدعوا ليرزقهم من الإيمان وأن يريهم جميعاً مناسكهم، ويبين لهم عباداتهم وأن يتوب عليهم بما أنه هو التواب الرحيم. [١]

ختام دعوة إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام:

ثم يختم إبراهيم وإسماعيل دعواتهما بتلك الدعوة التي فيها خيرهم في الدنيا والآخرة فقالا: {رَبَّنَا وَٱبۡعَثۡ فِيهِمۡ رَسُولاً مِّنۡهُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَيُزَكِّيهِمۡۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ١٢٩ }[٢].

أي ربنا وأبعث من الأمة المسلمة من ذرية إبراهيم وإسماعيل رسولاً منهم وكانت الاستجابة لدعوة إبراهيم وإسماعيل هي بعثة هذا الرسول الكريم بعد قرون وقرون، بعثه رسول من ذرية إبراهيم وإسماعيل يتلو عليهم آيات الله ويعلمهم الكتاب والحكمة ويطهرهم من الأرجاس والأدناس. [٣]

ولهذا قال صلى الله عليه وسلم: (أنا دعوة أبي إبراهيم وبشرى أخي عيسى ورأت أمي حين حملت بي أنه خرج منها نوراً أضاء له قصور الشام). [٤]

يقوم هذا الرسول الكريم بتلاوة آيات الله من القرآن الكريم ويعلمهم ويفقهم في ما ورد في كتاب الله من حكم وأحكام ويرشدهم إلى صلاح دنياهم وآخرتهم بما ورد في سنته صلى الله عليه وسلم ويقوم بتزكيتهم. والتزكية هنا هي التزكية الممدوحة شرعاً ولها معنيان:

المعنى الأول: التنقية والطهارة أي تنقى قلوبهم وجوارحهم من الشرك والمعاصي والأخلاق الرذيلة والأفعال الصحيحة.

١- في ظلال القرآن، سيد قطب، دار الشروق، ١/ ١١٥.
٢- سورة البقرة، الآية ١٢٩.
٣- في ظلال القرآن، سيد قطب، ١/ ١١٥.
٤- انظر مسند الإمام أحمد، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، إسناد صحيح صححه الحاكم ووافقه الذهبي، ٢/ ٣٨١.

والمعنى الثاني: التنمية والزيادة أي زيادة الخير والإيمان والعبادة في قلوبهم وعلى جوارحهم وتختم الآية بالثناء على الله بالقول {إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ } فهو صاحب العزة والغلبة والهيمنة يهبها لأوليائه وهو الحكيم ذو حكمة بالغة وشاملة في تصرفاته وأقواله وأحكامه وتشريعاته. (١)

الدعاء لمكة ولأهلها:

قال تعالى: {وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا ٱلْبَلَدَ ءَامِنًا وَٱجْنُبْنِى وَبَنِىَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ ﴿٣٥﴾ رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ ۖ فَمَن تَبِعَنِى فَإِنَّهُۥ مِنِّى ۖ وَمَنْ عَصَانِى فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٦﴾ رَّبَّنَآ إِنِّىٓ أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِى بِوَادٍ غَيْرِ ذِى زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ ٱلْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجْعَلْ أَفْـِٔدَةً مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهْوِىٓ إِلَيْهِمْ وَٱرْزُقْهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ﴿٣٧﴾ رَبَّنَآ إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِى وَمَا نُعْلِنُ ۗ وَمَا يَخْفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ ﴿٣٨﴾ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى وَهَبَ لِى عَلَى ٱلْكِبَرِ إِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ ۚ إِنَّ رَبِّى لَسَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ﴿٣٩﴾ رَبِّ ٱجْعَلْنِى مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ وَمِن ذُرِّيَّتِى ۚ رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَآءِ ﴿٤٠﴾ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ ٱلْحِسَابُ ﴿٤١﴾ }(٢).

من دعاء إبراهيم عليه السلام بأن يجعل الحرم آمناً ويرزق أهله من الثمرات ويجعل الأفئدة تهوي إليهم.

في هذه الآيات تذكير بالأمن والاستقرار – أي وأذكر يا محمد لقومك حين دعا إبراهيم بقوله ربي اجعل مكة بلداً آمناً؛ أي ذا أمن واستقرار لا يسفك فيه دم ولا يظلم فيه أحد وقد أجاب الله دعاءه فجعله آمناً للإنسان والطير والنبات فلا يقتل فيه أحد ولا يصاد

١- مع الأنبياء في الدعوة إلى الله، محمد عبد القادر أبو فارس، ص ١٧٦.
٢- سورة إبراهيم، الآيات ٣٥ – ٤١.

صيده ولا يختلى خلاه ولا يعضد شجره [١]، كما قال تعالى: {أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّا جَعَلۡنَا حَرَمًا ءَامِنًا وَيُتَخَطَّفُ ٱلنَّاسُ مِنۡ حَوۡلِهِمۡۚ أَفَبِٱلۡبَٰطِلِ يُؤۡمِنُونَ وَبِنِعۡمَةِ ٱللَّهِ يَكۡفُرُونَ ﴿٦٧﴾ }[٢].

وقال تعالى: {وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًا }[٣].

وقدم إبراهيم عليه السلام – في دعائه نعمة الأمن على غيرها لأنها أعظم أنواع النعم لأنها إذا فقدها الإنسان اضطرب فكره، وصعب عليه أن يتفرغ لأمور الدين أو الدنيا بنفس مطمئنة وبقلب خال من المنغصات والمزعجات. [٤]

ثم دعا إبراهيم عليه السلام أن يجنبه عبادة الأصنام {وَٱجۡنُبۡنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعۡبُدَ ٱلۡأَصۡنَامَ } جمع صنم، والصنم: هو التمثال المصور.

فاستجاب الله لإبراهيم في دعوته [٥] وجعله من أهل الإخلاص والتوحيد.

ثم تتوالى دعوات سيدنا إبراهيم عليه السلام بعدما ترك ابنه إسماعيل بمكة فتبعته إم إسماعيل فقالت: يا إبراهيم، أين تذهب وتتركنا بهذا الوادي، الذي ليس فيه إنس ولا شيء؟ فقالت له ذلك مراراً وجعل لا يلتفت إليها، فقالت له: آلله أمرك بهذا؟ قال: نعم، قالت: إذن لا يضيعنا ثم رجعت، فانطلق إبراهيم حتى إذا كان عند الثنية حيث لا يرونه، استقبل بوجهه البيت ثم دعا بهؤلاء الكلمات، ورفع يديه فقال: رب {رَّبَّنَآ إِنِّيٓ أَسۡكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيۡرِ ذِي زَرۡعٍ عِندَ بَيۡتِكَ ٱلۡمُحَرَّمِ }[٦] حتى بلغ {يَشۡكُرُونَ} [٧].

دعوات خاشعات:

ثم حكى إبراهيم عليه السلام دعاءاً آخر من تلك الدعوات الخاشعة التي تضرع بها إلى ربه فقال {رَبَّنَآ إِنَّكَ تَعۡلَمُ مَا نُخۡفِي وَمَا نُعۡلِنُۗ } أي يا ربنا إنك وحدك العليم بما تخفيه نفوسنا من أسرار وما تعلنه وتظهره من أقوال لأنه الظاهر والمقر بالنسبة إليك

١- التفسير المنير، وهبة الزحيلي، ١٣/ ٢٦١.
ومعنى لا يختلى خلاه: أي لا يقطع شجرها ولا نباتها.
ولا يعضد شجره: أي لا يقطع والنهي ليس عن القطع فقط بل عن الخبط بالعصا ونحوها ليسقط الورق.
٢- سورة العنكبوت، الآية ٦٦.
٣- سورة آل عمران، الآية ٩٧.
٤- التفسير الوسيط، سيد طنطاوي، ٧/ ٥٦٤.
٥- تفسير الطبري، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، ١٧/ ١٧.
٦- سورة إبراهيم، الآية ٣٧.
٧- صحيح البخاري، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، ٤/ ١٤٢.

سواء فأنت يا إلهي لا يخفى عليك شيء من الأشياء سواء أكان هذا الشيء في الأرض أم في غيرها. وهذا الدعاء فيه اظهاراً للعبودية. كما قال صاحب الكشاف "إنما ندعوك إظهاراً للعبودية لك وتخشعاً لعظمتك وتذللاً لعزتك وافتقاراً إلى ما عندك"[١].

ويذكر إبراهيم نعمة الله عليه من قبل فيلهج لسانه بالحمد والشكر شأن العبد الصالح يذكر فيشكر {ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى ٱلۡكِبَرِ إِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَۚ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ } وهبة الذرية على الكبر أوقع في النفس، فالذرية امتداد، وما أجل الإنعام به عند شعور الفرد بقرب النهاية وحاجته النفسية الفطرية إلى الامتداد، وإن إبراهيم ليحمد الله ويطمع في رحمته [٢] {إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ }.

ثم توجه إبراهيم عليه السلام إلى ربه فقال {رَبِّ ٱجۡعَلۡنِي مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ وَمِن ذُرِّيَّتِيۚ رَبَّنَا وَتَقَبَّلۡ دُعَآءِ }[٣] أي رب وفقني لأداء الصلاة على وجهها ووفق لأدائها كذلك الأخيار من ذريتي، ربنا تقبل دعائي قبول المستحيب. [٤]

ويختم إبراهيم دعائه الضارع الخاشع بطلب المغفرة له ولوالديه وللمؤمنين جميعاً يوم يقوم الحساب فلا ينفع إنساناً إلا عمله ثم مغفرة الله في تقصيره [٥] {رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ يَوۡمَ يَقُومُ ٱلۡحِسَابُ }[٦].

وبعد أن تبين لنا في هذا الفصل حياة الخليل إبراهيم عليه السلام وانتقاله إلى ربه بعد حياة حافلة مليئة بالإبتلاءات وبرغم الصفات التي تميز بها ولجوئه إلى ربه بالدعاء ولكنه لم يسلم من الإبتلاء، فالإبتلاء يعمل على اصطفاء العناصر القوية الصالحة فلا يدخل العمل من يكون عبئاً على العاملين وإنما يأتي إلى الدعوة ويثبت عليها من تمكن الإيمان من قلبه وعرف معنى الابتلاء والحكمة من صبر الدعاة على الابتلاء وفوائد هذا الابتلاء وهذا ما سأستعرضه في الفصل التالي إن شاء الله تعالى.

١- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، الزمخشري، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الثالثة، ٢/ ٥٦٠.
٢- في ظلال القرآن، سيد قطب، ٤/ ٢١١٠.
٣- سورة إبراهيم، الآية ٤٠.
٤- المنتخب في تفسير القرآن، المؤلف لجنة من علماء الأزهر، الناشر: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، طبع مؤسسة الأهرام، الطبعة الثامنة عشر، ١/ ٣٧٠.
٥- في ظلال القرآن، سيد قطب، دار الشروق، ٤/ ٢١١١.
٦- سورة إبراهيم، الآية ٤١.

الفصل الثالث

الابتلاء من سنن الدعوات.

المبحث الأول: **مفهوم الابتلاء والحكمة منه**.

المبحث الثاني: **صبر الدعاة على الابتلاء**.

المبحث الثالث: **فوائد الابتلاء**.

المبحـــث الأول: مفهوم الابتلاء والحكمة منه

أولاً: مفهوم الابتلاء:

ورد في لسان العرب: بلوتُ الرجل بلْواً وبلاءً، وابتلَيْته: اخْتبرته، وبلاه يبلُوه بلواً إذا جربه واختبره [١].

ومن ذلك قول القائل:

بُليتُ وفقدان الحبيب بلية
وكَمْ مِن كريم يبتلى ثم يَصْبِرُ [٢]

ابتلاه جربه وعرفه.

والبلاء المحنة تنزل بالمرء ليختبر بها، والبلاء الغم والحزن، والبلاء الجهد الشديد في الأمر [٣]، والبلاء الاختبار يكون بالخير والشر، يقال أبلاه الله بلاء حسناً [٤].

وفي النهاية لابن الأثير:

الابتلاء الاختبار والامتحان. يقال بلوته وابليته وابتليته ومنه حديث كعب بن مالك: "مـا علمت أحد أبلاه أحسن مما ابلاني". والمعروف أن الابتلاء يكون في الخير والشر معاً من غير فرق بين فعلهما [٥] ومنه قوله تعالى: {وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً }[٦] {[٦]

ومن المفردات في غريب القرآن:

بلوته اختبرته ولذلك قيل بلوت فلاناً إذا اختبرته- وسمي الغم بلاء من حيث أنه يبلي الجسم قال تعالى: {وَفِي ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ } [٧]

وقال تعالى: {إِنَّ هَـٰذَا لَهُوَ ٱلْبَلَـٰٓؤُاْ ٱلْمُبِينُ } [٨]

وسمي التكليف بلاء من أوجه:

---

(١) لسان العرب ٨٣/١٤، ابن منظور دار صادر بيروت الطبعة الثالثة.
(٢) معجم مقاييس اللغة ٢٩٣/١، ابن فارس تحقيق عبد السلام هارون، دار الفكر.
(٣) المعجم الوسيط ٧١/١، مجمع اللغة العربية، تحقيق إبراهيم مصطفى وآخرون دار الدعوة.
(٤) مجمع اللغة ١٣٣/١، لابن فارس تحقيق زهير عبد المحسن، دار النشر مؤسسة الرسالة.
(٥) النهاية من غريب الحديث والأثر ١٥٥/١، ابن الأثير – الناشر المكتبة العلمية – بيروت ١٣٩٩هـ، ١٩٧٩م تحقيق طاهر أحمد الزاوي، الزاوي، محمود الطناحي.
(٦)الأنبياء: الآية ٣٥.
(٧) البقرة، الآية ٤٩.
(٨) الصافات، الآية ١٠٦.

أحدها: أن التكاليف كلها مشاق على الأبدان

فصارت من هذا الوجه بلاء.

والثاني: أنها اختبارات، ولهذا قال الله عز وجل: {وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ ٱلْمُجَٰهِدِينَ مِنكُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَنَبْلُوَاْ أَخْبَارَكُمْ ﴿٣١﴾ } [١]

والثالث: أن اختيار الله تعالى لعباده تارة بالمسار ليشكروا، وتارة بالمضار ليصبروا، فصارت المحنة والمنحة جميعاً بلاء، فالمحن مقضية للشكر. والقيام بحقوق الصبر أيسر من القيام بحقوق الشكر فصارت المنحة أعظم البلاءين [٢].

وفي المعجم الوسيط: ابتلاه جربه وعرفه. والبلاء المحنة تنزل بالمرء ليختبر بها، والبلاء الغم والحزن والجهد الشديد في الأمر [٣]

والبلاء: النعمة والاختبار بالخير ليتبن الشكر وبالشر ليظهر الصبر. [٤]

إذن البلاء يكون في الخير والشر والله يبتلي العبد بلاءً حسناً وبلاءً سيئاً، لأن ذلك اختبار في صبره وشكره. [٥]

والبلاء التكليف لأنه شاق على البدن [٦].

وقال ابن الأعرابي: أبْلي فلان إذا اجتهد في صفة حرب أو كرم.

يقال أبْلى ذلك اليوم بلاءً حسناً [٧].

ويقال يبلوه بلواً إذا ابتلاه الله ببلاءً.

ويقال أبلاه الله يبليه إبلاءً حسناً إذا صنع به صنيعاً جميلاً [٨].

وورد في القاموس المحيط: ابتلينه! اختبرنه، وابتليتُ الرجل فأبْلاني! استخبرته فأخبرني وامتحنته، واختبرته كبلوته بلواً وبلاءً.

والاسم البلوى والبليّة والبِلوة بالكسر والبلاء الغم كأنه يبلى الجسم، والتكليف بلاء، لأنه شاق على البدن أو لأنه اختبار، والبلاء منحة ويكون محنة [١].

---

(١) محمد، الآية ٣١.

(٢)المفردات في غريب القرآن ١٤٥/١ الراغب الاصفهاني، تحقيق عدنان الداودي الناشر دار القلم، الدار الشامية، دمشق الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ.

(٣)المعجم الوسيط – مجمع اللغة العربية ٧١/١ تحقيق إبراهيم مصطفى أحمد الزيات، الناشر دار الدعوة.

(٤) لسان العرب ١٦٣/٨،مرجع سابق.

(٥) معجم مقاييس اللغة ٢٩٣/١، مرجع سابق.

(٦) تاج العروس ٢٠٧/٣٧.

(٧)المرجع السابق ٢١٤/٣٧.

(٨) تهذيب اللغة ٢٨٠/١٥ محمد بن أحمد أبو السعود، تحقيق محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي- بيروت، الطبعة الأولى.

فالمحنة مقيضة للصبر والمحنة أعظم البلاءين ولهذا قال عمر: بلينا بالضراء فصبرنا وبلينا بالسراء فلم نصبر [٢].

وفي مختار الصحاح:

البليّةُ والبلوى والبلاء بمعنى واحد والجمع البلايا، وبلاه جربه واختبره وهو من باب عدا أي بمعنى أختبرته [٣].

والبليّة: الناقة تجعل عند قبر الميت، ففي الجاهلية الناقة بموت صاحبها تحبس عند قبره حتى تموت، وكان أهل الجاهلية يزعمون أن صاحبها يركبها يوم القيامة ولا يمشي إلى المحشر [٤].

وناقة بِلًو بكسر الباء: أبلاها السفر. وناقة بليَّة: يموت صاحبها فيحفر لديها حفرة وتشد رأسها إلى حلقها وتبلى أي تترك هناك لا تعلق ولا تسقى حتى تموت جوعاً وعطشاً.[٥]

قال ابن الأعرابي: البلى والبليَّة والبلايا التي قد أعطيت وصارت نِضواً هالكاً [٦].

وهذه المعاني لا تخرج عن أصل الابتلاء الذي هو الاختبار والامتحان، وأن التكليف يسمى بلاء ويسمى الحزن والغم بلاء، وتارة ينصرف معنى البلاء إلى مبالغة الجهد في الأمر.

والبلاء يكون محنة ويكون منحة. والبلاء يكون في الخير والشر.

وسوف يتضح ذلك من خلال المعنى الشرعي للابتلاء.

معاني الابتلاء في الشرع:

أصل معنى الابتلاء: هو الاختبار والامتحان فهو اختبار من الله لعباده.

فالابتلاء: هو الاختبار والأمر الجلل ينزل الله تعالى بالموحدين ليتبن مدى صبره. [٧]

قال المناوي: البلاء كالبلية: الامتحان وسمى بلاء لأنه يبلى الجسم[٨].

وقال الكفوي: الابتلاء التكليف في الأمر الشاق ويكون في الخير وفي الشر معاً ولكنهم (عادة ما) يقولون: في الخير ابتلين إبلاء، وفي الشر: بلوته بلاء [١]

---

(١)القاموس المحيط ١٢٦٤/١ الفيروز أبادي – ص ٥

(٢)تاج العروس مرجع سابق، ٢٠٧/٣٧.

(٣)مختار الصحاح ٤٠/١ الرازي تحقيق يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية، الطبعة الخامسة.

(٤)تاج العروس ٣٩٦/٣١ والمعجم الوسيط ٧١/١،ولسان العرب ٦٢٠/١٢.

(٥)لسان العرب ٨٥،٨٦/١٤.

(٦) نضواً: الثقوب بالكسر البعير المهزول وقبل هو المهزول من جميع الدواب.

(٧)الابتلاء والمحن، محمد أبو فارس، ص ١١.

(٨) التوقيف على مهمات التعريف ٨٣/١، ؟؟؟ الناشر لم يكتب، عبد الخالق ثروت.

وقد ورد الابتلاء بمعنى الاختبار في كثير من آيات القرآن الكريم منها:

١) قوله تعالى: {وَبَلَوْنَٰهُم بِٱلْحَسَنَٰتِ وَٱلسَّيِّـَٔاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ } [٢]

قال القرطبي وبلوناهم: أي اختبرناهم بالحسنات أي بالخصب والعافية والسيئات أي بالجدب والشدائد [٣].

وقال ابن جرير: واختبرناهم بالرخاء في العيش والخفض في الدنيا والدعة. والسعة في الرزق. وبالسيئات – الشدة في العيش والشظف فيه والمصائب والرزايا في الأموال[٤].

فأصل الابتلاء إذن هو الامتحان والاختبار ليعرف حال الإنسان وسمي التكليف بلاء يشق على الأبدان.

وقيل ليختبر به حال الإنسان فإذا قيل: ابتلى فلان بكذا يتضمن أمرين:

أحدهما: تعرف حاله والوقوف على ما يجهل من أمره.

والثاني ظهور جودته ورداءته.

وابتلاء الله للعباد ليس ليعلم أحوالهم والوقوف على ما يجهل منها لأنه عالم بجميع المعلومات التي لا نهاية لها على سبيل التفصيل من الأزل إلى الأبد.

ولكن ليعلم العباد أحوالهم من ظهور جودة ورداءة [٥]، وعلى هذا ينزل قوله تعالى: {۞ وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ۖ } [٦]

٢) ومن ذلك أيضاً قوله تعالى: {وَٱبْتَلُواْ ٱلْيَتَٰمَىٰ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغُواْ ٱلنِّكَاحَ فَإِنْ ءَانَسْتُم مِّنْهُمْ رُشْدًا فَٱدْفَعُوٓاْ إِلَيْهِمْ أَمْوَٰلَهُمْ }[٧] وابتلوا من الابتلاء بمعنى الاختبار والامتحان، والخطاب للأولياء والأوصياء وكل من له صلة باليتامى.

والمراد أن يختبر الأولياء اليتامى في عقولهم وأفهامهم يقول الأمام الطبري: واختبروا عقول يتاماكم في أفهامهم وصلاحهم في أديانهم، وإصلاحهم أموالهم.

---

(١)الكليات ٣٤/١ الكفوي، تحقيق عدنان إدريس، محمد المصري، مؤسسة الرسالة.
(٢)الأعراف، الآية ١٦٨.
(٣)القرطبي ٣١٠/٧
(٤)تفسير ابن جرير الطبري ٢٠٩/١٣
(٥) لباب التأويل في معاني التنزيل، الخازن، ٧٦/١، تحقيق محمد على شاهين، دار الكتب العلمية.
(٦) البقرة: ١٢٤
(٧) النساء، الآية ٦.

قال قتادة والحسن: اختبروا اليتامى.

وقال مجاهد: ابتلوا اليتامى، قال عقولهم.

وقال بن عباس اختبروهم [١]

وقد جاء الابتلاء في القرآن والسنة مستوعباً لمعانيه في اللغة، والتي في الحقيقة لا تخرج عن معنى الاختبار والامتحان وهو يكون حسناً ويكون سيئاً، لأنه يكون بالخير ويكون بالشر.

فالله يبتلي عباده بالمحن والشدائد التي يكرهونها ليظهر صبرهم كما يبتليهم بالنعم والصفح الجميل ليظهر شكرهم. [٢]

قال تعالى: {كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ۗ وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً ۖ وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿٣٥﴾}[٣]

يقول الامام الفخر الرازي: الابتلاء لا يتحقق إلا مع التكليف فالآية دالة على حصول التكليف وتدل على أنه سبحانه وتعالى لم يقتصر بالمكلف على ما أمر ونهى وإن كان فيه صعوبة بل ابتلاه بأمرين.

أحدهما ما سماه خيراً وهو نعيم الدنيا من الصحة واللذة والسرور والتمكين من المرادات.

والثاني ما سماه شراً وهو المضار الدنيوية من الفقر والآلام وسائر الشدائد النازلة بالمكلفين. فبين أن العبد مع التكليف يتردد بين هاتين الحالتين لكي يشكر على المنح ويصبر على المحن فيعظم ثوابه إذا أقام بما يلزم. [٤]

الفرق بين التكليف والابتلاء:

فرَّق أبو هلال العسكري بين التكليف والابتلاء فقال إن التكليف إلزام الإنسان ما يشق عليه وأصله في العربية اللزوم، والابتلاء هو استخراج ما عند المبتلى وتعرف حالة في الطاعة والمعصية بتحمله المشقة وليس هو من التكليف في شيء[٥].

الفرق بين الابتلاء والاختبار:

وفرق أبو هلال العسكري بين الابتلاء والاختبار فقال: الابتلاء لا يكون إلا بتحميل المكاره والمشاق والاختبار يكون بذلك وبفعل المحبوب ألا ترى أنه يقال اختبره

---

(١) تفسير الطبري ٥٧٤/٧ تحقيق أحمد شاكر – مؤسسة الرسالة، وانظر ابن كثير، تحقيق سامي محمد سلامة ٢١٥/٢.

(٢)الثبات وأثره في حياة المسلم في ضوء الكتاب والسنة ص ٢٨١، الأمين الصادق الأمين دار الجوزي.

(٣)الأنبياء: ٣٥

(٤)التفسير الكبير ١٤٣/٢٢ الرازي دار احياء التراث العربي بيروت، الطبعة الثالثة

(٥)الفروق اللغوية ٢٢٦/١ العسكري، تحقيق محمد إبراهيم سليم، دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع القاهرة.

بالإنعام عليه ولا يقال ابتلاه بذلك ولا هو مبتلى بالنعمة كما قد يقال أنه مختبر بها ويجوز أن يقال إن الابتلاء يقضي استخراج ما عند المبتلى من الطاعة والمعصية والاختبار وقوع الخبر بحاله من ذلك والخبر العلم الذي يقع بكنه الشيء وحقيقته فالفرق بينهما بين [١].

الابتلاء بمعني الإنعام والإحسان:

وقد ورد الابتلاء بمعنى الإنعام والإحسان في قوله تعالى: {وَإِذْ نَجَّيْنَٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ ۚ وَفِى ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴿٤٩﴾ } [٢]؛ أي اذكروا آياتي يا بني إسرائيل عليكم إذ نجياكم من آل فرعون أي خلصكم منه وأنقذكم من أيديهم؛ أي فرعون وملئه وجنوده فهذا مما يوجب الشكر والقيام بأوامره[٣]. فالبلاء هنا بمعنى الإنعام والإحسان.

ويأتي البلاء أيضاً بمعنى الإنعام كما في قوله: {وَءَاتَيْنَٰهُم مِّنَ ٱلْـَٔايَٰتِ مَا فِيهِ بَلَٰٓؤٌا۟ مُّبِينٌ ﴿٣٣﴾ } [٤]. أي إنعام بين.

وقال تعالى: في قصة سليمان عندما سخر له من يأتيه بعرش بلقيس في طرفة عين {قَالَ هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّى لِيَبْلُوَنِىٓ ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ} [٥].

قال ابن الأثير: (الابتلاء هنا بمعنى الإنعام والإحسان) [٦]

الفتنــة:

الفتنة لغة: مصدر قولهم: فتَنه يفتِنُه فتناً وفتُوناً ، فهي مأخوذة من (ف ت ن) التي تدل على الابتلاء والامتحان. وأَصل الفتنة إحراق الشيء بالنار لتظهر جودته من رداءته قال بن العربي: الفتنة الاختبار والفتنة الكفر والفتنة اختلاف الناس، في الآراء، والفتنة

(١)الفروق اللغوية مرجع سابق، ٢٦١/١.
(٢)البقرة، الآية: ٤٩.
(٣)تفسير بن كثير ٢٥٨/١ تحقيق سامي محمد سلامة دار طيبة للنشر والتوزيع، انظر تفسير السعدي ٨٥/١.
(٤)الدخان، الآية: ٣٣
(٥)النمل، الآية: ٤٠.
(٦)نضرة النعيم ٦/١، لسان العرب ٨٤/١٤.

الاحتراق بالنار. وجماع الفتنة في كلام العرب: الابتلاء والامتحان ومنه قوله تعالى: {وَفَتَنَّاكَ فُتُونًا }[1] أي أخلصناك[2]

الفتنة اصطلاحاً: أصل الفتنة في اللغة "صهر المعدن" في النار لاختباره، والمدلول الشرعي لها مأخوذ من هذا المعنى: ألا وهو تعريض المؤمن للشدائد والأهوال ليظهر مدى صدقه وثباته وهي بهذا المعنى تساوي معنى الابتلاء والاختبار والامتحان [3]. وقال المناوي: الفتنة: البلية وهي معاملة تظهر الأمور الباطنة [4]. وقال الجرجاني: الفتنة ما يتبين به حال الإنسان من الخير والشر.[5]

موقف المسلم من الفتن:

ولقد تعددت الفتن في هذا العصر، وأصبحت تضرب في كل مجال والدوامة لا ترحم، وموقف الشباب المؤمن الملتزم العفيف الطاهر لا تزلزل وجدان الإنسان فحسب، لكنها تفعل فعلها في جعل حياته تضطرب مهما تحصن، لأن الواقع الذي يعيش فيه أعمق أثراً وأبعد غوراً من أي شيء آخر.

إن أعداء الإسلام لم يقاتلونا بالحديد والنار إلا ساعة من نهار، ثم تطورت وسائل حربتهم فقاتلونا بعد ذلك في الزمن كله بأساليب أخرى، ووسائل أخرى، وكلها فتن وأكثرها ينفذ من خلال أبناء جلدتنا الذين يتكلمون بألسنتنا للأسف الشديد، ومن صور هذه الفتن:

١- العلماني الملحد والذي يتخفى تحت اسم الإسلام ثم هو يشك في شرعية الإسلام وينال من عقيدة التوحيد ويشوه الفكر الإسلامي ويطمس الحق.

٢- الكاتب والصحفي: وكلاهما يزرع الباطل ويدافع عن المنكر، ويتبنى قضايا الانحراف والضلال.

٣- الفيلسوف: الذي يزرع الشك ويزعزع اليقين.

٤- والصحيفة: التي تنشر صور العاريات، وتدعو إلى الاختلاط وتمجد الرزيلة، وتزين الفاحشة

---

(١)طـه، الآية: ٤٠.
(٢)لسان العرب ٣١٨/١٣ ومختار الصحاح ٢٣٤/١
(٣)مفاهيم تربوية ص ٩١، محمد عبد الله الخطيب، دار المنار الحديثة الطبعة الثامنة.
(٤)التوقيف على مهام التعريف ٢٥٦/١ المنادي
(٥)التعريفات ١٦٠/١ للجرجاني

٥- المخدرات: التي تقضي على المال والعقل والصحة والدين والنسل والأخلاق، وبذلك تنهار الأمة بأجمعها.

٦- والتمثيل والرقص: ودعوات العري الفاضح، والإغراء والتخنث والهزل وقتل معنى الجد والشهامة والمروءة في الأسرة المسلمة والفرد المسلم، والأمة المسلمة.

٧- وغول الغلاء الذي يتطاول في كل يوم: وهو في ارتفاع دائم ومستمر، ولا أحد يدري أين يقف، وقد زحف على ضروريات المواطن فالأسعار ترتفع والدخول ثابتة والانسان معذب حائر لا يدري أين يذهب وهذه فتنة الفتن.

هذا جانب صغير من الفتن والمحن التي يتعرض لها المسلون في عصرنا هذا وهي متلاحق. يتعرض لها الجميع الأفراد والجماعات الملتزم وغير الملتزم، ينال كل منهم من نارها على قدر نارها على قدر دينه والتزامه واحساسه بالمسئولية عن مستقبل هذا الدين وعن مصير هذه الأمة [١].

وسائل الثبات أمام الفتن:

١- القرآن الكريم هو وسيلة التثبت الأولى أمام هذه الفتن فهو حبل الله المتين والنور المبين من تمسك به عصمه الله ومن اتبعه انجاه الله ومن دعا إليه هدي إلى صراط مستقيم.

٢- التزام شرع الله والعمل الصالح.

قال تعالى: {يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْأَخِرَةِ ۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَ ۚ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ﴿٢٧﴾ } [٢]

قال قتادة: (أما في الحياة الدنيا) فينبئهم بالخير والعمل الصالح (أما في الآخرة) في القبر وقال تعالى: {وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُواْ مَا يُوعَظُونَ بِهِۦ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا ﴿٦٦﴾ } [٣]

أي على الحق. وهذا بيِّن، وإلا فهل نتوقع ثباتاً من الكسالى القاعدين عن الأعمال الصالحة إذا أطلت الفتنة برأسها وإدلهمَّ الخطب، ولكن الذين آمنوا وعملوا الصالحات يهديهم الله إلى صراطاً مستقيماً ويثبتهم بما ثبتوا به أنفسهم في الدنيا.

---

(١)مفاهيم فروبد، محمد عبد الله الخطيب- دار المنار الحديثة للنشر.
(٢)إبراهيم، الآية ٢٧.
(٣)النساء، الآية:٦٦.

٣- تدبر القصص ودراستها للناس والعمل بها:

والدليل على ذلك قوله تعالى: {وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۚ وَجَآءَكَ فِى هَٰذِهِ ٱلْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٢٠﴾ }[١] ، فلو تأمنا قول الله عز وجل: {قَالُوا۟ حَرِّقُوهُ وَٱنصُرُوٓا۟ ءَالِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ ﴿٦٨﴾ قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِى بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾ وَأَرَادُوا۟ بِهِۦ كَيْدًا فَجَعَلْنَٰهُمُ ٱلْأَخْسَرِينَ ﴿٧٠﴾ }[٢]، قال بن عباس كان آخر قول إبراهيم حين القى في النار: (حسبي الله ونعم الوكيل) ألا تشعر بمعنى من معاني الثبات أمام الطغاة والعذاب يدخل نفسك وأنت تتأمل هذه القصة [٣].

٤- الدعاء: من صفات عباد الله المؤمنين أنهم يتوجهون إلا الله بالدعاء وأن يثبتهم: قال تعالى: {رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا }[٤] وقال تعالى: {رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا }[٥]، وكان صلى الله عليه وسلم يستعيذ بالله من الفتن فكان من دعائه كما روى مالك عنه أنه كان يقول: (اللهم إني أعوذ بك من العجز والكسل والجبن والبخل والهرم وأعوذ بك من عذاب القبر وأعوذ بك من فتنة المحيا والممات) [٦].

وفي رواية عن سعد بن أبي وقاص عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (اللهم إني أعوذ بك من الجبن وأعوذ بك أن أرد إلى أرذل العمر وأعوذ بك من فتنة الدنيا وأعوذ بك من عذاب القبر)[٧].

ثانياً: الحكمة من الإبتلاء:

الله سبحانه وتعالى خلقنا في هذه الحياة لغاية جليلة وحكمة عظيمة ألا وهي طاعته وإخلاص العبودية له وحده قال تعالى: {وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ}[٨]، وهذه العبودية لا تتحقق وتظهر إلا بالإبتلاء.

---

(١)هود، الآية: ١٢٠

(٢)الأنبياء، الآية: ٦٨

(٣)مجلة البيان ٦٧/١٤ صادرة عن المنتدى الإسلامي، مقال: محمد صالح المنجد

(٤)آل عمران، الآية: ٨

(٥)البقرة، الآية: ٢٥٠

(٦)صحيح البخاري ٧٩/٨ باب المعوذتين فتنة المحيا والممات، حديث رقم ٦٣٦٧.

(٧)صحيح البخاري ٧٩/٨ حديث رقم ٦٣٧٠.

٨- سورة الذاريات، الآية ٥٦.

فالإبتلاء مما قضت به سنة الله في الحياة، وإذا كان الابتلاء مما قضت به سنة الله في الحياة، فإن ابتلاء الدعاة إلى الله مما جرت به السنة الإلهية أيضاً فهم يُبتلون بأذى الكفر والمارقين بالقول والكيد واليد، قال تعالى: {وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُواْ عَلَىٰ مَا كُذِّبُواْ وَأُوذُواْ حَتَّىٰٓ أَتَىٰهُمْ نَصْرُنَا ۚ وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ ۚ وَلَقَدْ جَآءَكَ مِن نَّبَإِى ٱلْمُرْسَلِينَ }[1].

فالإبتلاء هو سنة الله في خلقه والحياة مليئة بالإبتلاءات والمحن وأن كل مؤمن ومؤمنة عرضة لكثير منها فيبتلى الإنسان في نفسه وقد يبلى في ماله وأحياناً يبلى بأهله. والله عز وجل يبين لنا هذه الحقيقة في كتابه، قال تعالى: {لَتُبْلَوُنَّ فِىٓ أَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓاْ أَذًى كَثِيرًا ۚ }[2] إنها سنة العقائد والدعوات لابد من بلاء.

بلاء. ولابد من أذى في الأموال والأنفس، ولابد من صبر ومقاومة واعتزام إنه الطريق إلى الجنة وقد حفت الجنة بالمكاره بينما حفت النار بالشهوات. ثم إنه الطريق الذي لا طريق غيره لإنشاء الجماعة التي تحمل هذه الدعوة وتنهض بتكاليفها. [3]

ولقد أشار صلى الله عليه وسلم إلى سنة الابتلاء في العديد من المواقف المهمة في تاريخ الدعوة ولاسيما في مرحلة البناء حينما جاءه بعض الصحابة يطلبون النصر بدعوة معجلة من رسول الله صلى الله عليه وسلم فيردهم إلى الإيمان والثبات والصبر فعن خباب بن الأرت قال: شكونا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهو متوسد برْدةً له في ظل الكعبة قلنا له: ألا تستنصر لنا، ألا تدعوا الله لنا؟ قال: (كان الرجل فيمن قبلكم يحقر له في الأرض، فيجعل فيه فيجاء بالمنشار فيوضع على رأسه فيشقُ باثنتين، وما يصُدُه ذلك عن دينه، ويمشط بأمشاط الحديد ما دون لحْمِه وعظمٍ

١- سورة الأنعام، الآية ٣٤.
٢- سورة آل عمران، الآية ١٨٦.
٣- طريق الدعوة في ظلال القرآن، سيد قطب، ص ٢١٩.

أو عصب، وما يصُدُه ذلك عن دينه، والله ليُتمَّنَّ هذا الأمر حتى يسير الراكبُ من صنعاء إلى حضرموت لا يخاف إلا الله أو الذئب على غنمه، ولكنكم تستعجلون)[1].

حكم الابتلاء:

١) تمحيص القلوب:

من حكم الابتلاء التمحيص وهو كما قال الراغب: أصل التمحيص تخليص الشيء مما فيه عيب.

وقال ابن عرفة: التمحيص: التنقيص، يقال محص الله عنك ذنوبك أي نقصها، فسمّي الله ما أصاب المسلمين من بلاء تمحيصاً لأنه ينقص به ذنوبهم وسماه الله من الكافرين محقاً. [2]

قال تعالى: {وَلَا تَهِنُواْ وَلَا تَحۡزَنُواْ وَأَنتُمُ ٱلۡأَعۡلَوۡنَ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴿١٣٩﴾ إِن يَمۡسَسۡكُمۡ قَرۡحٞ فَقَدۡ مَسَّ ٱلۡقَوۡمَ قَرۡحٞ مِّثۡلُهُۥۚ وَتِلۡكَ ٱلۡأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيۡنَ ٱلنَّاسِ وَلِيَعۡلَمَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَيَتَّخِذَ مِنكُمۡ شُهَدَآءَۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٤٠﴾ وَلِيُمَحِّصَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَيَمۡحَقَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿١٤١﴾ }[3]

قال القاسمي: "لينقيهم ويخلصهم من الذنوب ومن آفات النفوس وأيضاً فإنه خلصهم ومحصهم من المنافقين فتميزوا منهم، ثم ذكر حكمة أخرى وهي {وَيَمۡحَقَ ٱلۡكَٰفِرِينَ } أي يهلكهم، فإنهم إذا ظفروا بغوا وبطروا فيكون ذلك سبب دمارهم وهلاكهم إذ جرت سنة الله تعالى، إذا أراد أن يهلك أعداءه ويمحقهم، قيض لهم الأسباب التي يستوجبون به هلاكهم ومحقهم. ومن أعظمها بعد كفرهم، بغيهم وطغيانهم في أذى أوليائه ومحاربتهم وقتالهم والتسلط عليهم.

وقد محق الله الذين حاربوا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد، وأصروا على الكفر جميعاً. [4]

١- صحيح البخاري، حديث رقم ٣٦١٢، تحقيق: محمد زهير بن ناصر، الناشر دار طوق النجاة، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ، ٤/ ٢٠١.
٢- تاج العروس، ١٨/ ١٥٦.
٣- سورة آل عمران، الآية ١٣٩ – ١٤١.
٤- محاسن التأويل، القاسمي، تحقيق: محمد سابل عيون السود، دار الكتب العلمية – بيروت، ٢/ ٢١٩.

يقول الإمام ابن القيم: "إنه يريد تمحيص المؤمنين: أي تخليصهم من ذنوبهم بالتوبة والرجوع إليه واستغفاره من الذنوب التي أوبل بها عليهم العدو وأنه مع ذلك يريد أن يمحق الكافرين ببغيهم وطغيانهم وعداوتهم إذا انتصروا". [١]

ولابد من التسليم بضرورة وقوع الابتلاء لتمييز الخبيث من الطيب، ولذلك كان ابتلاء الأنبياء والرسل فلم يحدث انتصار دائم أو هزيمة دائمة وإنما تفاوت أمرهم بين هذا وذاك.

يقول الحافظ ابن حجر: والحكمة في ذلك أنهم لو انتصروا دائماً لدخل في المؤمنين من ليس منهم ولم يتميز الصادق من غيره ولو انكسروا دائماً لم يحصل المقصود من البعثة فاقتضت الحكمة الجمع بين الأمرين، حتى يتميز الصادق من الكاذب وقد ظهر المنافقون وعرفهم المؤمنون في أحد وذلك أن باطن المنافقين كان مخفياً عن المسلمين فلما جرت أحداث "أحد" وأظهر أهل النفاق ما أظهروه من الفعل عاد التلويح تصريحاً وعرف المسلمون أن لهم عدواً في دورهم فاستعدوا لهم وتحرزوا منهم. [٢]

٢) إعداد المؤمنين للتمكين في الأرض:

الإبتلاء مرتبط بالتمكين ارتباطاً وثيقاً فلقد جرت سنة الله تعالى ألا يمكن لأمة إلا بعد أن تمر بمراحل الاختبار المختلفة وإلا بعد أن ينصهر معدنها في بوتقة الأحداث فيميز الله الخبيث من الطيب، وهي سنة جارية على الأمة الإسلامية لا تتخلف، فقد شاء الله أن يبتلي المؤمنين ويختبرهم ليمحص إيمانهم ثم يكون لهم التمكين في الأرض بعد ذلك، سئل رجل الإمام الشافعي فقال يا أبا عبد الله أيما أفضل للرجل أن يمكن أم يبتلى، فقال الشافعي لا يمكن حتى يبتلى، فإن الله ابتلى نوحاً وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين فلما صبروا مكنهم فلا يظن أحد أن يخلص من الألم البتة. [٣]

لقد أصاب المسلمين القرح في غزوة أحد أصابهم القتل والهزيمة أصيبوا في أرواحهم وأصيبوا في أبدانهم بأذى كثير – قتل منهم سبعون صحابياً وكسرت رباعية

١- إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان، ابن القيم، تحقيق: محمد حامد الفقي، مكتبة المعارف –الرياض، ٢/ ١٩١.
٢- فتح البارئ، ج٧، ص ٣٤٧. نقلاً عن كتاب السيرة النبوية والدعوة في العهد المدني، أحمد علوشة، مؤسسة الرسالة، ١/ ٢٨٢.
٣- الفوائد، ابن القيم، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثانية، ١/ ٢٠٨.

الرسول صلى الله عليه وسلم وشج وجهه وأرهقه المشركون وأثخن أصحابه بالجراح – وكان من نتائج هذا كله هزة في نفوسهم وصدمة لعلها لم تكن متوقعة بعد النصر العجيب في بدر حتى قال المسلمون حين أصابهم ما أصابهم {أني هذا} وكيف تجري الأمور معنا هكذا ونحن المسلمون؟ والقرآن الكريم يرد المسلمين هنا إلى سنن الله في الأرض فهم ليسوا بدعا في الحياة فالنواميس التي تحكم الحياة جارية لا تتخلف والأمور لا تمضي جزافاً، إنما هي تتبع هذه النواميس فإذا هم درسوها، وأدركوا مغازيها كشف لهم الحكمة من وراء الأحداث وتبينت لهم الأهداف من وراء الوقائع واطمأنوا إلى ثبات النظام الذي تتبعه الأحداث وإلى وجود الحكمة الكامنة وراء هذا النظام واستشرفوا خط السير على ضوء ما كان في ماضي الطريق ولم يعتمدوا على مجرد كونهم مسلمين لينالوا النصر والتمكين بدون الأخذ بأسباب النصر ومن أولها طاعة الله وطاعة الرسول.[1]

وإذا ابتعد المسلمون عن طاعتهم لله ورسوله ولم يأخذوا بأسباب النصر فلن يمكن لهم، لأن لله سنن ونواميس كونية لا تتبدل ولا تتغير إلا بمعجزات الأنبياء والمرسلين وقد جعل الله تعالى التمكين المادي في الأرض للمسلم والكافر على حد سواء إذا اتخذ كل منهما الأسباب الموصلة للتمكين قال تعالى: {كُلًّا نُّمِدُّ هَٰٓؤُلَآءِ وَهَٰٓؤُلَآءِ مِنْ عَطَآءِ رَبِّكَۚ وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا ﴿٢٠﴾ }[2].

وجعل الله للتمكين العلمي الإيماني أسبابه التي بين الله تعالى بعضها في سورة يوسف، والتمكين كما قال فتحي يكن بلوغ حال النصر وامتلاك قدر من القوة وحيازة شيء من السلطة والسلطان وتأييد الجماهير والأنصار والأتباع وهو لون من ألوان الترسيخ في الأرض وعلو الشأن".

ومادة التمكين في القرآن غزيرة جداً حيث نجد أن القرآن تكلم عن أنواع التمكين فقال تعالى: {وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُۥ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِۚ وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمْرِهِۦ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢١﴾ }[3]، وقال تعالى: {وَكَذَٰلِكَ

١- في ظلال القرآن، سيد قطب، ١/ ٤٧٨.
٢- سورة الإسراء، الآية ٢٠.
٣- سورة يوسف، الآية ٢١.

مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي ٱلۡأَرۡضِ يَتَبَوَّأُ مِنۡهَا حَيۡثُ يَشَآءُۚ نُصِيبُ بِرَحۡمَتِنَا مَن نَّشَآءُۖ وَلَا نُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿٥٦﴾ }[1]

ففي الآية الأولى إشارة للتمكين الجزئي ليوسف عليه السلام والآية الثانية للتمكين الكلي. وفي التمكين المادي قال الله تعالى: {وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن قُوَّةٖ وَمِن رِّبَاطِ ٱلۡخَيۡلِ تُرۡهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمۡ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمۡ لَا تَعۡلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعۡلَمُهُمۡۚ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيۡءٖ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيۡكُمۡ وَأَنتُمۡ لَا تُظۡلَمُونَ ﴿٦٠﴾}[2].

أشار الله إلى شروط التمكين الخلقي فقال: {وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسۡتَخۡلِفَنَّهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ كَمَا ٱسۡتَخۡلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمۡ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرۡتَضَىٰ لَهُمۡ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعۡدِ خَوۡفِهِمۡ أَمۡنٗاۚ يَعۡبُدُونَنِي لَا يُشۡرِكُونَ بِي شَيۡـٔٗاۚ وَمَن كَفَرَ بَعۡدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ﴿٥٥﴾ }[3].

وأشار القرآن إلى تمكين ذي القرنين العلمي والخلقي فقال تعالى: {إِنَّا مَكَّنَّا لَهُۥ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَءَاتَيۡنَٰهُ مِن كُلِّ شَيۡءٖ سَبَبٗا ﴿٨٤﴾ }[4]. وقال تعالى: {قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيۡرٞ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجۡعَلۡ بَيۡنَكُمۡ وَبَيۡنَهُمۡ رَدۡمًا ﴿٩٥﴾ }[5].

وفي قصة يوسف عليه السلام الأسباب العلمية والخلقية للتمكين التي يجب على أبنائنا وشبابنا تعلمها لكي يمكنهم الله في الأرض ويعيدوا للمسلمين دولتهم وهيبتهم وقوتهم وعزتهم فبدأ أولاً بالابتعاد عن الكبائر فعندما راودته زوجة العزيز عن نفسه {قَالَتِ ٱمۡرَأَتُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡـَٰٔنَ حَصۡحَصَ ٱلۡحَقُّ أَنَا۠ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفۡسِهِۦ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ

١- سورة يوسف، الآية ٥٦.
٢- سورة الأنفال، الآية ٦٠.
٣- سورة النور، الآية ٥٥.
٤- سورة الكهف، الآية ٨٤.
٥- سورة الكهف، الآية ٩٥.

ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٥١﴾ }[1]، وقالت من قبل: {قَالَتۡ فَذَٰلِكُنَّ ٱلَّذِي لُمۡتُنَّنِي فِيهِۖ وَلَقَدۡ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفۡسِهِۦ فَٱسۡتَعۡصَمَۖ وَلَئِن لَّمۡ يَفۡعَلۡ مَآ ءَامُرُهُۥ لَيُسۡجَنَنَّ وَلَيَكُونٗا مِّنَ ٱلصَّٰغِرِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ رَبِّ ٱلسِّجۡنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدۡعُونَنِيٓ إِلَيۡهِۖ وَإِلَّا تَصۡرِفۡ عَنِّي كَيۡدَهُنَّ أَصۡبُ إِلَيۡهِنَّ وَأَكُن مِّنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ ﴿٣٣﴾ فَٱسۡتَجَابَ لَهُۥ رَبُّهُۥ فَصَرَفَ عَنۡهُ كَيۡدَهُنَّۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ﴿٣٤﴾ }[2]، وهذا درس عملي من شاب مفعم بالشباب والقوة والحيوية لا يملك أمر نفسه فهو عبد عند هذه المرأة وكل الأسباب مهيأه لقبول الأعذار ولكن استعصم بالله وطلب من الله بصدق النجاة فنجاه الله وقد من عليه بالتمكين الجزئي {وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلِنُعَلِّمَهُۥ مِن تَأۡوِيلِ ٱلۡأَحَادِيثِۚ وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمۡرِهِۦ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٢١﴾ }[3] فقد من الله عليه بالعلم النافع لتمكينه في الأرض إذا العلم والتدريب والإتقان من عوامل توفيق الله والتمكين له في الأرض وعندما نجح بامتياز في التمكين الجزئي وفقه الله تعالى للتمكين الكلي [4] {وَقَالَ ٱلۡمَلِكُ ٱئۡتُونِي بِهِۦٓ أَسۡتَخۡلِصۡهُ لِنَفۡسِيۖ فَلَمَّا كَلَّمَهُۥ قَالَ إِنَّكَ ٱلۡيَوۡمَ لَدَيۡنَا مَكِينٌ أَمِينٞ ﴿٥٤﴾ }[5]

٣) التضرع والدعاء إلى الله:

من حكم الابتلاء الدعاء والتضرع واللجوء إليه وحده يلجأ العبد إلى ربه متذللاً له فالتضرع هو التذلل والتخشع وهو عبارة عن ترك الانقياد وترك التمرد وأصله من الضراعة وهي الذلة، يقال ضرع الرجل يضرع ضراعة فهو ضارع أي ذليل ضعيف. [6]

والدعاء له مكانة في حياة المسلم فهو مرتبط بخالقه مباشرة دون واسطة وبه يستمد قوته من ربه وثقته بخالقه، فالإنسان لا يستغني عن ربه طرفة عين ولا أقل من

١- سورة يوسف، الآية ٥١.
٢- سورة يوسف، الآيات ٣٢ – ٣٤.
٣- سورة يوسف، الآية ٢١.
٤- مقال للدكتور نظمي خليل أبو العطا، بعنوان: تعلم فقه التمكين العلمي الإيماني من سورة يوسف، بتاريخ ٢٤/ ١/ ٢٠١٠م، على موقع در عطى.
٥- سورة يوسف، الآية ٥٤.
٦- مفاتيح الغيب، الرازي، الناشر دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٢١هـ، ١٢/ ٥٣٣.

ذلك ولهذا كان النبي صلى الله عليه وسلم يردد كثيراً: (يا حي يا قيوم برحمتك أستغيث أصلح لي شأني كله ولا تكلني إلى نفسي طرفة عين)[١].

فهذا الدعاء من أعظم الأدعية التي تتضمن تحقيق العبودية لله رب العالمين وإظهار الفقر والمسكنة وهذه الحالة يحبها الله ويرضاها بل أمر عباده بها قال تعالى: {ٱدۡعُواْ رَبَّكُمۡ تَضَرُّعٗا وَخُفۡيَةًۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ ٥٥}[٢]

ومعنى تضرعاً تذللاً وهو إظهار ذل النفس وخضوعها خُفية سراَ، وهو ضد العلانية إنه لا يجب المعتدين بالتشدق ورفع الصوت. [٣]

فالإنسان ضعيف بتكوينه وعاجز بطبيعته ولكنه إذا ما استمد قوته من ربه واستعان به وتذلل إليه وانطرح على بابه، فإنه سبحانه لا يخيب ظنه فيه ولا يرده صفراً ولذلك كان الدعاء هو العبادة إذ أنه اعتراف بعجزه وتقصيره وضعفه واعتراف منه بقدرة خالقه سبحانه. ولقد أخبر الله عن أقوام ابتلاهم وتوعدهم بالعذاب فاستكان بعضهم وتضرع إلى الله فكشف الله عنهم عذاب الدنيا وأخبر عن آخرين ابتلاهم وتوعدهم لكنهم تكبروا وتجبروا وما استكانوا ولا تضرعوا فأخذهم العذاب. أما الأولون الذين تضرعوا فمنهم قوم يونس عليه السلام الذين قال الله عنهم {فَلَوۡلَا كَانَتۡ قَرۡيَةٌ ءَامَنَتۡ فَنَفَعَهَآ إِيمَٰنُهَآ إِلَّا قَوۡمَ يُونُسَ لَمَّآ ءَامَنُواْ كَشَفۡنَا عَنۡهُمۡ عَذَابَ ٱلۡخِزۡيِ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَمَتَّعۡنَٰهُمۡ إِلَىٰ حِينٖ ٩٨}[٤].

وسيدنا يونس هو من أنبياء بني إسرائيل العظماء بعثه الله إلى أهل نينوى – من أرض الموصل فدعاهم إلى الله فأبوا عليه ثم كرر عليهم الدعوة فأبوا فوعدهم العذاب وخرج من بين أظهرهم ولم يصبر الصبر الذي ينبغي ولكنه أبق مغاضباً لهم، وهم لما ذهب نبيهم ألقي في قلوبهم التوبة إلى الله والإنابة بعد ما شاهدوا مقامات العذاب فكشف الله عنهم العذاب. [٥]

١- ورد هذا الدعاء في حديث صحيح رواه الحاكم في كتاب المستدرك على الصحيح ١/ ٧٣٠. والترمذي في سننه ٥/ ٥٣٩.
٢- سورة الأعراف، الآية ٥٥.
٣- التفسير المنير، وهبة الزحيلي، ٨/ ٢٣٨.
٤- سورة يونس، الآية ٩٨.
٥- تيسير اللطيف المنان في خلاصة تفسير القرآن، عبد الرحمن السعدي، الناشر: وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ، ١/ ٢٣٧.

قال الإمام الزمخشري: "إن يونس بعث إلى نينوى من أرض الموصل فكذبوه، فذهب عنهم مغاضباً، فلما فقدوه خافوا نزول العذاب، فلبسوا المسوح أربعين ليلة، وقيل: قال لهم يونس: إن أجلكم أربعين ليلة، فقالوا: إن رأينا أسباب الهلاك آمنا بك، فلما مضت خمس وثلاثون أغامت السماء غيماً أسود هائلاً يدخن دخاناً شديداً، ثم يهبط حتى يغشى مدينتهم ويسود سطوحهم فلبسوا المسوح وبرزوا إلى الصعيد بأنفسهم ونسائهم وصبيانهم ودوابهم، وفرقوا النساء والصبيان وبين الدواب وأولادها، فحن بعضها على بعض، وعلت الأصوات والعجيج وأظهروا الإيمان والتوبة وتضرعوا، فرحمهم الله وكشف عنهم". (١)

أما الآخرون لم يظهروا التضرع والضراعة فقال الله فيهم {وَلَقَدْ أَخَذْنَٰهُم بِٱلْعَذَابِ فَمَا ٱسْتَكَانُواْ لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ ﴿٧٦﴾ }(٢) أي ولقد أخذنا هؤلاء الطغاة بالعذاب الشديد، كالفقر، والمصائب والأمراض فما خضعوا لربهم عز وجل وما انقادوا له وأطاعوه، وما تضرعوا إليه سبحانه – بالدعاء الخالص لوجهه الكريم لكي يكشف عنهم – عز وجل – ما نزل بهم من ضر. (٣)

فهؤلاء لم يتضرعوا إلى ربهم ولو تضرعوا إلى ربهم ورجعوا إليه لدفع عنهم البلاء، فإن من أعظم أسباب رفع البلاء أن يتضرع العبد لربه كما قال الله عز وجل {وَلَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَخَذْنَٰهُم بِٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ ﴿٤٢﴾ }(٤).

يقول الشهيد سيد قطب: "لقد أخذهم الله بالبأساء والضراء ليرجعوا إلى أنفسهم وينقبوا في ضمائرهم وفي واقعهم لعلهم تحت وطأة الشدة يتضرعون إلى الله ويتذللون له، وينزلون عن عنادهم واستكبارهم، ويدعون الله أن يرفع عنهم البلاء بقلوب مخلصة، فيرفع الله عنهم البلاء، ويفتح لهم أبواب الرحمة، ولكنهم لم يفعلوا ما كان حرياً أن يفعلوا، لم يلجؤا إلى الله ولم يرجعوا عن عنادهم ولم ترد إليهم الشدة وعيهم، ولم تفتح بصيرتهم، ولم تلن قلوبهم وكان الشيطان من وراءهم يزين لهم ماهم فيه من الضلال والعناد. (٥)

١- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، الزمخشري، دار الكتب العربي، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٧هـ،٢/ ٣٧٢.
٢- سورة المؤمنون، الآية ٧٦.
٣- التفسير الوسيط، محمد سيد طنطاوي، ١٠/ ٥٥.
٤- سورة الأنعام، الآية ٤٢.
٥- في ظلال القرآن، سيد قطب، دار الشروق، بيروت، الطبعة السابعة عشر، ١٤١٢هـ، ٢/ ١٠٨٩.

ومن حكم الابتلاء ما ذكره الإمام ابن القيم في كتابه زاد المعاد من هدي خير العباد، ذكر رحمه الله بعض الحكم والغايات المحمودة التي كانت في وقعة أحد".

يقول ابن القيم رحمه الله "وقد أشار الله سبحانه وتعالى إلى أمهاتها وأصولها في سورة آل عمران حيث افتتح القصة بقوله {وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ ٱلْمُؤْمِنِينَ مَقَـٰعِدَ لِلْقِتَالِ } آل عمران: ١٢١، إلى تمام ستين آية:

١- فمنها: تعريفهم سوء عاقبة المعصية والفشل والتنازع وأن الذي أصابهم إنما هو بشؤم ذلك، كما قال تعالى: {وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥٓ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِۦ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَـٰزَعْتُمْ فِى ٱلْأَمْرِ وَعَصَيْتُم مِّنۢ بَعْدِ مَآ أَرَىٰكُم مَّا تُحِبُّونَ ۚ مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلْـَٔاخِرَةَ ۚ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ ۖ وَلَقَدْ عَفَا عَنكُمْ}[١] فلما ذاقوا عاقبة معصيتهم للرسول وتنازعهم وفشلهم، كانوا بعد ذلك أشد تضرعاً ويقظة وتحرزاً من أسباب الخذلان. [٢]

٢- ومنها: أن حكم الله وسنته في رسله وأتباعهم جرت بأن يُدَالُوا مَرَّةً ويُدَالَ عليهم أخرى، لكن تكون لهم العاقبة فإنهم لو انتصروا دائماً دخل معهم المؤمنون وغيرهم، ولم يتميز الصادق من غيره ولو انْتُصِرَ عليهم دائماً لم يحصل المقصود من البعثة والرسالة، فاقتضت حكمةُ الله أن جمع لهم بين الأمرين لتميز من يتبعُهُم ويطيعهم للحق، وما جاءوا به ممّن يتبعهم على الظهور والغلبة خاصة. [٣]

٣- ومنها: أن هذا من أعلام الرسل كما قال هرقل لأبي سفيان: "هل قاتلتموه؟ قال: نعم، قال كيف الحرب بينكم وبينه؟ قال: سجال يدال علينا المرَّة وندالُ عليه الأخرى، قال: كذلك الرسل تبتلى ثم تكون لهم العاقبة".

٤- ومنها: أن يتميز المؤمن الصادق من المنافق الكاذب فإن المسلمين لما أظهرهم الله على أعدائهم يوم بدر وصار لهم الصّيتُ دخل معهم في الإسلام ظاهراً من ليس معهم باطناً، فاقتضت حكمته الله عز وجل أنْ سبب لعباده محنة ميزت بين المؤمن والمنافق، فأطلع المنافقون رءوسهم في هذه الغزوة وتكلموا بما كانوا يكتمونه، وظهرت مُخَبَّاتُهم،

١- سورة آل عمران، الآية ١٥٢.
٢- زاد المعاد من هدي خير العباد، ابن القيم، مؤسسة الرسالة، بيروت، ٣/ ١٩٦.
٣- زاد المعاد من هدي خير العباد، ابن القيم، مؤسسة الرسالة، بيروت، ٣/ ١٩٧.

وعاد تلويحهم تصريحاً، وانقسم الناس إلى كافر ومؤمن ومنافق إنقساماً ظاهراً وعرف المؤمنون أن لهم عدواً في نَفْس دُورهم، وهم معهم لا يفارقونهم فاستعدوا لهم وتحرزوا منهم قال الله تعالى: {مَّا كَانَ ٱللَّهُ لِيَذَرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ ۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى ٱلْغَيْبِ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَجْتَبِى مِن رُّسُلِهِۦ مَن يَشَآءُ ۖ }(١).

٥- ومنها: استخارج عبودية أوليائه وحزبه في السراء والضراء، وفيما يُحبون وما يكرهون وفي حال ظفرهم وظفر أعدائهم، فإذا ثبتوا على الطاعة والعبودية فيما يحبون وما يكرهون فهم عبيده حقاً وليسوا كمن يعبد الله على حرف واحد في السراء والنعمة والعافية.(٢)

٦- ومنها: أن الله سبحانه لو نصرهم دائماً وأظفرهم بعددهم في كل موطن وجعل لهم التمكين والقهر لأعدائهم أبدا لطغت نفوسهم وشمخت وارتفعت، فلو بسط لهم النصر والظفر لكانوا في الحال التي يكونون فيها لو بسط لهم الزرق، فلا يصلح عبادهُ إلا السراء والضراء والشدة والرخاء والقبض والبسط فهو المدبر لأمر عباده كما يليق بحكمته إنه بهم خبير بصير. (٣)

٧- ومنها: أنه إذا امتحنهم بالغلبة والكثرة والهزيمة ذَلُوا وانكسروا وخضعوا، فاستوجبوا منه العز والنصر، فإن خُلْفة النصر إنما تكون مع ولاية الذل والإنكسار قال تعالى: {وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ ۖ }(٤) وقال {وَيَوْمَ حُنَيْنٍ ۙ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْـًٔا }(٥).

يقول الإمام الرازي في تفسير هذه الآية: قال ذكر ما يدل على أنه من ترك الدنيا لأجل الدين فإنه يوصله إلى مطلوبه من الدنيا أيضاَ، وضرب تعالى لهذا مثلاً، وذلك أن عسكر رسول الله صلى الله عليه وسلم في واقعة حنين كانوا في غاية الكثرة والقوة فلما أعجبوا بكثرتهم صاروا منهزمين، ثم في حال الانهزام لما تضرعوا إلى الله قواهم حتى هزموا عسْكر الكفار، وذلك يدل على أن الإنسان متى اعتمد على الدنيا فاته الدين

١- سورة آل عمران، الآية ١٧٩.
٢- زاد المعاد من هدي خير العباد، ابن القيم، مؤسسة الرسالة، بيروت، ٣/ ١٩٨.
٣- زاد المعاد من هدي خير العباد، ابن القيم، مؤسسة الرسالة، بيروت، ٣/ ١٩٨.
٤- سورة آل عمران، الآية ١٢٣.
٥- سورة التوبة، الآية ٢٥.

والدنيا، ومتى أطاع الله ورجح الدين على الدنيا آتاه الله الدين والدنيا على أحسن الوجوه.[١]

٨- ومنها: أنه سبحانه هيأ لعباده المؤمنين منازل في دار كرامته لم تبلغها أعمالهم، ولم يكونوا بالغيها إلا بالبلاء والمحنة فقيض لهم الأسباب التي توصلهم إليها من ابتلائه وامتحانه، كما وفقهم للأعمال الصالحة التي هي من جُملة أسباب وصولهم إليها.

٩- ومنها: أن الشهادة عنده من أعلى مراتب أوليائه والشهداء هم خواصه والمقربون من عباده وليس بعد درجة الصديقية إلا الشهادة وهو سبحانه يُحب أن يتخذ من عباده شهداء تراق دماؤهم في محبته ومرضاته، ويؤثرون رضاه ومحابَّه على نفوسهم ولا سبيل إلى نيل هذه الدرجة إلا بتقدير الأسباب المفضية إليها من تسليط العدو.[٢]

١- مفاتيح الغيب، الفخر الرازي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٢٠هـ، ١٦/ ١٨.
٢- زاد المعاد من هدي خير العباد، ابن القيم، مؤسسة الرسالة، بيروت، ٣/ ١٩٩.

المبحث الثاني: صبر الدعاة على الإبتلاء

طريق الدعوة إلى الله تعالى طريق محفوف بالمكاره والعقبات طريق كله أشواك وابتلاءات. فالإبتلاءات طبيعة في الدعوات والصبر عليها طبيعة الأنبياء والصالحين والداعين إلى الله تعالى.

والصبر أعظم عطاء وأعظم نعمة ينعم الله بها على العبد الصابر الذي تواصى بالحق وتواصى بالصبر، والتواصي بالحق ضرورة فالنهوض بالحق عسير والمعوقات عن الحق كثيرة! هوى النفس ومنطق المصلحة وتصورات البيئة وطغيان الطغاة وظلم الظلمة وجور الجائرين والتواصي تذكير وتشجيع وإشعار بالقرب في الهدف والغاية. والتواصي بالصبر كذلك ضرورة فالقيام على الإيمان والعمل الصالح وحراسة الحق من أعسر ما يواجه الفرد والجماعة، ولابد من الصبر على جهاد النفس وجهاد الغير. والصبر على الأذى والمشقة والصبر على تبجح الباطل. والصبر على طول الطريق والصبر على بعد الشقة الصبر على قلة الناصر والصبر على التواء النفوس وخلال القلوب.

الصبر لغة:

مصدر صبر يصبر وهو مأخوذ من مادة (ص ب ر) التي تدل على الحبس والكف، ومنه قتل فلان صبراً؛ إذا أمسك وحبس، ومنه قوله تعالى: {وَٱصۡبِرۡ نَفۡسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجۡهَهُۥ }[1]؛ أي احبس نفسك يا محمد معهم.[2]

وقال الراغب: الصبر الإمساك في ضيق، يقال صبرت الدابة بمعنى حبستها بلا علف، وكل من حبس شيئاً فقد صبره. [3]

الصبر اصطلاحاً:

فالصبر هو حبس النفس عن الجزع والتسخط وحبس اللسان عن الشكوى وحبس الجوارح عن التشويش. [4]

١- سورة الكهف، الآية ٢٨.
٢- مدارج السالكين، ابن القيم، ٢/ ١٥٥.
٣- تاج العروس، ١٢/ ٢٧١. وانظر التوقيف على مهام التعريف، المناوي، ١/ ٢١٢.
٤- تاج العروس، ١٢/ ٢٧٢. وانظر مدارج السالكين، ٢/ ١٥٥.

قال الراغب: الصبر حبس النفس عما لا يقتضيه الشرع فالصبر لفظ عام وربما خولف بين أسمائه بسبب اختلاف مواقعه فإن كان حبس النفس لمصيبة سمي صبراً فقط ويضاده الجزع، وإن كان في محاربة سمي شجاعة ويضاده الجبن، وإن كان في نائبه مضجره سمي رحب صدر، ويضاده الضجر، وإن كان في إمساك الكلام سمي كتماناً، وقد سمى الله كل ذلك صبراً. [١]

قال الجرجاني:

الصبر: هو ترك الشكوى من ألم البلوى لغير الله لا إلى الله. لأن الله تعالى أثنى على أيوب صلى الله عليه وسلم بالصبر بقوله: {إِنَّا وَجَدْنَٰهُ صَابِرًا ۚ } مع دعائه في رفع الضر عنه بقوله: {۞ وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٨٣﴾ }[٢] فعلمنا أن العبد إذا دعا الله تعالى في كشف الضر عنه لا يقدح في صبره. [٣]

ومن أسماء الله: الصبور والصبور هو الذي لا يعاقب المسيئ مع القدرة عليه[٤]، فهو سبحانه يتمهل ولا يتعجل وبطيء بالعقاب إذا أسرع الناس بالجريمة، ويرسل أقداره لتعمل عملها على اتساع القرون، لا على ضيق الأعمال وفي نطاق الزمن الرحب لا في حدود الرغبات الفائرة، والمشاعر الثائرة: {وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلْعَذَابِ وَلَن يُخْلِفَ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥ ۚ وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴿٤٧﴾ }[٥].

والصبر من عناصر الرجولة الناضجة والبطولة الفارعة، فإن أثقال الحياة لا يطيقها المهازيل، والمرء إذا كان لديه متاع ثقيل يريد نقله، لم يستأجر له أطفالاً أو مرضى أو خوارين، إنما ينتقي له ذوي الكواهل الصلبة والمناكب الشداد، كذلك الحياة لا ينهض برسالتها الكبرى، ولا ينقلها من طور إلى طور إلا رجال عمالقة وأبطال صابرون.[٦]

١- التوقيف على مهام التعريف، المناوي، الناشر: عالم الكتب، عبد الخالق ثروت، الطبعة الأولى، ١/ ٢١٢.
٢- سورة الأنبياء، الآية ٨٣.
٣- التعريفات، للجرجاني، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١/ ١٣١. وانظر التوقيف على مهام التعريف، المناوي، ١/ ٢١٢.
٤- الكليات، للكفوي، ١/ ٥٦٠.
٥- سورة الحج، آية ٤٧.
٦- خلق المسلم، محمد الغزالي، ص ١٣٤.

حاجة الدعاة إلى الصبر:

وحاجة الدعاة إلى الصبر ضرورة لأنهم دائماً يجابهون أعداء الله في الأرض وكثيراً ما يتمكن الأعداء منهم وحينئذ يكون الصبر ملاذهم ومأواهم وهو الأسلوب الأمثل لإثبات قوة الحق وإظهار صلابة الإيمان وعزته. ولحكمة أرادها الله تعالى ابتلى الأنبياء جميعاً بصور شتى من البلاء ليكونوا الأسوة للدعاة من بعدهم. [١]

فالداعية إلى الله المتأسي بأنبياء الله عليه أن يوطن نفسه على تحمل كل ما يصيبه من أذى في ذات الله ويصبر ويحتسب لأنه يدعو إلى الإنخلاع عن أخلاق وعادات وأعراف وتقاليد تأصلت في الناس حتى صارت كأنها جزء من حياتهم وما أنزل الله بها من سلطان وهذا يؤدي إلى معارضة معارضة شديدة وعليه فما لم يكن الداعية قد وطن نفسه على التحمل والصبر والاحتساب فإنه سيتعب وييأس بسرعة وبالتالي يكون الفشل وعدم النجاح، فالداعية قد يصبر وقتاً من الأوقات ولكنه يمل بعد ذلك ويترك الصبر ولذلك يقول الرسول صلى الله عليه وسلم في الحديث المتفق عليه عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: أن ناساً من الأنصار سألوا رسول الله فأعطاهم ثم سألوه فأعطاهُم ثم سألوه فأعطاهم حتى نفد ما عنده، فقال: ما يكون عندي من خير فلن أدخرهُ عنكم ومن يستعفف يُعفه الله ومن يستغني يغنه الله ومن يتصبر يصبره الله وما أعطي أحد عطاءً خيراً وأوسع من الصبر"[٢].

فالداعية بالذات يحتاج إلى الصبر قال تعالى: {۞ لَتُبْلَوُنَّ فِيٓ أَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓاْ أَذًى كَثِيرًا ۚ وَإِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿١٨٦﴾ }[٣].

يقول الإمام ابن تيمية: "ولابد أن يكون الداعية حليماً صبوراً على الأذى: فإنه لابد أن يحصل له أذى فإن لم يحلم ويصبر كان ما يفسد أكثر مما يصلح! كما قال

١- دعوة الرسل عليهم السلام، أحمد أحمد غلوشه، ١/ ٢٤٨.
٢- صحيح البخاري، حديث رقم ١٤٦٩، ٢/ ١٢٢.
٣- سورة آل عمران، الآية ١٨٦.

لقمان لابنه: {وَأۡمُرۡ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَٱنۡهَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ ﴿١٧﴾}[1]

ولهذا أمر الله الرسل – وهم أئمة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر – بالصبر، كقوله لخاتم الرسل، بل ذلك مقرون بتبليغ الرسالة، فإنه أول ما أرسل أنزلت عليه سورة {يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ} بعد أن أنزلت عليه سورة اقرأ التي بها نبيء فقال { يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ ﴿١﴾ قُمۡ فَأَنذِرۡ ﴿٢﴾ وَرَبَّكَ فَكَبِّرۡ ﴿٣﴾ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرۡ ﴿٤﴾ وَٱلرُّجۡزَ فَٱهۡجُرۡ ﴿٥﴾ وَلَا تَمۡنُن تَسۡتَكۡثِرُ ﴿٦﴾ وَلِرَبِّكَ فَٱصۡبِرۡ ﴿٧﴾ }[2] فافتتح آيات الإرسال إلى الخلق بالأمر بالنذارة وختمها بالأمر بالصبر ونفس الإنذار أمر بالمعروف ونهي عن المنكر فعلم أنه يجب بعد ذلك الصبر.[3]

إذن فكل داعيه لابد أن يناله أذى ولكن عليه أن يصبر ولهذا قال الله لرسوله صلى الله عليه وسلم {إِنَّا نَحۡنُ نَزَّلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡقُرۡءَانَ تَنزِيلٗا ﴿٢٣﴾ }[4] كان من المتوقع أن يقول الله فأشكر نعمة الله على تنزيل هذا القرآن ولكن قال الله له {فَٱصۡبِرۡ لِحُكۡمِ رَبِّكَ وَلَا تُطِعۡ مِنۡهُمۡ ءَاثِمًا أَوۡ كَفُورٗا ﴿٢٤﴾ }[5] إشارة إلى أن كل من قام بهذا القرآن فلابد أن يناله ما يناله من الأمور التي تحتاج إلى صبر عظيم، فعلى الداعية أن يكون صبوراً وأن يستمر حتى يفتح الله له، وليس من الضروري أن يفتح الله له في حياته، بل إن المهم أن تبقى دعوته بين الناس ناصعة متبوعة، ليس المهم الشخص ولكن المهم الدعوة فإذا بقيت دعوته ولو بعد موته فإنه حي قال الله عز وجل {أَوَمَن كَانَ مَيۡتٗا فَأَحۡيَيۡنَٰهُ وَجَعَلۡنَا لَهُۥ نُورٗا يَمۡشِي بِهِۦ فِي ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ لَيۡسَ بِخَارِجٖ مِّنۡهَاۚ كَذَٰلِكَ

١- سورة لقمان، الآية ١٧.
٢- سورة المدثر، الآيات ١ – ٧.
٣- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ابن تيمية، الناشر: وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد – السعودية، الطبعة الأولى، ١/ ١٩ – ٢٠.
٤- سورة الإنسان، الآية ٢٣.
٥- سورة الإنسان، الآية ٢٤.

زُيِّنَ لِلْكَٰفِرِينَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١٢٢﴾ }[1] فهي الحقيقة أن حياة الداعية ليس معناها أن تبقي روحه في جسده فقط بل أن تبقى مقالته حية بين الناس. [2]

المحن والابتلاء سنة الله في الدعوات:

المحن سنة الله في الدعوات كما هو معلوم، وهي جزء أساسي من طريق الدعوة، وجعلها الله ليتحقق من ورائها خير للدعوة والدعاة حيث يتعرض فيها المؤمنون لصنوف من الإيذاء والفتن والتعذيب والتضييق والمطاردة وغير ذلك، بل قد تصل هذه الأسباب إلى القتل وذلك للصقل والتمحيص وتمييز الصادقين من الكاذبين، ولأن النصر أماناته ثقيلة ويحتاج قبله إلى إعداد الرجال الذين يقومون عليه دون تفريط أو انحراف، لذلك نجد مرحلة الإيذاء تستمر حتى بدء مرحلة النصر والتمكين [3]، قال تعالى: { الٓمٓ ﴿١﴾ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴿٢﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٣﴾}[4] وقال تعالى: {أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُواْ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ مِنكُمْ وَيَعْلَمَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٤٢﴾ }[5] }[5] أن صيغة السؤال في هذه الآية استنكار يقصد به التنبيه إلى الخطأ الشديد حين يتصور المسلم أنه يدخل الجنة من غير أن يدفع تكاليف الإيمان، إنه الجهاد بمعناه الواسع الذي يبدأ من جهاد النفس وجهاد الشيطان وجهاد المنافقين والفجار مع الصبر في جميع المراحل ثم الصبر على تكاليف هذا الجهاد في أعلى درجاته وهو القتال في سبيل الله والصبر على التكاليف المتنوعة، تكاليف المعاناة اليومية الصبر على ضبط النفس على الاستقامة على أمر الله، ممن يتعامل معهم المسلم في حياته اليومية، الصبر على الفترات التي يستعلي فيها الباطل ويتنفسّ، ويبدوا للنظرة السطحية كالمنتصر، الصبر على طول الطريق وبعد الشقة وكثرة العقبات، الصبر على وسوسة الراحة وهفوة النفس لها في رحمة الجهد والكرب، الصبر على أشياء كثيرة ليس الجهاد في الميدان إلا

١- سورة الأنعام، الآية ١٢٢.
٢- زاد الداعي إلى الله، الشيخ محمد بن العثيمين، الناشر: دار الثقة للنشر والتوزيع، مكة المكرمة، الطبعة الأولى، ١/ ١٦.
٣- طريق الدعوة بين الأصالة والانحراف، مصطفى مشهور،دار التوزيع والنشر الإسلامية.
٤- سورة العنكبوت، الآية ١ – ٣.
٥- سورة آل عمران، الآية ١٤٢.

واحداً منها، الصبر على المضي في الطريق المحفوف بالمكاره، طريق الجنة التي لا تنال بالأماني والأحلام ولا بكلمات اللسان. [1]

نماذج من صبر الأنبياء والدعاة على الإبتلاء:

لقد صبر أنبياء الله على مشاق الدعوة إلى الله وتعرضوا لكثير من الإبتلاءات وخاصة أولي العزم من الرسل ولذلك خاطب الله نبيه صلى الله عليه وسلم بقوله: {فَٱصۡبِرۡ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلۡعَزۡمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ }.

فصبر سيدنا نوح عليه السلام بعد أن قضى ألف سنة إلا خمسين عاماً يدعوا فيها إلى الله ليلاً ونهاراً وسراً وجهاراً.

وصبر سيدنا إبراهيم عليه السلام وسوف أفرد له باباً وفصلاً كاملاً في ابتلاءاته وصبره عليه السلام.

وصبر موسى وعيسى عليهما السلام على الأذى الذي لحق بهما وصبر نبينا محمد صلى الله عليه وسلم صبراً جميلاً عما لاقاه من أذى المشركين، ولذلك قال الله له {وَٱصۡبِرۡ وَمَا صَبۡرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِۚ وَلَا تَحۡزَنۡ عَلَيۡهِمۡ وَلَا تَكُ فِي ضَيۡقٖ مِّمَّا يَمۡكُرُونَ ﴿١٢٧﴾}[2] يقول الله تعالى لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: واصبر يا محمد على ما أصابك من أذى في الله: {وَمَا صَبۡرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ } يقول: وما صبرك إن صبرت إلا بمعونة الله، وتوفيقه إياك لذلك. {وَلَا تَحۡزَنۡ عَلَيۡهِمۡ } يقول: ولا تحزن على هؤلاء المشركين الذين يكذبونك وينكرون ما جئتهم به في آن ولوا عنك وأعرضوا عما أتيتهم به من النصيحة. {وَلَا تَكُ فِي ضَيۡقٖ مِّمَّا يَمۡكُرُونَ } يقول: ولا يضيق صدرك عما يقولون من الجهل ونسبتهم ما جئتهم به إلى أنه سحر أو شعر أو كهانة، مما يمكرون: مما يحتالون بالخدع في الصد عن سبيل الله من أراد الإيمان بك والتصديق بما أنزل الله إليك. [3]

١- في ظلال القرآن، ١/ ٤٨٣.

٢- سورة النحل، الآية ١٢٧.

٣- جامع البيان في تأويل القرآن، ابن جرير، تحقيق: أحمد محمد شاكر، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م، ١٧/ ٣٢٥.

والصبر والعفة خير، والعاقبة بعد ذلك للمتقين المحسنين لأن الله معهم، ينصرهم ويرعاهم ويهديهم طريق الخير والفلاح. {يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصۡبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴿٢٠٠﴾ }[1]

يقول الشهيد سيد قطب: والصبر هو زاد الطريق في هذه الدعوة، إنه طريق طويل شاق حافل بالعقبات والأشواك، مفروشة بالدماء والأشلاء وبالإيذاء والإبتلاء. [2]

لماذا ابتلي الأنبياء:

أنبياء الله هم أشد الناس بلاءاً لكن قد يتبادر إلى الذهن سؤال لماذا ابتلى الله أنبياءه مع أنهم خيرة البشر وأفضل الخلق وهم الصفوة المختارة وفيهم البشير النذير والسراج المنير محمد صلى الله عليه وسلم ؟ يجيب على هذا السؤال القاضي عياض في كتابه الشفا بتعريف حقوق المصطفى، فيقول: فإن قيل فما الحكمة في إجْراء الأمراض وشدتها على الأنبياء وما الوجه فيما ابتلاهم الله به من البلاء وامتحانهم بما امتحنوا به كأيوب ويعقوب ويحي وزكريا وعيسى وإبراهيم ويوسف وغيرهم، صلوات الله عليهم وهم خيرته من خلقه وأحباؤه وأصفياؤه.

فأعلم وفقنا الله وإياك أن أفعال الله تعالى كلها عدل وكلماته جميعاً صدق لا مُبدّل لكلماته يبتلي عباده كما قال لهم {لِنَنظُرَ كَيۡفَ تَعۡمَلُونَ ﴿١٤﴾ }[3] وقوله {لِيَبۡلُوَكُمۡ أَيُّكُمۡ أَحۡسَنُ عَمَلاً }[4] وقوله {وَلَنَبۡلُوَنَّكُمۡ حَتَّىٰ نَعۡلَمَ ٱلۡمُجَٰهِدِينَ مِنكُمۡ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَنَبۡلُوَاْ أَخۡبَارَكُمۡ ﴿٣١﴾ }[5].

فامتحانه إياهم بضروب المحن زيادة في مكانتهم ورفعة في درجاتهم وأسباب لاستخراج حالات الصبر والرضى والشكر والتسليم والتوكل والتفويض، والدعاء والتضرع منهم وتأكيد لبصائرهم في رحمة الممتحنين، والشفقة على المسلمين وتذكِرة لغيرهم وموعظة لسواهُم ليتأسوا في البلاء بهم، ويتسلّوا في المحن بما جرى عليهم ويقتدون بهم

١- سورة آل عمران، الآية ٢٠٠.
٢- في ظلال القرآن، سيد قطب، دار الشروق، بيروت، الطبعة السابعة عشر، ١٤١٢هـ، ١/ ٥٥١.
٣- سورة يونس، الآية ١٤.
٤- سورة الملك، الآية ٢.
٥- سورة محمد، الآية ٣١.

في الصبر ومحوُ لَهَّناتٍ فرطت منهم، أو غفلات سلفت لهم ليلقوا الله طيبين مهذبين وليكون أجرهم أكمل وثوابهم أوفر وأجزل. [١]

أولاً: أيوب عليه السلام:

التعريف بأيوب عليه السلام:

هو أيوب بن موص بن زراح بن إسحاق من ذرية إبراهيم عليه السلام. [٢]

قال تعالى: {وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيۡمَٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَٰرُونَ }[٣]

والضمير في ذريته يعود إلى إبراهيم عليه السلام وأيوب نبي أوحى الله إليه لقوله تعالى: {وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ }[٤].

وزوجته تسمى لينا بنت يعقوب وكانت أم أيوب ابنة للوط بن هارون.

وقد مدحه الله تعالى، وأبرز صفاته الخيرة فقال تعالى: {إِنَّا وَجَدۡنَٰهُ صَابِرٗاۚ نِّعۡمَ ٱلۡعَبۡدُۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٞ ﴿٤٤﴾ }[٥]، فقد التزم عليه السلام مقام العبودية وأسلم أمره لله تعالى وابتلى فصبر وكان كثير التسبيح لله رغم ما كان فيه من بلاء.

ابتلاء أيوب عليه السلام:

ذكر القرآن ابتلاء سيدنا أيوب عليه السلام في سورة الأنبياء وسورة ص، ففي سورة الأنبياء قال الله تعالى: {۞ وَأَيُّوبَ إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٨٣﴾ فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ فَكَشَفۡنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرّٖۖ وَءَاتَيۡنَٰهُ أَهۡلَهُۥ وَمِثۡلَهُم مَّعَهُمۡ رَحۡمَةٗ مِّنۡ عِندِنَا وَذِكۡرَىٰ لِلۡعَٰبِدِينَ ﴿٨٤﴾ }[٦]. وفي سورة ص قال الله تعالى: {وَٱذۡكُرۡ عَبۡدَنَآ أَيُّوبَ إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلشَّيۡطَٰنُ بِنُصۡبٖ وَعَذَابٍ ﴿٤١﴾ ٱرۡكُضۡ بِرِجۡلِكَۖ هَٰذَا مُغۡتَسَلُۢ بَارِدٞ وَشَرَابٞ ﴿٤٢﴾ وَوَهَبۡنَا لَهُۥٓ أَهۡلَهُۥ وَمِثۡلَهُم مَّعَهُمۡ رَحۡمَةٗ مِّنَّا وَذِكۡرَىٰ لِأُوْلِي

١- الشفا بتعريف حقوق المصطفى، وحاشية الشمني، القاضي عياض، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ٢/ ٢٠٤ – ٢٠٥.
٢- تاريخ الطبري، ابن جرير، الناشر: دار التراث، بيروت، ١/ ٣٢٢.
٣- سورة الأنعام، الآية ٨٤.
٤- سورة النساء،الآية ١٦٣.
٥- سورة ص، الآية ٤٤.
٦- سورة الأنبياء، الآيات ٨٣ – ٨٤.

ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴿٤٣﴾ وَخُذۡ بِيَدِكَ ضِغۡثٗا فَٱضۡرِب بِّهِۦ وَلَا تَحۡنَثۡۗ إِنَّا وَجَدۡنَٰهُ صَابِرٗاۚ نِّعۡمَ ٱلۡعَبۡدُۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٞ ﴿٤٤﴾ }[1].

فهو يتمثل نموذجاً عظيماً من نماذج الصابرين على البأساء والضراء ليكونوا لنا أسوة حسنة نقتدي بهم فنصبر مثل صبرهم، أو مثل بعض صبرهم، كلما اقتضت حكمة الله تعالى أن يبتلينا بشيء من مصائب الحياة الدنيا في الأنفس أو في الأجساد أو في الأموال أو في الثمرات، حتى يكون لنا عنده أجر الصابرين، ونرتقي عنده إلى منازل المحسنين المقربين الصابرين أولي الألباب ولذلك قال الله تعالى بعد عرض قصة أيوب {وَذِكۡرَىٰ لِأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ }[2] فدل ذلك على أن الغرض من عرضها، أن يكون أيوب في صبره أسوة حسنة لأولي الألباب هم العارفون بثمرات الصبر وأجر الصابرين يدركون أن الصابرين من الدرجات العليا للعبادة فيضيفونه إلى عبادتهم الكثيرة التي يؤدونها ابتغاء مرضات الله تعالى، وتشير القصة إلى أن أيوب عليه السلام كان عبداً صالحاً أواباً، ابتلي فصبر صبراً جميلاً ، ويبدو أن ابتلاءه كان بذهاب الأهل والمال والولد والصحة جميعاً ولكنه ظل على صلة بربه وثقه به وراضياً بما قسم له، كان أيوب عليه السلام صابراً شاكراً يلهج بالذكر والدعاء والشكر لا يشكو ولا يتذمر ولا يغضب، ولكنه كان أقوى إيماناً وأشد صلة بالله، وأعمر بالتقوى قلباً ولسانُ إيمانه يقول عن كل شيء فقده: كل شيء عارية استردها الله ووديعة كانت عندنا فأخذها، فالحمد الله على ما أعطى وأنعم فله ما أخذ وله ما أعطى وكل شيء عنده بمقدار ولا حول ولا قوة إلا بالله [3]، قال تعالى: {۞ وَأَيُّوبَ إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٨٣﴾ }[4] لقد توجه أيوب بعرض حاله على ربه سبحانه وتعالى ولم يطرح بطلبه ودعائه بقوله {أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ } ومعنى الضر بالفتح الضر في كل شيء، والضر بالضم الضرر في النفس من مرض وهزال.

١- سورة ص، الآيات ٤١ – ٤٤.
٢- سورة ص، الآية ٤٣.
٣- سنة الابتلاء في القرآن، رجب نصر مسى الأمين، ص ٧٨.
٤- سورة الأنبياء، الآية ٨٣.

وكأني بأيوب عليه الصلاة والسلام يناجي ربه بلطف وأدب قائلاً يا رب لقد أصابني أضرار في مالي وفي أهلي وفي بدني، وابتلاؤك لي بهذه الضرار من قبل رحمتك بي وأنا أرضى بما رضيته لي فإن كشفت عني هذه الأضرار فهو بفضلك ورحمتك وإن أبقيتها فبرحمتك وفضلك فالأمر كله لك وبيديك. [1]

ركائز الدعوة في قصة أيوب:

يمكننا أن نأخذ من قصة أيوب عدداً من العبر تعود إلى القائم بأمر الدعوة، وكأن الله فصل لنا هذا الجانب ليكون معلماً لكل من يقوم بأمر الدعوة، يرى به ما سيقابله من مشاق وما يحتاج إليه من صفات وما يجب عليه من حسن معاملة وخلق ليكون على بينة من طبيعة الناس، ومشاق الدعوة، وضرورة التبليغ، ومن هذه الركايز ما يلي:

الركيزة الأولى: تكامل شخصية مبلغ الدعوة:

مبلغ الدعوة والقائم بشأنها، لا يحقق مرادة من النجاح إلا إذا أخلص في سعيه وكمل في ذاته.

وأول ما يحتاجه الداعية، أن يمتن صلته بالله ويرضى بقضائه وقدره، في السراء والضراء ولقد رأينا أيوب عليه السلام ابتلي في نفسه وماله وأهله وولده فلم يجزع أبداً وظل على حسن التقوى وجميل الصبر مدة طويلة راضياً بقضاء الله وقدره.

وحاجة الدعاة إلى الصبر ضرورة لأنهم دائماً يجابهون أعداء الله في الأرض كثيراً ما يتمكن الأعداء منهم وحينئذ يكون الصبر ملاذهم ومأواهم وهو الأسلوب الأمثل لإثبات قوة الحق وإظهار صلابة الإيمان وعزته.

ولحكمة أرادها الله تعالى ابتلى الأنبياء جميعاً بصور شتى من البلاء ليكونوا الأسوة للدعاة من بعدهم.

الركيزة الثانية: الثقة المطلقة في الله:

حينما تشتد الخطوب ويكثر البلاء، ويجد الداعية نفسه وحيداً فريداً عليه أن يركن إلى الله تعالى ويستجير بمعونته ونصره، فهو سبحانه القادر على كل شيء وبيده مقاليد

١- مع الأنبياء في الدعوة إلى الله، محمد عبد القادر أبو فارس، ص ٤٨٨.

السموات والأرض وإليه يرجع الأمر كله وهو سبحانه يقلب الليل والنهار بما يشاء وبما يريد.

إن الثقة في الله تملأ القلب قوة وتشحنه بالشجاعة والإقدام وتجعل العقل يتيقن بما عند الله أكثر من يقينه مما في يد نفس صاحبه.

إن الصدق في الإيمان هو الذي يجعل المؤمن يقدم على الموت في سبيل الله ثقة بوعد الله تعالى.

الركيزة الثالثة: أهمية الدعاء:

شرع الله للناس اتصالاً عاجلاً به يلجئون إليه لتحقيق حاجاتهم وهو الدعاء والتوجه لله تعالى.

إن الدعاء الخالص هو العبادة الحقيقية لأنه دليل تقدير العبد للمعبود وثقته فيه.

والدعاه إلى الله تعالى أحوج الناس إلى هذا السبيل وعليهم اللجوء إلى الله في السراء والضراء ليديم لهم العطاء ويحقق لهم النصر ويمكنوا من نشر دين الله بصفائه بين الناس. [1]

١- دعوة الرسل عليهم السلام، أحمد أحمد غلوش، ١/ ٢٥١.

ثانياً: ابتلاء النبي صلى الله عليه وسلم وصبره على أذى المشركين:

وفي صبر النبي صلى الله عليه وسلم على أذى المشركين أمثلة رائعة يجدر بالدعاة إلى الله أن يقفوا عندها ويتأملوها ليتأسوا بالنبي صلى الله عليه وسلم ومن هذه الأمثلة:

١- عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يصلي عند البيت وأبو جهل وأصحاب له جلوس، إذ قال بعضهم لبعض: أيكم يجيءُ بسلى جزور بني فلان فيضعه على ظهر محمد إذا سجد؟ فانبعث أشقى القوم فجاء به فنظر حتى سجد النبي صلى الله عليه وسلم، وضعه على ظهره بين كتفيه وأنا أنظر لا أغني شيئاً، لو كان لي منعة، قال: فجعلوا يضحكون ويميل بعضهم على بعض ورسول الله صلى الله عليه وسلم ساجداً لا يرفع رأسه حتى جاءته فاطمة، فطرحت عن ظهره فرفع رسول الله صلى الله عليه وسلم رأسه ثم قال: "اللهم عليك بقريش" ثلاث مرات، ثم سمى "اللهم عليك بأبي جهل وعليك بعتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة والوليد بن عتبة وأمية بن خلف، وعقبة بن أبي معيط، وعد السابع فل يحفظ" قال: فوالذي نفسي بيده لقد رأيت الذين عد رسول الله صلى الله عليه وسلم صرعى في القليب قليب بدر. [١]

يقول الشيخ محمد الغزالي: "لقد مضت مكة في طريق الكفر حتى أوغلت فيه، وبلغت نهايته، فهي الآن تستمرئ تلويث الساجدين بالأقذار، وتتمايل ضحكاً، من منظر الأنجاس وهي تسيل على كتفي المصلي، لم يبق في هذه القلوب مكان لذرة من الخير".[٢]

٢- ما روى عن طارق المحاربي أنه قال: رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في السوق يقول: أيها الناس: قولوا لا إله إلا الله تفلحوا، ورجل خلفه يرميه بالحجارة وقد أدمى عقبه ويقول: لا تطيعوا محمداً فإنه كذاب، فقلت: من هذا؟ قالوا: محمد وعمه أبو لهب.

١- صحيح البخاري، تحقيق: محمد زهير ناصر، دار طوق النجاة، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ، ١/ ٥٧. وانظر امتاع الأسماع، المقريزي، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م، ١٢/ ١٠٣.

٢- فقه السيرة، محمد الغزالي، دارالقلم، دمشق، الطبعة الأولى، ١٤٢٧هـ، ١/ ١٣٣.

٣- وكذلك ما فعلته زوج أبي لهب وهي أم جميل بنت حرب أخت أبي سفيان، فكثيراً ما كانت ترمي الشوك في طريقه وتلقي بالقاذورات النجسة أمام بيته، ولم تترك عملاً فيه إيذاء للرسول صلى الله عليه وسلم إلا وفعلته، حتى لم تكتف بهذا الإيذاء العملي، بل كانت تسب الرسول- عليه الصلاة والسلام – وتذمه، وتوقع العداوة بينه وبين الناس [١]، فأنزل الله في شأنها من كتابه الكريم ما يدل على ما ينتظرها يوم القيامة من سوء المصير حيث يقول: {وَٱمۡرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلۡحَطَبِ ۝٤ فِي جِيدِهَا حَبۡلٞ مِّن مَّسَدِۭ ۝٥ }[٢] فحين سمعت ما نزل فيها وفي زوجها من القرآن، أتت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو جالس عند الكعبة ومعه أبو بكر الصديق، وفي يدها فهر من حجارة، فلما وقفت عليها قالت: يا أبا بكر، أين صاحبك؟ فقد بلغني أنه يهجوني، والله لو وجدته لضربته بهذا الفهر فاه ثم انصرفت فقال أبو بكر: يا رسول الله أما تراها رأتك؟ فقال: "لقد أخذ الله ببصرها عني"[٣].

٤- صبر النبي صلى الله عليه وسلم على أهل الطائف لما مات أبو طالب ونالت قريش من النبي صلى الله عليه وسلم ما لم تكن نالته منه في حياته خرج إلى الطائف: أي وهو مكروب مشوش الخاطر مما لقى من قريش وقرابته وعترته خصوصاً من أبي لهب وزوجته أم جميل حمالة الحطب من الهجو والسب والتكذيب.

وعن علي رضي الله عنه أنه قال بعد موت أبي طالب "لقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم أخذته قريش تتجاذبه وهم يقولون له صلى الله عليه وسلم أنت الذي جعلت الآلهة إلهاً واحداً؟ قال: فوالله ما دنا منا أحد إلا أبو بكر فصار يضرب هذا ويدفع هذا وهو يقول: {أَتَقۡتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ ٱللَّهُ }[٤].

أقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بين أهل الطائف عشرة أيام، لا يدع أحداً من أشرافهم إلا جاءه وكلمه فقالوا: أخرج من بلادنا، وأغروا به سفاءهم، فلما أراد

١- القول المبين في سيرة سيد المرسلين، محمد الطيب النجار، الناشر: دار الندوة الجديدة، بيروت، لبنان، ١/ ١١٨.
٢- سورة المسد، الآيات ٤ ــ ٥.
٣- السيرة النبوية عرض وقائع وتحليل أحداث، د. علي محمد الصلابي، دار المعرفة ، بيروت، الطبعة الثامنة، ص ١٤٥.
٤- السيرة الحلبية، إنسان العيون في سيرة الأمين المأمون، علي بن إبراهيم بن برهان الدين، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٢٧هـ، ١/ ٤٩٨.

الخروج تبعه سفاؤهم وعبيدهم يسبونه ويصيحون به حتى اجتمع عليه الناس فوقفوا له سماطين (أي صفين) وجعلوا يرمونه بالحجارة وبكلمات من السفه ورجموا عراقيبه، حتى اختضب نعلاه بالدماء. وكان زيد بن حارثة يقيه بنفسه، حتى أصابه شجاج في رأسه، ولم يزل به السفهاء كذلك حتى الجأوه إلى حائط لعتبه وشيبة ابني ربيعة، على ثلاثة أميال من الطائف، فلما التجأ إليه رجعوا عنه وأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى جبة من عنب فجلس تحت ظلها إلى جدار فلما جلس إليه واطمأن، دعا بالدعاء المشهور الذي يدل على امتلاء قلبه كآبة وحزناً مما لقي من الشدة، وأسفاً على أنه لم يؤمن به أحد قال: "اللهم إليك أشكو ضعف قوتي، وقلة حيلتي، وهواني على الناس، يا أرحم الراحمين، أنت رب المستضعفين وأنت بي إلى من تكلني؟ إلى بعيد يتجهمني؟ أم إلى عدو مكلته أمرئ؟ إن لم يكن بك علي غضب فلا أبالي ولكن عافيتك هي أوسع لي، أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات، وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة، من أن تنزل بي غضبك، أو يحل علي سخطك، لك العتبى حتى ترضى، ولا حول ولا قوة إلا بك". [١]

فلما رأه ابنا ربيعة تحركت له رحمهما، فدعوا غلاماً لهما نصرانياً يقال له عداس وقالا له: خذ قطفاً من هذا العنب واذهب به إلى هذا الرجل، فلما وضعه بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم مد يده إليه قائلاً: "باسم الله" ثم أكل فقال عداس: إن هذا الكلام ما يقوله أهل هذه البلاد، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم "من أي البلاد أنت؟ وما دينك؟ قال: أنا نصراني من أهل "نينوى" فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرية الرجل الصالح يونس بن متى، قال له: وما يدريك ما يونس بن متى، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ذاك أخي كان نبياً وأنا نبي" فأكب عداس على رأس رسول الله صلى الله عليه وسلم ويديه ورجليه يقبلها. [٢]

هذا الحديث ضعفه الشيخ الألباني رحمه الله في تعليقه على فقه السيرة للشيخ محمد الغزالي.

غير أن العلماء ما زالوا يوردون هذا الحديث في كتبهم وتصنيفاتهم لأسباب:

---

[١]- الإسلام سؤال وجواب، الشيخ محمد صالح المنجد، موقع الإنترنت.

٢- الرحيق المختوم، صفي الرحمن المباركفوري، الناشر: دار الهلال، بيروت، الطبعة الأولى، ١/ ١١٤.

١. أن ضعف إسناده يسير لأن احتمال الاتصال فيه قائم.
٢. وما زال العلماء يتسمحون في رواية الأحاديث اليسيرة الضعف في السير والمغازي والفضائل.
٣. ثم أن كثير من أهل العلم يتناقلون الحديث معتمدين له ومستشهدين ثم ورد من شيخ الإسلام ابن تيمية في مجموع الفتاوى ١٠/١٨٤، وما وزال العلامة ابن القيم يستشهد به على أن الشكوى إلى الله لا تنافي الصبر. [١]

[١] - الإسلام سؤال وجواب، الشيخ محمد صالح المنجد، موقع الإنترنت.

الدروس والعبر والعظات من ابتلاء الرسول صلى الله عليه وسلم في جسده في مكة والطائف:

أولاً: إن أعظم ما يفزع إليه الإنسان عند الكرب والشدة هو الدعاء والابتهال والتضرع إلى الله عز وجل.

ثانياً: استقباله عليه الصلاة والسلام لتلك المحن راضياً، صابراً محتسباً، فلم يدعُ على السفهاء بأن ينتقم الله منهم، ولكنه قال: اللهم أهد قومي فإنهم لا يعلمون، وقال لجبريل عندما جاءه وقال له: أنا ملك الجبال إن شئت أطبق عليهم الأخشبين، فقال عليه الصلاة والسلام: لا بل أرجو أن يخرج من أصلابهم من يعبد الله وحده لا يشرك به شيئاً. [١]

ثالثاً: كان عليه الصلاة والسلام يعلم أصحابه وأمته من بعده بما كان يلاقيه من الأذى وواجب الصبر على جميع الشدائد والمكاره في سبيل الله وربما يقول قائل: فما معنى ارتفاع صوته بالشكوى؟ وما معنى دعائه الذي تدل ألفاظه وصيغته على الضجر والملل من طول المحاولة التي لم تأت بنتيجة إلا الأذى والعذاب؟ والجواب أن الشكوى إلى الله تعبد، والضراعة له والتذلل على بابه تقرب وطاعة، وللمحن والمصائب حكم من أهمها: أنها تسوق صاحبها إلى باب الله تعالى وتلبسه جلباب العبودية له. [٢]

---

[١]- صحيح مسلم، باب الجهاد والسير، ١٧٩٥.

٢- سنة الابتلاء في القرآن الكريم، إعداد رجب نصر موسى الأنس، أطروحة لمتطلبات درجة الماجستير، في كلية أصول الدين، جامعة النجاح الوطنية، نابلس – فلسطين، ٢٠٠٧م، ص ٧٣.

ثالثاً: الداعية الرباني الشيخ أبو الحسن الندوي:

مولده ونشأته:

ولد أبو الحسن بقرية (تكيّة) من قرى الهند في المحرم سنة ١٣٣٣هـ الموافق ١٩١٤م فنشأ في أسرة عربية كريمة، ترجع بأصولها العريقة إلى الحسن بن علي رضي الله عنهما، أصولها التي ظلت تتناسل في أكرم بقعة في الأرض التي شرفها الله بالبيت العتيق ثم انتقلت إلى المدينة المنورة حقبة من الدهر حتى كان مطلع القرن السابع الهجري فرأى عميد الأسرة إذ ذاك السيد قطب الدين بن محمد المدني رؤيا منامية أوحت له أن ينتقل من المدينة إلى الهند مجاهداً في سبيل الله. [١]

تعلم القرآن في البيت بمعاونة أمه التي كانت من المربيات الفاضلات، تحفظ القرآن وتكتب وتقول الشعر، وأبوه هو علامة الهند ومؤرخها السيد عبد الحي بن فخر الدين الحسن صاحب المصنفات المشهورة ومنها (نزهة الخواطر وبهجة المسامع، والنواظر في تراجم علماء الهند وأعيانها). [٢]

حياته العلمية وجهوده الدعوية:

تعين مدرساً في دار العلوم لندوة العلماء عام ١٩٣٤م ودرس فيها التفسير والحديث والأدب العربي وتاريخه، إستفاد من الصحف والمجلات العربية الصادرة في البلاد العربية.

بدأ يتوسع في المطالعة والدراسة خارجاً عن نطاق التفسير والحديث والأدب والتاريخ أيضاً منذ عام ١٩٣٧م واستفاد من كتب المعاصرين من الدعاة السياسين، قام برحلة استطلاعية للمراكز الدينية في الهند عام ١٩٣٩م، تعرف فيها على الشيخ المربي القادر الراي بوري والداعية المصلح الكبير محمد الياس الكاتد هلوي، وبقي على صلة بهما فتقلى التربية الروحية من الأول وتأثر بالثانية في القيام بواجب الدعوة وإصلاح المجتمع فمضى زمناً في رحلات دعوية متتابعة للتربية والإصلاح والتوجيه الديني [٣]. ومن هذه الرحلات الدعوية رحلة إلى مصر.

لقد وفق العلامة الندوي إلى زيارة مصر التي كانت قد سبقت إليها معرفته كداعية مخلص ومفكر إسلامي كبير وكاتب باللغة العربية قدير، فلقد كان كتابه الجليل الشهير

١- الشيخ أبو الحسن الندوي، بحوث ودراسات، للدكتور: محمد رجب البيومي، تحت عنوان: أبو الحسن الندوي وسيرته الذاتية، رابطة الأدب الإسلامي العالمية، سنة ١٤١٧هـ - ١٩٦٠م، مكتبة العبكان ١٤٢٤هـ.

٢- من أعلام الحركة الإسلامية المعاصرة، تأليف: المستشار عبد الله العقيل، دار النشر، الطبعة الثامنة، ٢٠٠٨م - ١٤٢٩هـ، ج١.

٣- د. محمد طارق الزيدي، بعنوان: سيرة سماحة الشيخ أبو الحسن الندومي ومؤلفاته، ص ٦٠٧.

(ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين) ظهر ونزل في المكتبات والأسواق ونال إعجاباً كبيراً من قرائه العلماء والدعاة والأدباء والشباب فصادف ذلك رحلته إلى مصر وكان الناس متطلعين إلى لقاء هذا المؤلف العظيم الذي سد فراغاً كبيراً بمؤلفه في مكتبة الفكر الإسلاكي والدعوة.

فلما وصل إلى القاهرة نال ترحيباً كبيراأ والتف حوله الشباب والدعاة والعلماء والأدباء وانفسح المجال للتبادل الفكري والثقافي والتعارف والإطلاع في مصلحة الدعوة والفكر الخالص. [١]

ومن هذه الرحلات أيضاً رحلة إلى السودان والشام والقدس والأردن وكانت له لقاءات وندوات ومحاضرات وقد طبعت مذكراته لهذه الرحلة بعنوان: (سائح من الشرق العربي). [٢]

الندوي داعياً ومصلحاً:

فقد كان سماحة الشيخ رحمه الله بطبعه (داعية مصلحاً) وكان قد أعدّ لها، وكانت أسرته وأعلامها الغر الميامين قد تركوا أسوة حسنة في هذا الحقل وكانت أمه الفاضلة رحمها الله ترفع يديها الكريمتين وتبتهل إلى الله عزوجل بأن يختار ابنها في مرتبة عالية للدعوة ويتقبله قبولاَ حسناً ويهدي به خلقاَ كثير ويعمر بجهوده الدعوية والإصلاحية الكون والعالم فتقبل الله دعوات أمه وتحققت أحلامها. [٣]

فكان من الداعين المصلحين يدعو الناس إلى دين الله ويهزهم هزاَ عنيفاً لعلهم يستيقظون من سباتهم ويحاولون أن يستردوا ما ضاع أو يبقوا على ما بقى من دينهم وحضارتهم وثرواتهم ومكانتهم بين الأمم. وها هو ذا صوته يصل إلى المسلمين في أصقاع الأرض وغيرهم:

اسمعي يا مصر، اسمعي يا سورية، اسمعي يا زهرة الصحراء "الكويت" اسمعوها مني صريحة أيها العرب أريد أن أتحدث إلى الأخوان، تعالوا نحاسب أنفسنا وقادتنا، قارنوا بين الربح والخسارة إلى الإسلام من جديد. أحاديث صريحة مع أخواننا العرب والمسلمين أحاديث صريحة في أمريكا، حديث مع الغرب. ومن هنا لم يكتف الشيخ بما يشغل به غيره من الدعاة والعلماء من وعظ وتخويف بالجنة والنار وإنما كان شغله الشاغل هو بعث هؤلاء

١- الشيخ أبو الحسن الندوي، بحوث ودراسات، مرجع سابق. د. سعيد الأعظمي الندوي، سماحة العلامة أبي الحسن علي الخفي الندوي ونماذج من أسلوبه الدعوي المميز في أدب السياحة، ص ١٤٥.

٢- من أعلام الحركة الإسلامية المعاصرة، المستشار عبد الله العقيل، مرجع سابق، ص ٦١ بتصرف.

٣- أبو الحسن الندوي الداعية الحكيم والمربي الجليل، د. محمد اجتباء الندوي، دار القلم – دمشق، ص ٥٢.

النيام من رقدتهم وتنبيههم إلى ما يحدق بهم وبإخوانهم في شتى الأقطار والأرجاء من جراء غفلتهم وتكالب أعدائهم عليهم وسعيهم في اقتناص أطرافهم تمهيداً لاستئصال شأفتهم. [1]

ركائز الفقه الدعوة عند العلامة أبي الحسن الندوي:

يقوم فقه الدعوة عند العلامة أبي الحسن الندوي على ركائز وأسس تبلغ العشرين ومن هذه الركائز والأسس:

١. تعميق الإيمان في مواجهة المادية.
٢. إعلاء الوحي على العقل.
٣. توثيق الصلة بالقرآن الكريم.
٤. توثيق الصلة بالسنة والسيرة النبوية.
٥. إشعال الجذوة الروحية (الربانية الإيجابية).
٦. البناء لا الهدم والجمع لا التفرق.
٧. إحياء روح الجهاد في سبيل الله.
٨. استيحاء التاريخ الإسلامي وبطولاته.
٩. نقد الفكرة الغربية والحضارة المادية أو الجاهلية الحديثة.
١٠. نقد الفكرة القومية والعصبيات الجاهلية.
١١. تأكيد عقيدة ختم النبوة.
١٢. مقاومة الردة الفكرية.
١٣. تأكيد دور الأمة المسلمة واستمرارها في التاريخ.
١٤. بيان فضل الصحابة ومنزلتهم في الدين.
١٥. التنويه بقضية فلسطين وتحريرها.
١٦. العناية بالتربية الإسلامية الحرة.
١٧. العناية بالطفولة والنشيء.
١٨. إعداد العلماء والدعاة الربانيين المعاصرين.
١٩. ترشيد الصحوة والحركات الإسلامية.
٢٠. دعوة غير المسلمين. [2]

١- الشيخ أبو الحسن الندوي، بحوث ودراسات، مرجع سابق.
د. محمد كاظم الظواهري، خواطر ولمحات حول منهج الإمام العلامة أبو الحسن الندوي في الفكر والعمل، ص ٢٣٩.
٢- الشيخ أبي الحسن الندوي، بحوث ودراسات، ص ٣٥.
مبحث الدكتور يوسف القرضاوي، ركائز الفقه الدعوي عند العلامة أبي الحسن الندوي.

وسوف اقتصر على بعض هذه الركائز التي ينبغي أن يستفيد منها الدعاة إلى الله تعالى ومن هذه الركائز:

١) توثيق الصلة بالقرآن الكريم والسنة النبوية:

الداعية إلى الله ينبغي أن يوثق صلته بالقرآن الكريم باعتباره كتاب الخلود ودستور الإسلام وينبوع العقيدة وأساس الشريعة.

وكذلك توثيق الصلة بالسنة والسيرة النبوية وذلك أن السنة مبينة للقرآن وشارحه له. ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم: (ألا وإني أوتيت الكتاب ومثله معه)[١]. فلا يمكن لأي داعية أن يسلك طريقاً بعيداً عن الوحي المبارك لأنهما مصدر التشريع وأساس الأحكام. فمن أراد الهداية فإن القرآن يهدي للتي هي أقوم، قال تعالى: {إِنَّ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا}[٢].

ومن أراد القصص ففيه أحسن القصص قال تعالى: {نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ بِمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلْغَـٰفِلِينَ ۝٣}[٣] ومن أراد الحديث ففيه أحسن الحديث، قال تعالى: {ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَـٰبًا مُّتَشَـٰبِهًا مَّثَانِىَ }[٤].

وقال صلى الله عليه وسلم: (فإنه من يعش منكم بعدي فسيرى اختلافاً كثيراً فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين، تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة). [٥]

فالدعوة مع حصول الخلاف لا مصدر لها غير الوحي المعصوم المبارك فهو الفصل عند النزاع والحق عند كثرة الأهواء. [٦]

١- جزء من حديث رواه أبو داود في سننه عن المقدام بن معدي كرب، ٤/٢٠٠، حديث رقم ٤٦٠١، مرجع سابق.
٢- سورة الإسراء، الآية ٩.
٣- سورة يوسف، الآية ٣.
٤- سورة الزمر، الآية ٢٣.
٥- جزء من حديث رواه أبو داود في سننه رقم ٤٦٠٧، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، الناشر: المكتبة العصرية، صيدا – بيروت، جزء ٤، ص ٢٠٠.
٦- الندوة العلمية العالمية المتخصصة في قضايا الدعوة الإسلامية في السودان، صفر ١٤٢٩هـ فبراير ٢٠٠٨م، د. علاء الدين الأمين الزاكي، بعنوان: الأصول العلمية لمنهج الدعوة، ص ١٧.

ومن لطف الله سبحانه وتعالى بإرساله محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم، أن جعله يمر في ظروف متعددة لا حصر لها سواءً كان ذلك في العهد المكي أو المدني، حتى يكاد الإنسان يجزم أنه كما قال الصحابة رضوان الله عليهم (إن أحدنا ليفقد سوطه فيجده في القرآن) فالدعاة ما تعترضهم مشكلة إلا ويجدا لها في هدي رسولهم صلى الله عليه وسلم بياناً ونوراً. [١]

٢) الاهتمام بالطفولة والنشيء:

فعلى المؤسسات الدعوية والعاملين في حقل الدعوة الاهتمام بالطفولة والنشئ بوصفهم رجال الغد وصناع تاريخ الأمم. ولذلك اهتم الشيخ الندوي رحمه الله بالكتابة للأطفال وجعل من قصصه مناخاً للدعوة يعيش الطفل في حرارتها المناسبة أو يعتبر أبو الحسن الدعوة عنده هدفاً رئيساً من أهداف أدب الأطفال ويبدوا هذا من خلال استعراضه العقلي لآداب وأساليب وأسرار الدعوة فيحسُّ الطفل وهو يقرأ بأن الأفكار والمعاني إحياء تتحرك على الأرض وهذا يظهر من خلال الأمور التالية:

أولاَ: يكشف عن آداب الدعوة الإسلامية التي يحتاجها الداعية في كل زمان ومكان، فأبو الحسن داعية إسلامي له في مجال الدعوة باع طويل إذ يكشف للطفل المسلم عن آداب الدعوة الإسلامية ويظهر ذلك من خلال منهجه الرائع لمفردات القرآن ومعانيه وآياته المتناسقة فيؤكد أن هذه الآداب هي سلعة الدعوة التي يهبها للناس على اختلاف عقائدهم وتصوراتهم عن الحياة وهذه الآداب هي هبة الله للدعاة المؤمنين على مر الأزمنة وفي جميع الأمكنة. وهذه الآداب التي يكشف عنها أبو الحسن في معرض حديثه عن قصص الأنبياء والرسل تجعل من الطفل خامة خصبة للدعوة إن صح التعبير وفي التعبير العلمي "مادة للدعوة" فيؤكد أن هذا الطفل هو اليوم شبل وغداً هو الداعية. [٢]

ولذلك ينبغي على الدعاة إلى الله وكذلك المؤسسات الدعوية أن تعتني بالخطاب الدعوي لدى الأطفال عن طريق الكتب المناسبة والخطاب المناسب للأطفال وللأسف فإن هناك قصوراً في هذا الجانب عند الدعاة.

١- طريق الدعوة الإسلامية جاسم بن محمد بن مهلهل الياسين، مؤسسة الكلمة، الكويت، الطبعة الثانية، ص ٥٤.

٢- الشيخ أبو الحسن الندوي، بحوث ودراسات، مرجع سابق.
بعنوان: أدب الأطفال عند أبي الحسن الندوي، د. نصر عبد الله سلامة القيوم، ص ٥٦.

٣) الداعية وقضايا الأمة:

إن المسلم الواعي والداعية الناجح لا يكتفي أن يكون صالحاً في نفسه بل عليه أن يكون مصلحاً لغيره وناصحاً أميناً يهتم بقضايا الأمة يبصر الأمة بالحقوق والواجبات، ويدافع عن قضاياهم يتألم لآلمهم ويفرح لفرحهم انطلاقاً من قول النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الذي رواه النعمان بن بشير قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى)[١].

فالداعية لا يهمل قضايا المسلمين بل يهتم بها، عن حذيفة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (من لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم، ومن لم يصبح ويمسي ناصحاً لله ولرسوله ولكتابه ولإمامه ولعامة المسلمين فليس منهم)[٢].

فسماحة الشيخ أبي الحسن الندوي يقوم بحل بقضايا المسلمين في الهند وغيرها من البلاد بطريقة المحبة والحوار والتعبير الدعوي المؤثر والعمل السلمي الحكيم مع محافظة تامة على القيم والعقائد الإسلامية العالية وحياة صالحة نقية فيها الزهد والقناعة لنفسه والإخلاص وطلب الخير للجميع. [٣]

وكان رحمه الله يهتم بقضية فلسطين ويتفاعل معها ويعتبرها من القضايا الرئيسية التي يوليها اهتمامه. فلقد عاش قضايا العالم العربي في مستوياتها المختلفة الفكرية والسياسية والدعوية عاشها وهو يتألم لواقعها الأسيف ويرصده رصد الخبير به. [٤]

ابتلاءات الدعاة والصبر عليها:

إبتلى العالم الإسلامي منذ أواخر القرن التاسع الميلادي بغارة غربية أوروبية شديدة عنيفة سافرة ولم تكن تلك الغارة على بلاد العالم الإسلامي منصبَّة على حكمها وسياساتها، وثرواتها، وذخائرها، ومعادنها واقتصادها ومنابع حياتها ومفاتيح كنوزها فحسب بل على دينها وشعائرها وقيمها ومبادئها وأخلاقها وتقاليدها وعلى لغتها العربية وثقافتها العربية وعروبتها وحضارتها ورسالتها الخالدة.

١- صحيح مسلم، ١٩٩٩/٤، حديث رقم ٢٥٨٦، مرجع سابق.

٢- المعجم الوسيط، الطبراني، تحقيق: طارق بن عوض الله بن محمد – عبد الحميد بن إبراهيم، الناشر: دار الحديث، القاهرة، حديث رقم ٧٤٧٣، ٢٧٠/٧.

٣- قضايا المسلمين في الهند ومساعي الشيخ أبي الحسن الندوي في حلها، الشيخ محمد الرابع الحسني، مرجع سابق، ص ٧٧.

٤- الشيخ أبو الحسن الندوي، بحوث ومقالات، د. عبد الحليم عويس، تحت عنوان: الشيخ أبو الحسن الندوي وقضايا الأمة العربية، مرجع سابق، ص ١١٢.

وكانت تلك الغارة تتمثل بحصار وقيود وأغلالا وشعر العرب والمسلمون فجأة بأنهم في زنزانات مغلقة مظلمة سدت الأبواب والنوافذ بالشمع الأحمر، فاندهش الناس واحتاروا، وانهارت قواهم ووجهت إليهم تهم وافتراءات وأكاذيب وأباطيل أشاعت اليأس والانهزام.

ولكن سرعان ما استيقظ في بعضهم إيمان ووعي أدركوا معه الخطر المحدق الذي انتشر وعمَّ فواجهه هؤلاء المتحمسون وأصحاب الغيرة على الإسلام وكيانه وقيمة تلك الغارة وآثارها وكان منهم شيخنا أبو الحسن الندوي رحمه الله، فتصدى لهذا التيار المنحرف الجارف وواجهة بكتابات فكرية علمية موضوعية منذ الثلاثينيات وبنداءاته المجلجلة القوية الواضحة الصريحة. [١]

وهكذا كان أبو الحسن الندوي داعياً ومصلحاً، ويعتبر من أشهر الدعاة المسلمين في الهند وكان كثير السفر إلى مختلف أنحاء العالم لنصرة قضايا المسلمين والدعوة للإسلام.

وفاته:

لقد غادر دنيانا إلى الدار الآخرة في يوم الجمعة ٢٣ رمضان ١٤٢٠هـ الموافق ١٩٩٩/١٢/٣١م في قرية رأي بربلي بالهند وكان ذلك قبل صلاة الجمعة حيث توضأ واستعد للصلاة وشرع يقرأ سورة الكهف.

رحمه الله رحمه واسعة وأسكنه فسيح جناته مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً. [٢]

١- أبو الحسن الندوي الداعية الحكيم والمربي الجليل، د. محمد ضياء الندوي، دار القلم – دمشق، ص ١٢٥.
٢- من أعلام الحركة والدعوة الإسلامية، المستشار عبد الله العقيل، مرجع سابق، ص ٦٩.

المبحث الثالث: فوائد الابتلاء

للإبتلاء فوائد عظيمة للإنسان وخاصة الإنسان المؤمن لأن أمر المؤمن كله له خير، لحديث النبي صلى الله عليه وسلم الذي رواه الإمام مسلم عن صهيب قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (عجباً لأمر المؤمن إن أمره كله خير وليس ذاك لأحد إلا للمؤمن إن أصابته سراء شكر فكان خيراً له وإن أصابته ضراء صبر فكان خيراً له)[١].

يقول الأستاذ عبد الرحمن بن محمد بن ملوح في كتاب نضرة النعيم تحت عنوان: الحياة الإيمانية في ضوء علاقة الابتلاء والنفس الإنسانية.

قال: "إن الابتلاء وسيلة مهمة من وسائل التدريب العملي على ممارسة ما يعرف بالأخلاق العملية على أرض الواقع ومن ثم فإنه يصقل الإنسان ويضبط إنفعالته، فهو محك يكشف عما في القلوب وهو وسيلة لاختبار رد فعل الإنسان وقدرته على التكيف مع المواقف المختلفة التي يمر بها في حياته، ومن المعروف أن هذه المواقف تختلف نوعاً وكماً، كما تختلف باختلاف الأشخاص والأعمار والأماكن وقوة الضغوط واستمراريتها وهنا يكتسب بالابتلاء خبرة وتجربة ما كانت لتحدث لولا هذا الابتلاء. [٢]

فمن فوائد الإبتلاء:

١) تكفير الخطايا ومحو السيئات:

الإنسان المؤمن معرض دائماً للابتلاء وهذا الابتلاء الذي يتعرض له ويصبر عليه يرفع الله عز وجل به الدرجات ويمحو الله به السيئات.

عن أبي سعيد وأبي هريرة رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (ما يصيب المسلم من نصب [٣] ولا وصب [٤] ولا هم ولا حزن ولا أذى ولا غم حتى الشوكة يشاكها إلا كفر الله بها خطاياه)[٥].

١- صحيح مسلم، حديث رقم ٢٩٩٩، ٤/ ٢٢٩٥.
٢- نضرة النعيم من مكارم أخلاق الرسول الكريم، الناشر: دار الوسيلة للنشر والتوزيع، ١/١.
٣- النصب: التعب.
٤- الوصب: الوجع الدائم.
٥- رياض الصالحين، النووي، المكتب الثقافي للنشر والتوزيع، ص ٤٣.

وروى الحارث بن سويد عن عبد الله قال: دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلك وهو يوعك فقلت: يا رسول الله إنك توعك [١] وعكاً شديداً؟ قال: أجل إني أوعك كما يوعك رجلان منكم، فقلت: ذلك أن لك أجرين؟ قال: أجل ذلك كذلك، ما من مسلم يصيبه أذى شوكة فما فوقها إلا كفر الله بها سيئاته كما تحط الشجرة ورقها.[٢]

٢) رفع الدرجات وزيادة الحسنات:

فإذا كان الابتلاء فيه تكفير للخطايا ومحو للسيئات فهو كذلك فيه رفع للدرجات وزيادة في الحسنات.

عن مصعب بن سعد عن أبيه قال: يا رسول الله من أشد الناس بلاءً؟ قال: الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل ويبتلى العبد على حسب دينه فما يبرح البلاء بالعبد فلا يدعه يمشي على الأرض وما عليه خطيئة. [٣]

فأشد الناس بلاءً أي محنة الأنبياء لكي تتضاعف أجورهم وتتكامل فضائلهم ويظهر للناس صبرهم ورضاهم فيقتدى بهم ولئلا يفتتن الناس بدوام صحتهم فيعبدونهم.

"ثم الأمثل فالأمثل" أي الأشرف فالأشرف والأعلى فالأعلى لأن البلاء في مقابلة النعمة فمن كانت نعمة الله عليه أكبر فبلاؤه أشد. حتى يمشي على الأرض وما عليه خطيئة؛ كناية على سلامته من الذنوب وخلاصه منها كأنه كان محبوساً فأطلق وخلى سبيله فهو يمشي وما عليه بأس ومن ظن أن شدة البلاء هوان بالعبد فقد ذهب لبه وعمى قلبه فقد ابتلى من الأكابر مالا يحصى. ألا ترى إلى ذبح نبي الله يحي بن زكريا وقتل الخلفاء الثلاثة والحسين وابن الزبير وابن جبير وقد ضرب أبو حنيفة وحبس ومات بالسجن وجرد مالك وضرب بالسياط حتى انخلعت يده من كتفه وضرب أحمد حتى أغمي عليه وقطع من لحمه وهو حي إلى غير ذلك. [٤]

١- توعك: يصيبك التعب والألم من الحمى.
٢- صحيح البخاري، باب كفارة المرض، رقم ٥٦٤٨، ٧/ ١١٥.
٣- الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، حديث رقم ٢٩٠٠، ٧/ ١٦٠.
٤- فيض القدير، المنادي، الناشر: المكتبة التجارية الكبرى، الطبعة الأولى، ١/ ٥١٨.

إن ابتلاء المؤمن كدواء له يستخرج منه الأدواء التي لو بقيت فيه أهلكته، أو نقصت ثوابه، وأنزلت درجته فيستخرج الابتلاء والامتحان منه تلك الأدواء ويستعد به لتمام الأجر وعلو المنزلة، ومعلوم أن وجود هذا خير للمؤمن من عدمه. [١]

٣) استخراج العبودية لله:

فإن الله سبحانه وتعالى يريد أن يكون هذا العبد عبداً له ولا يمكن أن يكون عبداً بالدعاوى التي لا يقوم عليها دليل ولذلك تجد كثير من الناس عبداً لهواه وليس عبداً لله، فهو يعلن أنه عبداً لله ولكن إذا ابتلى نكص على عقبيه فخسر الدنيا والآخرة وذلك هو الخسران المبين فالله سبحانه وتعالى يعلم حقيقة القلوب قبل الابتلاء ولكن الابتلاء يكشف في عالم الواقع ما هو مكشوف لعلم الله مغيب عن علم البشر.

يقول الإمام ابن القيم: "فلولا أنه سبحانه يداوي عباده بأدوية المحن والإبتلاء لطغوا وبغوا وعتوا والله سبحانه إذا أراد بعبد خيراً سقاه دواء من الابتلاء والإمتحان على قدر حاله يستفرغ به من الأدواء المهلكة حتى إذا هذبه ونقاه وصفاه أهله لأشرف مراتب الدنيا وهي عبوديته وأرفع ثواب الآخرة وهو رؤيته وقربه". [٢]

٤) الابتلاء يخرج العجب من النفوس ويجعلها أقرب إلى الله:

فمن فوائد الابتلاء أن يخلع العبد صوله الطاعة من قلبه وينزع عنه رداء الكبر والعظمة الذي ليس له، ويلبس رداء الذل والإنكسار، إذ لو دامت تلك الصولة والعزة في قلبه لخيف عليه ما هو من أعظم الأوقات وأشدها فتكاً وهو العجب. [٣]

يقول الدكتور محمد أبو صعبليك في كتابه فقه الابتلاء قال : من الفوائد التي تستفاد من البلاء والمحن والمصائب صقل النفس وتنقيتها من الشوائب الخلقية العارضة كالأشر والبطر والفخر والخيلاء والتكبر والتي تظهر وتختفي في كل نفس كالأعشاب الضارة التي تنبت في البستان النافع وهناك عوامل تدعو لظهورها منها اعتزاز المرء بعافيته وعلمه وقيامه بالواجبات فيأتي الابتلاء ليخلص نفسه من هذه الشوائب الضارة وهذه الأخلاق السيئة التي تضر بآخرته وتفسد عمله لأن الابتلاء

١- إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان، ابن القيم، تحقيق: محمد حامد الفقي، مكتبة المعارف، الرياض، ٢/ ١٨٨.

٢- زاد المعاد من هدي خير العباد، ابن القيم، مؤسسة الرسالة، بيروت، ٤/ ١٧٩. وانظر: تسلية أهل المصائب، محمد بن محمد شمس الدين المنيجي، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة الثانية، ١/ ٢٥.

٣- نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم، تأليف عدد من المختصين بإشراف الشيخ صالح بن عبد الله بن حميد، دار الوسيلة للنشر والتوزيع، الطبعة الرابعة، ١/ ٢٢.

يورثه الافتقار إلى الله تعالى والرحمة للعباد ومجاهدة النفس والصبر على المشاق والتواضع وخفض الجناح للمؤمنين وهذه الأمور التي تستفاد من الابتلاء تنافي تلك الشوائب الخلقية وقد نبه المربون على هذا المعنى فمن ذلك مقولة الإمام ابن مفلح الحنبلي [1]: وأعلم أنه لولا المصائب لبطر العبد وعجب وبغى وطغى فيحميه بها من ذلك ويطهره مما فيه فسبحان من يرحم ببلائه ويبتلي بنعمائه كما قيل:

قد ينعم الله بالبلوى وإن عظمت

ويبتلي بعض القوم بالنعم

فلولا أنه سبحانه يداوي عباده بأدوية المحن والإبتلاء لطغوا وبغوا وعتوا والله سبحانه إذا أراد بعبد خيراً سقاه دواء من الابتلاء والإمتحان على قدر حاله يستفرغ به من الأدواء المهلكة حتى إذا هذبه ونقاه وصفاه أهله لأشرف مراتب الدنيا وهي عبوديته وأرفع ثواب الآخرة وهو رؤيته وقربه. [2]

٥) الإعداد الحقيقي لتحمل الأمانة:

الله سبحانه وتعالى يبلي المؤمنون لتحمل الأمانة التي أشفقت من حملها السموات والأرض والجبال وحملها الإنسان وهي ضخمة هائلة.

يقول صاحب الظلال: "–حاشا لله – أن يعذب المؤمنين بالإبتلاء، وأن يؤذيهم بالفتنة، ولكن الإعداد الحقيقي لتحمل الأمانة فهي في حاجة إلى إعداد خاص لا يتم إلا بالمعاناة العملية للمشاق وإلا بالاستعلاء الحقيقي على الشهوات، وإلا بالصبر الحقيقي على الآلاء، وإلا بالثقة الحقيقية في نصر الله أو في ثوابه، على الرغم من طول الفتنة وشدة الإبتلاء.

والنفس تهزها الشدائد فتنفي عنها الخبث وتستجيش كامن قواها المذخور فتستيقظ وتتجمع وتطرقها بعنف وشدة فيشتد عودها ويصلب ويصقل، وكذلك تفعل الشدائد بالجماعات فلا يبقى صامداً إلا أصلبها عوداً وأقواها طبيعة، وأشدها اتصالاً

---

[1]- هو أبو إسحاق برهان الدين إبراهيم بن محمد بن عبد الله بن محمد بن مفلح المقدسي الصالحي الحنبلي ٨١٦ – ٨٨٤هـ/ ١٤١ – ١٤٧٩م، قاضي من كبار علماء الحنابلة وعلم بارز في أسرة بني مفلح بيت الرئاسة والعلم في الشام وولد بدمشق.

٢- زاد المعاد من هدي خير العباد، ابن القيم، مؤسسة الرسالة، بيروت، ٤/ ١٧٩.

بالله، وثقة فيما عنده من الحسنيين: النصر أو الأجر، وهؤلاء هم الذين يسلمون الراية في النهاية مؤتمنين عليها بعد الاستعداد والاختبار". [١]

٦) معرفة قدر نعمة العافية والشكر عليها:

نعمة العافية من أفضل وأجل نعم الله تعالى على الإنسان والتي ينبغي أن يشكر ربه عليها وأن يسأله دائماً العافية فما أعطى عبد شيئاً أفضل من العافية.

عن العباس بن عبد المطلب قال: قلت يا رسول الله علمني شيئاً اسأله الله عز وجل، قال: سل الله العافية، فمكثت أياماً ثم جئت فقلت: يا رسول الله علمني شيئاً أسأله الله، فقال لي: يا عباس يا عم رسول الله سل الله العافية في الدنيا والآخرة"[٢].

فالسعيد من ذل لله وسأل العافية فإنه لا يُوهب العافية على الإطلاق، إذ لابد من بلاء ولا يزال العاقل يسأل العافية لتغلب على جمهور أحواله فيقرب الصبر على يسير البلاء وفي الجملة: ينبغي للإنسان أن يعلم أنه لا سبيل إلى محبوباته خالصة، ففي كل جرعة غصص وفي كل نعمة شجى [٣] وكم من يعشق الدنيا قديماً ولكن لا سبيل إلى الوصال وعلى الحقيقة ما الصبر إلا على الأقدار وقل أن تجري الأقدار إلا على خلاف مراد النفس، فالعاقل من دارى نفسه في الصبر بوعد الأجر وتسهيل الأمر ليذهب زمان البلاء، سالماً من شكوى ثم يستغيث بالله تعالى سائلاً العافية فأما المتجلد [٤] فما عرف الله قط، تعوذ بالله من الجهل به ونسأله عرفانه إنه كريم مجيب.[٥]

فالإمام ابن الجوزي يقول إذا لابد من بلاء فإذا وقع البلاء على الإنسان تذكر نعمة العافية.

يقول الدكتور محمد أبو صعليك في كتابه فقه الإبتلاء: لا تعرف الأشياء إلا بوجود أضدادها فلا يعرف طعم الحلو إلا من ذاق المر ، ولا يعرف الخير إلا من رأى الشر، ولا يعرف قدر العافية إلا من رأى الابتلاء والمحنة، وعند النظر في الابتلاء وفوائده، نجد أن فيها معرفة قدر نعمة العافية، تلك التي يعرفها المبتلى بسبب ما هو

١- في ظلال القرآن، سيد قطب، دار الشروق، الطبعة السابعة عشر، ١٤١٢هـ، ٥/ ٢٧٢١.
٢- رواه الترمذي، وقال حديث صحيح، ٥/٥٣٤ رقم ٣٥١٤، ص ٥. وأخرجه ابن أبي شيبة ٦/٢٤ رقم ٢٩١٨٥.
٣- شجى، ما اعترض في الخلق فأعاق.
٤- المتجلد: الذي يتحمل الشدة ويصبر على المكروه. يقال: أجلد فلاناً إليه ألجأه وأحوجه.
٥- صيد الخاطر، ابن الجوزي، تحقيق: حسن الماحي سويدان، دار القلم – دمشق، ١/ ٢٣٤.

فيه من الابتلاء فيحمله هذا على شكر المنعم، فإذا رأى الإنسان استلابها منه وذهابها عنه ونزعها من غيره جعله ذلك يديم شكر تلك النعمة وعلى أن يسأل الله تعالى دوامها له ولمن يحب من عباد الله تعالى، وحسب الضد هنا هو الابتلاء أن يكون دليل على معرفة قدر ضره وهو العافية وصدق القائل:

وبضــدها وتعــرف الأشــياء [١]

٧) اكتساب القوة والشجاعة في مواجهة الأعداء:

إن التخلص من داء الغفلة يؤدي إلى استجماع القوى، والتشجع لمحاربة العدو من شياطين الإنس والجن، فقد ينشغل الإنسان عن عدوه اللدود وهو الشيطان والنفس الأمارة بالسوء وبطانة الشر فإذا أصاب منهم سهم استجمع قوته وحميته وطالب بثأره إن كان قلبه حراً كريماً، كالرجل الشجاع إذا جرح فإنه لا يقوم له شيء بعدها حتى تراه هائجاً مقداماً، أما القلب الجبان المهين إذا جرح فهو كالرجل الضعيف، إذا خرج ولى هارباً فيفقد بذلك مروءته ولا خير فيمن لا مروءة له يطلب بها الثأر من عدوه ولا عدو أعدى للإنسان من الشيطان. [٢]

٨) الابتلاء تربية بالخبرة:

إن المبتلى بالذنوب أو الضراء يصبح لديه من الخبرة ما يمكنه من معالجة ذلك مستقبلاً معالجة صحيحه يقول ابن القيم: المبتلى بالذنب يصبح كالطبيب المجرب الذي عرف المرض مباشرة، ومن ثم فهو يعرف كيف يعالجه علاجاً صحيحاً، وهذا معنى قولهم أعرف الناس بالآفات أكثرهم آفات. وهذه قيمة معرفية أولاً، وهي ثانياً قيمة عملية تفيد في معالجة الحالات المماثلة، يقول ماجد الكيلاني: الابتلاء تربية بالخبرة هدفها فهم الخير وتذوق جماله، وفهم الشر والنفور من قبيحه، ومن خلال هذا الفهم وهذا التذوق تتحقق غاية مهمة من غايات الابتلاء وهي إدارك عظمة النعم الإلهية على الإنسان ثم يكون من وراء ذلك الابتلاء نوع من الترقي العقلي والاجتماعي، لأن الإنسان حيث يمتحن بموقف معين ثم يتبع الأساليب

١- فوائد الإبتلاء، مقال للدكتور محمد أبو الصعاليك ، على الإنترنت، ١٣ مارس ٢٠١٤.
٢- نضرة النعيم من مكارم أخلاق الرسول، ١/ ٢٧.

الصحيحة لمعالجته تتكون لديه خبرة صحيحة بطبيعه المواقف الزمنية والأشياء الكونية ويعرف الأساليب الصحيحة لمعالجتها، وحين يخطيء هذه الأساليب الصحيحة فإنه يقف على خطورة الانحراف عن قوانين الأشياء ويعرف الآثار السيئة للأساليب الخاطئة وتكون ثمرة ذلك كله ارتقاء النوع الإنساني. [١]

وفي هذا يقول سيد قطب رحمه الله: "ثم إنه الطريق الذي لا طريق غيره لإنشاء الجماعة التي تحمل هذه الدعوة وتنهض بتكاليفها، طريقة التربية لهذه الجماعة، وإخراج مكنوناتها من الخير والقوة والاحتمال، وهو طريق المزاولة العملية للتكاليف، والمعرفة الواقعية لحقيقة الناس، وحقيقة الحياة، ذلك ليثبت على هذه الدعوة أصلب أصحابها عوداً، فهؤلاء هم الذين يصلحون لحملها، إذن والصبر عليها فهم عليها مؤتمنون. [٢]

وفي نهاية هذا الفصل الذي بينت فيه مفهوم الابتلاء والحكمة منه وصبر الدعاة على هذا الابتلاء وذكر نماذج مضيئة من صبر الدعاة على الابتلاء ثم بينت فوائد الابتلاء عموماً وأن هذا الابتلاء فيه تكفير للخطايا ورفع للدرجات وزيادة في الحسنات وإخراج العجب من النفوس والإعداد الحقيقي لتحمل الأمانة ومعرفة قدر نعمة العافية والشكر عليها فوفى إبراهيم عليه السلام مع ربه وابتلى بأنواع من الابتلاءات ولعل أشد هذه الابتلاءات أمره بذبح ولده وابتلاءه مع أبيه وقومه، وابتلاؤه مع ملك مصر وسوف أتحدث في الفصل الرابع عن هذه الابتلاءات والفوائد الدعوية من ابتلاؤه مع أبيه وملك مصر وولده والدروس المستفادة من سيرته.

١- نضرة النعيم من مكارم أخلاق الرسول، ١/ ٢٦.

٢- في ظلال القرآن، سيد قطب، ١/ ٥٣٩. السيرة النبوية، للصلابي، ص ١٢٨.

الفصل الرابع

الفوائد الدعوية من ابتلائه مع أبيه وملك مصر وولده والدروس المستفادة من سيرته.

المبحث الاول: ابتلاء ابراهيم الخليل بأبيه وقومه.

المبحث الثاني: ابتلاء ابراهيم الخليل مع ملك مصر.

المبحث الثالث: ابتلاؤه بذبح ولده.

المبحث الأول: إبتلاء إبراهيم الخليل بأبيه وقومه.

شاءت إرادة الله تبارك وتعالى أن يبتلي عباده ويختبرهم ويمتحنهم لكي يرفع من درجاتهم عند ربهم قال تعالى: {وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ ٱلْمُجَٰهِدِينَ مِنكُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَنَبْلُوَاْ أَخْبَارَكُمْ ﴿٣١﴾ }[1] وأكثر ما يذكر البلاء في المحن والشدائد والمصائب قال تعالى: {وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ }[2].

فكلما علا مقام المؤمن عند ربه إزداد بلاؤه فعن أنس بن مالك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: ((عِظم الجزاء مع عظم البلاء وإن الله إذا أحب قوماً إبتلاهم فمن رضي فله الرضا ومن سخط فله السخط))[3].

فالناس يتفاوتون في الابتلاء على حسب قربهم من الله فكلما زاد القرب زاد البلاء فعن مصعب بن سعد عن أبيه قال: قلت يا رسول الله أي الناس أشد بلاءً، قال: الأنبياء، ثم الأمثل فالأمثل فيبتلى الرجل على حسب دينه فإن كان دينُه صُلباً اشتد بلاؤُه وإن كان في دينه رقة إبتلي على حسب دينه فما يبرح البلاء بالعبد حتى يتركه يمشي على الأرض ما عليه خطيئة".

ولقد تعرض سيدنا إبراهيم عليه السلام لأنواع من الإبتلاءات فضرب بذلك أروع الأمثلة في الصبر والثبات فلا يكاد ينتهي من إبتلاء حتى يدركه إبتلاء آخر.

ومن الإبتلاءات التي تعرض لها سيدنا إبراهيم عليه السلام إبتلاؤه بأبيه الذي كفر برسالته ووقف منه ومن رسالته موقف المعاند ثم ابتلاه الله بذبح ولده فاستسلم لأمر لربه، وابتلي بإلقائه في النار ثم ابتلاؤه مع ملك مصر ثم ابتلي من قبل في ولده بتركه طفلاً رضيعاً في مكان موحش لا أنيس فيه ولا جليس ولا طعام ولا شراب فسلم لأمر ربه فحفظ الله تركته ورعاهم وهكذا ينجح إبراهيم عليه السلام في كل هذه الإبتلاءات ويخرج منها بفضل الله راضياً منتصراً شاكراً لربه ولذلك رفع الله مكانته".

١- سورة محمد، الآية ٣١.
٢- سورة البقرة، الآية ١٥٥.
٣- سنن ابن ماجة، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء الكتب العربية، ٢/ ١٣٣٨.

أولاً: إبتلاء إبراهيم الخليل بأبيه:

لقد ابتلي إبراهيم عليه السلام بأنواع من الإبتلاءات وامتحنه الله بضروب من الإمتحانات ومن هذه الإبتلاءات إبتلاؤه بأبيه.

بدأ إبراهيم عليه السلام دعوته بأبيه آزر فدعاه إلى عبادة الله ونبذ عبادة الأصنام، دعاه بأسلوب يتسم بالشفقة والرقة والإقناع لكن أباه وقف منه موقف المعاند وأصر على الكفر وهدده بالرجم وأشار القرآن في عدد من السور والآيات إلى موقف والد إبراهيم من دعوته إلى الله وصبر سيدنا إبراهيم عليه السلام على أبيه قال تعالى: {وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِبۡرَٰهِيمَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقٗا نَّبِيًّا ﴿٤١﴾ إِذۡ قَالَ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعۡبُدُ مَا لَا يَسۡمَعُ وَلَا يُبۡصِرُ وَلَا يُغۡنِي عَنكَ شَيۡـٔٗا ﴿٤٢﴾ يَٰٓأَبَتِ إِنِّي قَدۡ جَآءَنِي مِنَ ٱلۡعِلۡمِ مَا لَمۡ يَأۡتِكَ فَٱتَّبِعۡنِيٓ أَهۡدِكَ صِرَٰطٗا سَوِيّٗا ﴿٤٣﴾ يَٰٓأَبَتِ لَا تَعۡبُدِ ٱلشَّيۡطَٰنَۖ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ كَانَ لِلرَّحۡمَٰنِ عَصِيّٗا ﴿٤٤﴾ يَٰٓأَبَتِ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٞ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيۡطَٰنِ وَلِيّٗا ﴿٤٥﴾ قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنۡ ءَالِهَتِي يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُۖ لَئِن لَّمۡ تَنتَهِ لَأَرۡجُمَنَّكَۖ وَٱهۡجُرۡنِي مَلِيّٗا ﴿٤٦﴾ قَالَ سَلَٰمٌ عَلَيۡكَۖ سَأَسۡتَغۡفِرُ لَكَ رَبِّيٓۖ إِنَّهُۥ كَانَ بِي حَفِيّٗا ﴿٤٧﴾ وَأَعۡتَزِلُكُمۡ وَمَا تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَأَدۡعُواْ رَبِّي عَسَىٰٓ أَلَّآ أَكُونَ بِدُعَآءِ رَبِّي شَقِيّٗا ﴿٤٨﴾ فَلَمَّا ٱعۡتَزَلَهُمۡ وَمَا يَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَهَبۡنَا لَهُۥٓ إِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَۖ وَكُلّٗا جَعَلۡنَا نَبِيّٗا ﴿٤٩﴾ وَوَهَبۡنَا لَهُم مِّن رَّحۡمَتِنَا وَجَعَلۡنَا لَهُمۡ لِسَانَ صِدۡقٍ عَلِيّٗا ﴿٥٠﴾ }[1].

يقول الله تعالى لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: واذكر في الكتاب إبراهيم أي: أتل على قومك هؤلاء الذين يعبدون الأصنام خبر إبراهيم خليل الرحمن، وقد كان صديقاً نبياً مع أبيه كيف نهاه عن عبادة الأصنام فقال {يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعۡبُدُ مَا لَا يَسۡمَعُ وَلَا يُبۡصِرُ وَلَا يُغۡنِي عَنكَ شَيۡـٔٗا }[2].

١- سورة مريم، الآيات ٤١ ــ ٥٠.

٢- مختصر تفسير ابن كثير، محمد علي الصابوني، الناشر: دار القرآن، بيروت، الطبعة السابعة، ١٤٠٢هـ - ١٩٨١م، ٢/ ٤٥٣.

بهذا اللطف في الخطاب يتوجه إبراهيم إلى أبيه يحاول أن يهديه إلى الخير الذي هداه الله إليه، وعلمه إياه وهو يتحبب إليه فيخاطبه {يَـٰٓأَبَتِ} ناداه بهذا الوصف دون أن يذكر اسمه: زيادة في احترامه واستمالة قلبه للحق"[١].

ويسأله: {لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنكَ شَيْـًٔا } والأصل في العبادة أن يتوجه بها الإنسان إلى من هو أعلى من الإنسان وأعلم وأقوى وأن يرفعها إلى مقام أسمى من مقام الإنسان وأسنى فكيف يتوجه بها إذن إلى ما هو دون الإنسان بل إلى ما هو في مرتبة أدنى من مرتبة الحيوان، لا يسمع ولا يبصر ولا يملك ضراً ولا نفعاً.[٢]

ويلاحظ أن الأب قابل ابنه بالعنف فلم يقل له يا بني كما قال الإبن له يا أبت، وقابل وعظه الرقيق بالتهديد والوعيد بالشتم أو الضرب بالحجارة ومع هذا أجابه إبراهيم باللطف قائلاً: {سَلَـٰمٌ عَلَيْكَ ۖ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّىٓ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ بِى حَفِيًّا }[٣]؛ أي قال إبراهيم لأبيه سلام عليك سلام توديع وترك لا سلام تحية، فلا ينالك من مكروه ولا أذى لحرمة الأبوة. وكما قال في صفة المؤمنين {وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَـٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَـٰمًا }[٤] وقال سبحانه {وَإِذَا سَمِعُوا۟ ٱللَّغْوَ أَعْرَضُوا۟ عَنْهُ وَقَالُوا۟ لَنَآ أَعْمَـٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَـٰلُكُمْ ۖ سَلَـٰمٌ عَلَيْكُمْ ۖ لَا نَبْتَغِى ٱلْجَـٰهِلِينَ ﴿٥٥﴾ }[٥].

ولكن سأطلب لك من الله أن يهديك ويغفر لك بأن يوفقك للإيمان ويرشدك للخير، إن ربي كان بي لطيفاً كثير البر، يجيبني إذا دعوته. [٦]

يقول الإمام الألوسي في التعليق على قوله تعالى {إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَـٰٓأَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنكَ شَيْـًٔا } قال سلك عليه السلام في دعوته أحسن منهاج، وأقوم سبيل، واحتج عليه أبدع احتجاج بحسن أدب وخلق جميل لئلا يركب من

١- التفسير الوسيط، محمد سيد طنطاوي، الناشر: دار نهضة مصر للطباعة والنشر، الطبعة الأولى، ٩/ ٤١.
٢- في ظلال القرآن، سيد قطب، ٤/ ٢٣١١.
٣- سورة مريم، الآية ٤٧.
٤- سورة الفرقان، الآية ٦٣.
٥- سورة القصص، الآية ٥٥.
٦- التفسير المنير، للزحيلي، ١٦/ ١٠٧.

المكابرة والعناد ولا ينكب بالكلية عن محجة الرشاد، حيث طلب منه علة عبادته لما يستخف به عقل كل عاقل، من عالم وجاهل ويأبى الركون إليه، فضلاً عن عبادته التي هي الغاية القاصية من التعظيم مع أنها لا تحق إلا لمن له الاستغاء التام والأنعام العام.[١]

ثم يقول سيدنا إبراهيم عليه السلام {يَـٰٓأَبَتِ إِنِّى قَدْ جَآءَنِى مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَٱتَّبِعْنِىٓ أَهْدِكَ صِرَٰطًا سَوِيًّا ﴿٤٣﴾ }[٢]: أي يا أبي، وإن كنت من صلبك، وتراني أصغر منك لأني ولدك، فاعلم أني قد اطلعت من العلم من الله، على ما لم تعلمه انت ولا اطلعت عليه ولا جاءك فاتبعني في دعوتي [٣].

دعاه إلى اتباع الحق بألطف أسلوب فقال: يا أبت إني قد جاءني من العلم النافع الذي علمني الله تعالى إياه ما لم يأتك أنت وهذا فضل الله يؤتيه من يشاء فاتبعني فيما ادعوك إليه أهديك صراطاً سوياً [٤]، أي أبصرك هدى الطريق المستوي الذي لا تضل فيه إن لزمته وهو دين الله الذي لا اعوجاج فيه. [٥]

يقول الإمام القرطبي في معنى قوله {أَهْدِكَ صِرَٰطًا سَوِيًّا }: أي أرشدك إلى دين مستقيم فيه النجاة. [٦]

والملاحظ في هذه الآية أنه لم يصف أباه بالجهل ولا نفسه بالعلم الكامل لئلا ينفر منه وإنما قال أعطيت شيئاً من العلم لم تعطه. [٧]

يقول أبو السعود في تفسيره: "لم يسمِ أباه بالجهل المُفْرط وإن كان في أقصاه ولا نفسه بالعلم الفائق وإن كان كذلك بل أبرز نفسه في صورة رفيق له أعرف بأحوال ما سلكاه من الطريق فاستماله برفق حيث قال {فَٱتَّبِعْنِىٓ أَهْدِكَ صِرَٰطًا سَوِيًّا } أي مستقيماً موصلاً إلى أسنى المطالب منجياً عن الضلال المؤدي إلى مهاوي الردى والمعاطب. [٨]
(٨)

١- محاسن التأويل، القاسمي، تحقيق: محمد باسل عيون السود، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ٧/ ٩٩.
٢- سورة مريم، الآية ٤٣.
٣- التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، وهبة الزحيلي، دار الفكر المعاصر، دمشق، الطبعة الثانية، ١٤١٨هـ، ١٦/ ١٠٥.
٤- التفسير الوسيط، محمد سيد طنطاوي، دار نهضة مصر، الطبعة الأولى، ١٩/ ٤١.
٥- تفسير الطبري، ابن جرير، ١٨/ ٢٠٤.
٦- الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ١١/ ١١١.
٧- التفسير المنير، وهبة الزحيلي، ١٦/ ١٠٦.
٨- إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، لأبي السعود، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت، ٥/ ٢٦٧.

ثم يواصل إبراهيم عليه السلام كلماته لأبيه يحذره فيها من عبادة الشيطان قائلاً له {يَـٰٓأَبَتِ لَا تَعۡبُدِ ٱلشَّيۡطَـٰنَۖ إِنَّ ٱلشَّيۡطَـٰنَ كَانَ لِلرَّحۡمَـٰنِ عَصِيًّا }[1]: أي لا تُطِعْهُ في عبادتك هذه الأصنام فإنه هو الداعي إلى ذلك والراضي له [2] كما قال تعالى: {۞ أَلَمۡ أَعۡهَدۡ إِلَيۡكُمۡ يَـٰبَنِيٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعۡبُدُواْ ٱلشَّيۡطَـٰنَۖ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٞ ٦٠}[3].

{إِنَّ ٱلشَّيۡطَـٰنَ كَانَ لِلرَّحۡمَـٰنِ عَصِيًّا }: فمن اتبع خطواته، فقد اتخذه ولياً وكان عاصياً لله بمنزلة الشيطان، وفي ذكر إضافة العصيان إلى اسم الرحمن إشارة إلى أن المعاصي تمنع العبد من رحمة الله وتغلق عليه أبوابها. [4]

وفي الآية تنبيه لهذه النصيحة على وجود الرحمن ثم على وجود الشيطان وأن الرحمن مصدر كل خير والشيطان مصدر كل شر. [5]

يقول الطاهر بن عاشور: "والمراد بعبادة الشيطان عبادة الأصنام عبر عنها بعبادة الشيطان إفصاحاً عن فسادها وضلالها فإن نسبة الضَّلال والفساد إلى الشيطان مقررة في نفوس البشر، ولكن الذين يتبعونه لا يفطنُون إلى حالهم ويتبعون وساوسه تحت ستار التمويه [6] مثل قوله: {إِنَّا وَجَدۡنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٖ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَـٰرِهِم مُّقۡتَدُونَ ٢٣}[7]

ثم يواصل إبراهيم عليه السلام نصحه لأبيه قائلاً له {يَـٰٓأَبَتِ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٞ مِّنَ ٱلرَّحۡمَـٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيۡطَـٰنِ وَلِيّٗا ٤٥}[8]

قال الفراء معنى أخاف هنا أعلم. وقال الأكثرون: إن الخوف هنا محمول على ظاهره لأن إبراهيم غير جازم بموت أبيه على الكفر إذ لو كان جازماً بذلك لم يشتغل

١- سورة مريم، الآية ٤٤.
٢- تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، دار طيبة للنشر والتوزيع، ٥/ ٢٣٥.
٣- سورة يس، الآية ٦٠.
٤- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م، ١/ ٤٩٤.
٥- غرائب القرآن ورغائب الفرقان، النيسابوري، تحقيق: الشيخ زكريا عميران، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ، ٤/ ٤٩١.
٦- التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور، الدار التونسية للنشر، ١٩٨٤م، ١٦/ ١١٦.
٧- سورة الزخرف، الآية ٢٣.
٨- سورة مريم، الآية ٤٥.

بنصحه [١]. لكن نصحه وحذره من غضب الله عليه فيعاقبه فيجعله ولياً للشيطان وتابعاً فهداية الله لعبده إلى الطاعة نعمة وقضاؤه عليه أن يكون من أولياء الشيطان نقمة نقمة تقوده إلى عذاب أشد وخسارة أفدح يوم يقوم الحساب. [٢]

وبالرغم من هذا الأدب في الدعوة إلى التوحيد مع البراهين والأدلة الدالة على بطلان عبادة الأوثان، أجابه أبوه بما هو غير مأمول منه فقال تعالى: {أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ ءَالِهَتِى يَـٰٓإِبْرَٰهِيمُ ۖ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ ۖ وَٱهْجُرْنِى مَلِيًّا }[٣]

لقد خاطبه هذا الخطاب العنيف، وسماه باسمه ولم يقل "يا بني" في مقابلة قوله له "يا أبت" وهدده بأنه إن لم ينته عما يقوله له ليرجمنَّهُ؛ قيل بالحجارة وقيل باللسان شتماً والأول أظهر ثم أمره بهجره ملياً أي: زماناً طويلاً. [٤]

بهذه الجهالة تلقى الرجل الدعوة إلى الهدى وبهذه القوة قابل القول المؤدب المهذب وذلك شأن الإيمان مع الكفر وشأن القلب الذي هذبه الإيمان والقلب الذي أفسده الكفر. [٥]

ولم يغضب إبراهيم الحليم ولم يفقد بره وعطفه وأدبه مع أبيه [٦]: {قَالَ سَلَـٰمٌ عَلَيْكَ ۖ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّىٓ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ بِى حَفِيًّا ﴿٤٧﴾ وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَأَدْعُوا۟ رَبِّى عَسَىٰٓ أَلَّآ أَكُونَ بِدُعَآءِ رَبِّى شَقِيًّا ﴿٤٨﴾ }[٧].

موقف إبراهيم عليه السلام:

بعد هذه الدعوة اللطيفة بأحب الأسماء وأرقها وبعد هذا الأسلوب الراقي والحوار البناء والدعوة التي اتسمت بالرفق واللين والبر، يأتي الجواب مخالفاً لما تميله أهواء النفوس ونزعات الشيطان، وموافقاً لما توجبه شرائع الله تعالى، وما عهدناه من أخلاق

١- فتح القدير، للشوكاني، دار ابن كثير، الطبعة الأولى ١٤١٤هـ، ٣/ ٣٩٦.
٢- في ظلال القرآن، سيد قطب، ٤/ ٢٣١٢.
٣- سورة مريم، الآية ٤٦.
٤- التفسير المنير، وهبة الزحيلي، ١٦/ ١٠٧.
٥- أضواء البيان في إيضاح القرآن، للشنقيطي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، لبنان، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م، ٣/ ٤٢٧.
٦- في ظلال القرآن، سيد قطب، ٤/ ٢٣١٢.
٧- سورة مريم، الآيات ٤٧ – ٤٨.

خليل الرحمن إبراهيم، كما حكاه القرآن {قَالَ سَلَٰمٌ عَلَيۡكَۖ سَأَسۡتَغۡفِرُ لَكَ رَبِّيٓۖ إِنَّهُۥ كَانَ بِي حَفِيّٗا } ورد إبراهيم عليه السلام يشتمل على دعاء، ووعد وإجابة، ومنهج:

فأما الدعاء فهو {سَلَٰمٌ عَلَيۡكَ } وهذا دعاء لأبيه بالسلامة مع كل سوء، تطييباً لخاطره، واستمالة له، وهو في نفس الوقت سلام توديع ومتاركة، ومقابلة للسيئة بالحسنة وكأنه يقول له: "لا أصيبك بمكروه ولا أقول لك بعد ما يؤذيك". (١)

يقول الشهيد سيد قطب رحمه الله: "في قوله {سَلَٰمٌ عَلَيۡكَ} أي فلا جدال ولا أذى ولا رد للتهديد والوعيد، سأدعوا الله أن يغفر لك فلا يعاقبك بالاستمرار في الضلال وتولي الشيطان بل يرحمك فيرزقك الهدى. (٢)

وفي الآية دلالة على جواز متاركة المنصوح إذا أظهر اللجاج. (٣)

وأما الوعد فهو: {سَأَسۡتَغۡفِرُ لَكَ رَبِّيٓۖ إِنَّهُۥ كَانَ بِي حَفِيّٗا }.

استغفار إبراهيم لأبيه:

وعد إبراهيم أباه أن يستغفر له ربه عز وجل، لعله يوفقه للتوبة والإيمان، ويهديه إلى الطريق المستقيم، فحقيقة الاستغفار للكافر: استدعاء التوفيق لما يوجب مغفرة الله سبحانه وتعالى، وكان هذا الوعد من إبراهيم عليه السلام قبل أن يعلم أن أباه يموت على كفره، وتحق عليه الكلمة (٤)، ولهذا قال الله سبحانه في موضع آخر {فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوّٞ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنۡهُ }.

وبهذا يضرب سيدنا إبراهيم عليه السلام أروع الأمثلة في الولاء والبراء وأن رابطة الدين والعقيدة هي أعلى الروابط وذلك عندما تبرأ من أبيه بعد أن أيقن أنه لن يهتدي. والقرآن الكريم يوضح لنا ذلك قال تعالى: {وَمَا كَانَ ٱسۡتِغۡفَارُ إِبۡرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن

١- أنوار التنزيل وأسرار التأويل، البيضاوي، ٤/ ١٢.
٢- في ظلال القرآن، سيد قطب، ٤/ ٢٣١٢.
٣- روح البيان، ٥/ ٣٣٧.
٤- خصائص النظم القرآني في قصة إبراهيم عليه السلام، د. الشحات محمد أبو شنب، مطبعة الأمانة، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ - ١٩٩١م. ١٩٩١م.

مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُۚ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٌ ﴿١١٤﴾}[1].

وأما الإجابة فهي: {وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ } فبهذا يكون إبراهيم عليه السلام قد استجاب لأمر أبيه له بأن يهجره طويلاً، إذ أخبره بأنه سيبتعد عنه وعن قومه وما يعبدون من دون الله ويتركهم وشأنهم بعد أن قام بما عليه من نصحهم وتبليغهم، ولم يستجيبوا لدعوته، ولم يهتدوا بنصيحته.

وأجابه إبراهيم عليه السلام فيها من حسن الأدب وكماله وغزارة المعنى وتمامه، ما ليس في أمر أبيه، ويتضح هذا من المقارنة بين ما جاءه القرآن الكريم عن كل منهما، فقد حكى عن الأب قوله {وَٱهْجُرْنِى مَلِيًّا } وعن إبراهيم قوله {وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ } أي واجتنبكم وما تدعون من دون الله من الأوثان والأصنام. [2]

فعبر الأب بالهجر، وهو لفظ شديد الجرس يوحي بالفراق الشديد والمخاصمة والمقاطعة.

وعبر إبراهيم عليه السلام بالاعتزال وهو لفظ معتدل الجرس ينطوي على المفارقة بالمعروف.

والعزلة سلوك محمود عند الزهاد، ومن ثم كان الاعتزال مستعملاً في القرآن في حكاية عبارات الرسل والمؤمنين ومقامات التباعد بالحسنى، فيحكي القرآن عن موسى قوله لقومه {وَإِن لَّمْ تُؤْمِنُواْ لِى فَٱعْتَزِلُونِ ﴿٢١﴾ }[3] وعن أصحاب الكهف قولهم {وَإِذِ ٱعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ }[4] ويقول في الأمر باجتناب الحائض: {فَٱعْتَزِلُواْ ٱلنِّسَآءَ فِى ٱلْمَحِيضِ ۖ }[5] بينما يقول في الابتعاد عن الناشز {وَٱهْجُرُوهُنَّ فِى ٱلْمَضَاجِعِ}[6] وحينما أمر الله تعالى رسوله محمد صلى الله عليه وسلم بهجر الكافرين

١- سورة التوبة، الآية ١١٤.
٢- جامع البيان في تأويل القرآن، الطبري، تحقيق: أحمد محمد شاكر، ١٨/ ٢٠٨.
٣- سورة الدخان، الآية ٢١.
٤- سورة الكهف، الآية ١٦.
٥- سورة البقرة، الآية ٢٢٢.
٦- سورة النساء، الآية ٣٤.

قال: {وَٱهۡجُرۡهُمۡ هَجۡرٗا جَمِيلٗا }[1] فقيد الهجر الجميل تحقيقاً لمفهومه، وكل هذا يدل على أن الهجر أشد من الاعتزال. [2]

ثانياً: ابتلاء إبراهيم بقومه:

بعد أن دعا إبراهيم عليه السلام أباه للتوحيد اتجه بدعوته إلى قومه الذين كانوا يعبدون الأوثان من دون الله.

قال تعالى: {۞ وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَآ إِبۡرَٰهِيمَ رُشۡدَهُۥ مِن قَبۡلُ وَكُنَّا بِهِۦ عَٰلِمِينَ ﴿٥١﴾ إِذۡ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوۡمِهِۦ مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِيٓ أَنتُمۡ لَهَا عَٰكِفُونَ ﴿٥٢﴾ قَالُواْ وَجَدۡنَآ ءَابَآءَنَا لَهَا عَٰبِدِينَ ﴿٥٣﴾ قَالَ لَقَدۡ كُنتُمۡ أَنتُمۡ وَءَابَآؤُكُمۡ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ﴿٥٤﴾ قَالُوٓاْ أَجِئۡتَنَا بِٱلۡحَقِّ أَمۡ أَنتَ مِنَ ٱللَّٰعِبِينَ ﴿٥٥﴾ قَالَ بَل رَّبُّكُمۡ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ٱلَّذِي فَطَرَهُنَّ وَأَنَا۠ عَلَىٰ ذَٰلِكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٥٦﴾ وَتَٱللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصۡنَٰمَكُم بَعۡدَ أَن تُوَلُّواْ مُدۡبِرِينَ ﴿٥٧﴾ فَجَعَلَهُمۡ جُذَٰذًا إِلَّا كَبِيرٗا لَّهُمۡ لَعَلَّهُمۡ إِلَيۡهِ يَرۡجِعُونَ ﴿٥٨﴾ قَالُواْ مَن فَعَلَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَآ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٩﴾ قَالُواْ سَمِعۡنَا فَتٗى يَذۡكُرُهُمۡ يُقَالُ لَهُۥٓ إِبۡرَٰهِيمُ ﴿٦٠﴾ قَالُواْ فَأۡتُواْ بِهِۦ عَلَىٰٓ أَعۡيُنِ ٱلنَّاسِ لَعَلَّهُمۡ يَشۡهَدُونَ ﴿٦١﴾ قَالُوٓاْ ءَأَنتَ فَعَلۡتَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَا يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُ ﴿٦٢﴾ قَالَ بَلۡ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمۡ هَٰذَا فَسۡـَٔلُوهُمۡ إِن كَانُواْ يَنطِقُونَ ﴿٦٣﴾ }[3]

وقوله تعالى: {وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ إِبۡرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾ إِذۡ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوۡمِهِۦ مَا تَعۡبُدُونَ ﴿٧٠﴾ قَالُواْ نَعۡبُدُ أَصۡنَامٗا فَنَظَلُّ لَهَا عَٰكِفِينَ ﴿٧١﴾ قَالَ هَلۡ يَسۡمَعُونَكُمۡ إِذۡ تَدۡعُونَ ﴿٧٢﴾ أَوۡ يَنفَعُونَكُمۡ أَوۡ يَضُرُّونَ ﴿٧٣﴾ قَالُواْ بَلۡ وَجَدۡنَآ ءَابَآءَنَا كَذَٰلِكَ يَفۡعَلُونَ ﴿٧٤﴾ قَالَ أَفَرَءَيۡتُم مَّا كُنتُمۡ تَعۡبُدُونَ ﴿٧٥﴾ أَنتُمۡ وَءَابَآؤُكُمُ ٱلۡأَقۡدَمُونَ ﴿٧٦﴾ فَإِنَّهُمۡ عَدُوّٞ لِّيٓ إِلَّا رَبَّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٧٧﴾ ٱلَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهۡدِينِ ﴿٧٨﴾ وَٱلَّذِي هُوَ يُطۡعِمُنِي وَيَسۡقِينِ ﴿٧٩﴾ وَإِذَا مَرِضۡتُ فَهُوَ يَشۡفِينِ ﴿٨٠﴾ وَٱلَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحۡيِينِ ﴿٨١﴾ وَٱلَّذِيٓ أَطۡمَعُ أَن يَغۡفِرَ لِي خَطِيٓـَٔتِي يَوۡمَ ٱلدِّينِ ﴿٨٢﴾ رَبِّ هَبۡ لِي حُكۡمٗا

١- سورة المزمل، الآية ١٠.

٢- خصائص النظم القرآني في قصة إبراهيم عليه السلام، د. الشحات محمد أبو شنب، مطبعة الأمانة، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ - ١٩٩١م، ص ٤٥.

٣- سورة الأنبياء، الآيات ٥١ – ٦٣.

وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ ﴿٨٣﴾ وَاجْعَل لِّي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ ﴿٨٤﴾ وَاجْعَلْنِي مِن وَرَثَةِ جَنَّةِ النَّعِيمِ ﴿٨٥﴾ وَاغْفِرْ لِأَبِي إِنَّهُ كَانَ مِنَ الضَّالِّينَ ﴿٨٦﴾ وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ ﴿٨٧﴾ يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾ }[1]

يخبر الله سبحانه وتعالى عن سيدنا إبراهيم عليه السلام أنه أتاه رشده أي هديناه إلى ما فيه الخير والصلاح. [2]

وقيل: وفق للخير صغيراً. [3]

والرشد هو الاستقامة على طريق الحق، وهو صفة يوصف بها الإنسان ذو العقل الراجح الذي يتصرف في الأمور بحكمة تعصمه من الزلل وتجنبه الوقوع في الخطأ ولهذا جعل الله سبحانه الرشد شرطاً لتسليم الأموال لليتامى القُصَّر الذين بلغوا سن الرشد، فليس البلوغ بالسن هو الذي يؤهل الإنسان لاستلام ماله من حقوق ولكن الرشد هو الشرط الذي ينبغي مراعاته عند ذلك، فقد يبلغ الرجل سن الرشد، ولكنه لا يكون رشيداً فهذا وأمثاله لا يعطون حق التصرف إلا بعد التأكد من رشدهم يقول الله تعالى: {وَابْتَلُوا الْيَتَامَىٰ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ فَإِنْ آنَسْتُم مِّنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ}[4]

فالرشد إذن النضج العقلي الذي يمنح الإنسان القدرة على التمييز بين الحق والباطل وبين الصالح والفاسد وبين النافع والضار، وهو كذلك مناط المسئولية في الإنسان ولهذا جعل في مقابلة السفه، حيث يقول جل شأنه {وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَامًا }[5].

وحين يقول الله جل وعلا: {۞ وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِن قَبْلُ } يعلمنا أن إبراهيم عليه السلام قد رشد وهو لا يزال صغيراً ونضج وهو لا يزال غضاً وبلغ مبلغ الرجال وهو لا يزال صبياً. [6]

١- سورة الشعراء، الآيات ٦٩ – ٨٩.
٢- التفسير المنير، وهبة الزحيلي، ١٧/ ٧٣.
٣- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي، دار الكتب العلمية، ٤/ ٨٦.
٤- سورة النساء، الآية ٦.
٥- سورة النساء، الآية ٥.
٦- نظرات في أحسن القصص، د. محمد السيد الوكيل، دار القلم، دمشق، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م، ص ١٤٨.

وكلمة {مِن قَبۡلُ } تدل على أن الله أتاه رشده من قبل النبوة، أي وفقناه للنظر والاستدلال إلى توحيد الله ومعاداة عبادة الأصنام لأنها لا تنفع ولا تضر ولا تسمع ولا تبصر. (١)

{وَكُنَّا بِهِۦ عَٰلِمِينَ } أي إنه أهلٌ لإيتاء الرشد وصالح للنبوة. (٢)

بدأ إبراهيم عليه السلام دعوته لقومه بالسؤال فقال لهم: {مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِيٓ أَنتُمۡ لَهَا عَٰكِفُونَ } وهذه طريقة حسنة ناجحة، ينبغي للداعية أن يفطن إليها فلا يلجأ دائماً إلى الوعظ والإرشاد، أو تقرير الحقائق التي يريد أن يدعوا إليها فتلك طريقة قد تصد قلب السامع عن الإصغاء إليها، وإنما يسلك سبيل الحوار مع من يدعو، وفي الحوار سؤال وجواب. والسؤال المحكم الدقيق يؤدي إلى جواب يريد الداعية أن يستخرجه ممن يخاطب، فيجعل هذا الجواب حجة عليه، بين له خطأ ما هو فيه، وبطلان ما يعتقده. (٣)

{مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِيٓ أَنتُمۡ لَهَا عَٰكِفُونَ } أي ما هذه الصور يعني الأصنام التي أنتم لها عاكفون، أي على عبادتها مقيمون. (٤)

يقول الشهيد سيد قطب: "فكانت قولته هذه دليل رشده سمي تلك الأحجار والخشب باسمها: {هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ } ولم يقل إنها آلهة، واستنكر أن يعكفوا عليها بالعبادة، وكلمة {عَٰكِفُونَ } تفيد الإنكباب الدائم المستمر". (٥)

وفي التعبير عن عبادتهم لها بالعكوف عليها تفظيع لفعلهم وتنفير لهم منه حيث انكبوا على تعظيم من لا يستحق التعظيم وتعلقوا بعبادة تماثيل هم صنعوها بأيديهم.(٦) وقالوا {وَجَدۡنَآ ءَابَآءَنَا لَهَا عَٰبِدِينَ } أي نعبدها تقليداً لأسلافنا. قال ابن كثير: لم يكن لهم حجة سوى صنيع آبائهم.

١- الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ١١/ ٢٩٦. وانظر التفسير المنير، للزحيلي، الناشر: دار الكتب المصرية، ١٧/ ٧٣.
٢- الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني، دار الكتب المصرية، الطبعة الثالثة، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م، ١١/ ٢٩٦.
٣- نقد دعوة الأنبياء في القرآن، د. أحمد البراء الأميري، دار السلام للطباعة والنشر، ص ١٥٧.
٤- معالم التنزيل في تفسير القرآن، البغوي، تحقيق: محمد عبد الله النمر، عثمان جمعة، الناشر دار طيبة للنشر والتوزيع، ٥/ ٣٢٣.
٥- في ظلال القرآن، سيد قطب، دار الشروق، ٤/ ٢٣٨٥.
٦- التفسير الوسيط، محمد سيد طنطاوي، ٩/ ٢٢٢.

{لَقَدۡ كُنتُمۡ أَنتُمۡ وَءَابَآؤُكُمۡ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ } أي لقد كنتم وأسلافكم الذين عبدو هذه الأصنام في خطأ بين عبادتكم إياها إذ هي جمادات لا تنفع ولا تضر ولا تسمع {قَالُوٓاْ أَجِئۡتَنَا بِٱلۡحَقِّ أَمۡ أَنتَ مِنَ ٱللَّٰعِبِينَ } أي هل أنت جاد فيما تقول أم لاعب؟ وهل قولك حقٌ أم مزاح؟ استعظموا انكاره عليهم، واستبعدوا أن يكون ما هم عليه ضلالاً [١]. وهو جواب يدل على التحجر العقلي والنفسي داخل قوالب التقليد الميتة في مقابل حرية الإيمان، وانطلاقة للنظر والتدبر وتقويم الأشياء والأوضاع بقيمتها الحقيقية لا التقليدية.[٢]

ثم قال لهم سيدنا إبراهيم {لَقَدۡ كُنتُمۡ أَنتُمۡ وَءَابَآؤُكُمۡ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ } أي لا يخفى على عاقل لعدم استناد الفريقين إلى دليل بل هو هوى متبع وشيطان مطاع وذهاب عن سبيل الحق وجور عن قصد السبيل مبين. [٣]

وعندما واجههم إبراهيم عليه السلام بهذا الحكم البين الصريح، قالوا له: {أَجِئۡتَنَا بِٱلۡحَقِّ أَمۡ أَنتَ مِنَ ٱللَّٰعِبِينَ } أي: أجئتنا يا إبراهيم بالحق الذي يجب علينا إتباعه، أم أنت من اللاعبين اللاهين الذين يقولون ما يقولون بقصد الهزل والملاعبة. وسؤالهم هذا يدل على تزعزع عقيدتهم وشكهم فيما هم عليه من باطل، إلا أن التقليد لآبائهم، جعلهم يعطلون عقولهم ويستحبون العمى على الهدى.

وقد رد عليهم إبراهيم عليه السلام رداً حاسماً يدل على قوة يقينه فقال: {بَل رَّبُّكُمۡ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ٱلَّذِي فَطَرَهُنَّ }؛ أي: قال لهم إبراهيم بلغة الواثق بأنه على الحق: أنا لست هازلاً فيما أقوله لكم، وإنما أنا جاد كل الجد في إخباركم أن الله تعالى وحده هو ربكم ورب آبائكم، ورب السموات والأرض فهو الذي خلقهن وأنشائهن بما فيهن من مخلوقات بقدرته التي لا يعجزها شيء. [٤]

١- صفوة التفاسير، محمد علي الصابوني، دار الصابوني للطباعة، ٢/ ٢٤٤.
٢- في ظلال القرآن، سيد قطب، دار الشروق، ٤/ ٢٣٨٥.
٣- محاسن التأويل ، القاسمي، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، ٧/ ٢٠٠. وانظر جامع البيان في تأويل القرآن، الطبري، تحقيق: أحمد محمد شاكر، ١٨/ ٤٥٦.
٤- التفسير الوسيط، محمد سيد طنطاوي، ٩/ ٢٢٣.

دعوته عليه الصلاة والسلام لقومه عبدة الأصنام:

بين الله سبحانه وتعالى في القرآن الكريم في سورة الشعراء إبتلاءاً آخر بينه وبين قومه عبدة الأصنام، قال تعالى: {وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٧٠﴾ قَالُواْ نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَٰكِفِينَ ﴿٧١﴾ قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ ﴿٧٢﴾ أَوْ يَنفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ ﴿٧٣﴾ قَالُواْ بَلْ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا كَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٧٤﴾ قَالَ أَفَرَءَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٧٥﴾ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمُ ٱلْأَقْدَمُونَ ﴿٧٦﴾ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّىٓ إِلَّا رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٧﴾ ٱلَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهْدِينِ ﴿٧٨﴾ وَٱلَّذِى هُوَ يُطْعِمُنِى وَيَسْقِينِ ﴿٧٩﴾ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾ وَٱلَّذِى يُمِيتُنِى ثُمَّ يُحْيِينِ ﴿٨١﴾ وَٱلَّذِىٓ أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِى خَطِيٓـَٔتِى يَوْمَ ٱلدِّينِ ﴿٨٢﴾ رَبِّ هَبْ لِى حُكْمًا وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٣﴾ وَٱجْعَل لِّى لِسَانَ صِدْقٍ فِى ٱلْءَاخِرِينَ ﴿٨٤﴾ وَٱجْعَلْنِى مِن وَرَثَةِ جَنَّةِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٨٥﴾ وَٱغْفِرْ لِأَبِىٓ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٨٦﴾ وَلَا تُخْزِنِى يَوْمَ يُبْعَثُونَ ﴿٨٧﴾ يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾ }[1]

هذا إخبار من الله تعالى عن عبده ورسوله وخليله إبراهيم عليه السلام إمام الحنفاء، أمر الله تعالى رسوله محمداً صلى الله عليه وسلم أن يتلوه على أمته ليقتدوا به في الإخلاص والتوكل وعبادة الله وحدهُ لا شريك له. [2]

واستخدم إبراهيم عليه السلام في دعوته لقومه عبدة الأصنام أسلوباً آخر من أساليب الدعوة بدأ دعوته بسؤال إنكاري عن هذه الأصنام التي يعبدونها من دون الله وهل هي تضر أو تنفع أم هي ترى أم تسمع. فقال {مَا تَعْبُدُونَ } أي شيء تعبدون؟ وهو يعلم أنهم يعبدون الأصنام ولكنه أراد إلزامهم الحجة قالوا نعبد أصناماً فنظل لها عاكفين أي فنقيم على عبادتها مستمرين لا في وقت معين. [3]

أي قال قوم إبراهيم نعبد هذه الأصنام ونداوم على عبادتها في الليل والنهار.

١- سورة الشعراء، الآية ٦٩ – ٨٦.

٢- تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: محمد حسين شمس، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ، ٦/ ١٣١.

٣- فتح القدير، الشوكاني، الناشر: دار ابن كثير، ودار الكلم الطيب، ٤/ ١٢١.

فناقشهم في جدوى تلك العبادة متعجباً من فعلهم: قال: هل يسمعونكم إذ تدعون؟ أو ينفعونكم أو يضرون؟ أي قال إبراهيم هل يسمعون دعاءكم حين تدعونهم، وهل يجلبون لكم نفعاً أو يدفعون عنكم ضراً؟ إذاً ما الفائدة من عبادة لا هدف لها.

قالوا: بل وجدنا آباءنا كذلك يفعلون، لم يجدوا جواباً مقنعاً يرد حجة إبراهيم إلا التمسك بالتقليد الأعمى للأباء والأجداد، وليس لهم حجة مقبولة لتسويغ عبادتها وتقديسها، وهذا من أقوى الأدلة على فساد التقليد ووجوب الاعتماد على الاستدلال العقلي المقنع لأن الله أورد ذلك ذماً لطريقة الكفار وإنكاراً لمنهجهم. (١)

تحدي إبراهيم لهم:

وأمام هذا التحجر لم يجد إبراهيم على حلمه وأناته إلا أن يهزهم بعنف، ويعلن عداوته للأصنام، وللعقيدة الفاسدة التي تسمح بعبادتها لمثل تلك الاعتبارات قال {أَفَرَءَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٧٥﴾ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمُ ٱلْأَقْدَمُونَ ﴿٧٦﴾ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّىٓ إِلَّا رَبَّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٧٧﴾ }.

وهكذا لم يمنعه أن أباه وأن قومه يعبدون ما يعبدون، أن يفارقهم بعقيدته وأن يجاهر بعدائه لآلهتهم وعقيدتهم، هم وآباؤهم – وهم آباؤه الأقدمون، وكذلك يعلم القرآن المؤمنين أن لا مجاملة في العقيدة لوالد ولا لقوم وأن الرابطة الأولى هي رابطة العقيدة، وأن القيمة الأولى هي قيمة الإيمان. (٢)

إقرار إبراهيم عليه السلام بعظمة الله تعالى:

لقد ذكر سيدنا إبراهيم عليه السلام نعم الله عليه وأقر بعظمة الله الخالق الرازق المحيي المميت المتصف بصفات الجلال والكمال الذي يجيب دعوة المضطر إذا دعاه، وبهذا يكون هو المستحق للعبادة وحده دون سواه.

فقال: {ٱلَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهْدِينِ ﴿٧٨﴾ وَٱلَّذِى هُوَ يُطْعِمُنِى وَيَسْقِينِ ﴿٧٩﴾ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾ وَٱلَّذِى يُمِيتُنِى ثُمَّ يُحْيِينِ ﴿٨١﴾ وَٱلَّذِىٓ أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِى خَطِيٓـَٔتِى يَوْمَ ٱلدِّينِ ﴿٨٢﴾ }.

١- التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، د. وهبة مصطفى الزحيلي، دار الفكر المعاصر، دمشق، الطبعة الثانية، ١٤١٨هـ، ١٩/ ١٦٧.

٢- في ظلال القرآن، سيد قطب، دار الشروق، الطبعة السابعة عشر، ١٤١٢هـ، ٥/ ٢٦٠٢.

ونستشعر من صفة إبراهيم لربه، واسترساله في تصوير صلته به، إنه يعيش بكيانه كله مع ربه وأنه يتطلع إليه في ثقة، ويتوجه إليه في حب وأنه يصفه كأنه يراه، ويحس وقع إنعامه وإفضاله عليه بقلبه ومشاعره وجوارحه. (١)

وبعد ثناء إبراهيم عليه السلام على مولاه ببعض ما أفاض عليه من نعم تستوجب تخصيص العبادة به عز وجل وتبين لقومه قدرة ربه المطلقة على فعل ما يريد في مقابل عجز آلهتهم عن فعل شيء من نفع أو ضر.

فذكر خمس صفات جليلة تتضمن نعماً عظيماً أفاضها الله تعالى عليه:

الأولى: {ٱلَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهۡدِينِ } فرب العالمين هو الذي خلقه وسواه، وهذا أول النعم وأهمها، وفرع عليها ما يتصل بها وهي أن يهديه إلى ما يصلحه من أمور المعاش والمعاد، فالخالق يدبر أمر مخلوقاته ويرشدهم كما في قوله تعالى: {ٱلَّذِىٓ أَعۡطَىٰ كُلَّ شَىۡءٍ خَلۡقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ }(٢).

الثانية: {وَٱلَّذِى هُوَ يُطۡعِمُنِى وَيَسۡقِينِ } وهي تشتمل على نعمتين: الإطعام والسقيا وبهما يبقى الخلق وتدوم الحياة إلى الأجل الذي حدده الله تعالى. (٣)

الثالثة: {وَإِذَا مَرِضۡتُ فَهُوَ يَشۡفِينِ } أي وإذا نزل بي مرض فهو الذي يشفيني بتيسير أسباب الشفاء وتفويض الأمر إليه. (٤)

وأسند إبراهيم عليه السلام المرض إلى نفسه والشفاء إلى الله عز وجل، وهذا أحسن الأدب في العبارة والكل من عند الله تعالى. (٥)

والرابعة: {وَٱلَّذِى يُمِيتُنِى ثُمَّ يُحۡيِينِ } مرة أخرى للحساب والجزاء.

١- في ظلال القرآن، سيد قطب، دار الشروق، ٥/ ٢٦٠٣.

٢- سورة طه، الآية ٥٠.

٣- خصائص النظم القرآني في قصة إبراهيم عليه السلام، د. الشحات محمد أبو سنين، مطبعة الأمانة، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ - ١٩٩١م، ص ٦٦.

٤- المنتخب في تفسير القرآن الكريم، تأليف: لجنة من علماء الأزهر، الناشر: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، طبع مؤسسة الأهرام، الطبعة الثامنة عشر، ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م، ١/ ٥٤٩.

٥- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية، ٤/ ٢٣٥.

فالمراد بالإحياء: إعادة الحياة إلى الميت يوم القيامة أي: ومن صفات رب العالمين الذي أخلص له العبادة، أنه سبحانه الذي بقدرته وحده أنه يميتني عند حضور أجلي ثم يعيدني إلى الحياة مرة أخرى يوم البعث والحساب. [١]

والخامسة: {وَٱلَّذِيٓ أَطۡمَعُ أَن يَغۡفِرَ لِي خَطِيٓـَٔتِي يَوۡمَ ٱلدِّينِ } وهذا تلطف من إبراهيم في حسن الاستدعاء والخضوع لله تعالى. [٢]

وعبر بالطمع في مغفرة الله تعالى دون أن يقول والذي يغفر لي تواضعاً لله تعالى ومباعدة لنفسه عن هاجس استحقاقه المغفرة وإنما طمع في ذلك لوعد الله بذلك. [٣]

وفي الآية دليل على شدة خوفه من منزلته في خلته. [٤]

وفي الآية أيضاً أسمى درجات الأدب من إبراهيم مع ربه سبحانه لأنه يوجه طمعه في المغفرة إليه وحده ويستعظم عليه السلام ما صدر منه من أمور قد تكون خلاف الأولى ويعتبرها خطايا هضماً لنفسه وتعليماً للأمة أن تجتنب المعاصي، وأن تكون منها على حذر وأن تفوض رجاءها إلى الله تعالى وحده. [٥]

وهكذا يجمع إبراهيم في صفة ربه عناصر العقيدة الصحيحة: توحيد الله رب العالمين، والإقرار بتصريفه للبشر في أدق شئون حياتهم على الأرض والبعث والحساب بعد الموت وفضل الله وتقصير العبد، وهي العناصر التي ينكرها قومه، وينكرها المشركون.

مناجاة إبراهيم لربه:

ثم يأخذ إبراهيم الأواه المنيب في دعاء رضي مريد، يتوجه به إلى ربه في إيمان وخشوع {رَبِّ هَبۡ لِي حُكۡمٗا وَأَلۡحِقۡنِي بِٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٣﴾ وَٱجۡعَل لِّي لِسَانَ صِدۡقٖ فِي ٱلۡأٓخِرِينَ ﴿٨٤﴾ وَٱجۡعَلۡنِي مِن وَرَثَةِ جَنَّةِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٨٥﴾ وَٱغۡفِرۡ لِأَبِيٓ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٨٦﴾ وَلَا تُخۡزِنِي يَوۡمَ يُبۡعَثُونَ ﴿٨٧﴾ يَوۡمَ لَا يَنفَعُ مَالٞ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنۡ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلۡبٖ سَلِيمٖ ﴿٨٩﴾ }[٦]

١- التفسير الوسيط، محمد سيد طنطاوي، ١٠/ ٢٥٦.
٢- الوسيط في تفسير القرآن المجيد، الواحدي، ٣/ ٣٥٥.
٣- التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور، الدار التونسية للنشر، ١٩/ ١٤٣.
٤- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية، ٤/ ٢٣٥.
٥- التفسير الوسيط، محمد سيد طنطاوي، ١٠/ ٢٥٦.
٦- سورة الشعراء، الآيات ٨٣ – ٨٩.

والدعاء كله ليس فيه طلب لعرض من أعراض هذه الأرض ولا حتى صحة البدن إنه دعاء يتوجه إلى آفاق أعلى تحركه مشاعر أصفى ودعاء القلب الذي عرف الله فأصبح يحتقر ما عداه، والذي ذاق فهو يطلب المزيد والذي يرجو ويخاف في حدود ما ذاق وما يريد. [١]

وتتضمن مناجاته لربه ستة أدعية:

الأول: {رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا }:

والمراد بالحكم العلم والفهم وقيل النبوة والرسالة، وقيل المعرفة بحدود الله وأحكامه.[٢]

وقد كان إبراهيم حيث دعا نبياً فلذلك كان السؤال طلباً للازْدياد لأن مراتب الكمال لا حد لها بأن يعطي الرسالة مع النبوة أو يعطي شرعية مع الرسالة أو سأل الدوام على ذلك.[٣]

والثاني: {وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ }:

يعني بالنبيين من قبلي. وقيل: بأهل الجنة، يقولها إبراهيم النبي الكريم الأواه الحليم، فياللتواضع وياللإشفاق من التقصير وياللخوف من تقلب القلوب وبالحرص على مجرد اللحاق بالصالحين بتوفيق من ربه إلى العمل الصالح الذي يلحقه بالصالحين. [٤]

والثالث: {وَاجْعَل لِّي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ }:

أي واجعل لي في الناس ذكراً جميلاً وثناء حسناً باقياً فيمن يجيئ من القرون بعدي.[٥]

وقد أجاب سبحانه له هذه الدعوة فجعل أثره خالداً وجعل من ذريته الأنبياء والصالحين وعلى رأسهم سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم.

وهذا يتضمن سؤال الدوام والختام على الكمال وطلب نشر الثناء عليه وهذا ما تتغذى به الروح من بعد موته لأن الثناء عليه يستعدي دعاء الناس له والصلاة عليه والتسليم جزاء على ما عرفوهُ من زكاة نفسه. [٦]

١- في ظلال القرآن، سيد قطب، دار الشروق، ٥/ ٢٦٠٤.
٢- فتح القدير للشوكاني، ٤/ ١٢٣.
٣- التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور، ١٩/ ١٤٥.
٤- في ظلال القرآن، سيد قطب، دار الشروق، ٥/ ٢٦٠٤.
٥- جامع البيان في تأويل القرآن، الطبري، ١٩/ ٣٦٤.
٦- التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور، ١٩/ ١٤٦.

ولذلك لا ترى أمة من الأمم إلا وهي محبة له ومثنية عليه.

والرابع: {وَٱجۡعَلۡنِي مِن وَرَثَةِ جَنَّةِ ٱلنَّعِيمِ }:

أي واجعلني من أهل الجنة الذين يتمتعون بخيراتها ونعيمها كما يتمتع الوارث بإرث غيره في الدنيا. [١]

فأجاب الله دعاءه فرفع منزلته في جنات النعيم.

والخامس: {وَٱغۡفِرۡ لِأَبِيٓ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ }:

وبعد أن طلب لنفسه السعادة الدنيوية والأخروية طلبها لأبيه ولي نعمته وسبب وجوده طلب له الهداية والتوفيق للإيمان على الرغم مما لقيه إبراهيم عليه السلام من أبيه من غليظ القول وبالغ التهديد ولكنه كان قد وعده أن يستغفر له فوفى بوعده، وقد بين القرآن فيما بعد أنه لا يجوز الاستغفار للمشركين ولو كانوا أولي قربى [٢] {وَمَا كَانَ ٱسۡتِغۡفَارُ إِبۡرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوۡعِدَةٖ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوّٞ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنۡهُۚ إِنَّ إِبۡرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٞ ١١٤ }[٣]

والسادس: {وَلَا تُخۡزِنِي يَوۡمَ يُبۡعَثُونَ ٨٧ يَوۡمَ لَا يَنفَعُ مَالٞ وَلَا بَنُونَ ٨٨ إِلَّا مَنۡ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلۡبٖ سَلِيمٖ ٨٩ }:

طلب إبراهيم من الله ألا يعرضه لما يخزيه ويهينه ويكسر خاطره يوم البعث؛ فقال: {وَلَا تُخۡزِنِي } لا تفضحني بعتاب على ما فرطت وأجرني من الخزي والهوان يوم القيامة ويوم يبعث الخلائق أولهم وآخرهم. وهذا مبالغة منه صلى الله عليه وسلم في تحري الكمال والسلامة والنجاة في يوم شديد الأهوال. [٤]

وتخصيص البعث بالذكر دون سائر ما يقع في هذا اليوم إثبات للحقيقة التي ينكرها قومه وهي بعثهم بعد موتهم، ولعل هذا هو السر في إيقاع البعث على جميع الناس فيما

١- التفسير المنير، وهبة الزحيلي، ١٩/ ١٧٣.
٢- في ظلال القرآن، سيد قطب، ٥/ ٢٦٠٤.
٣- سورة التوبة، الآية ١١٤.
٤- التفسير المنير، وهبة الزحيلي، ١٩/ ١٧٣.

فيهم قومه دون أن يوقعه على نفسه فيقول يوم أبعث، كما أن البعث مقدمة يترتب عليه ما يحدث بعد ذلك من حشر وحساب وثواب وعقاب. [1]

ونستشف من قول إبراهيم {وَلَا تُخۡزِنِي يَوۡمَ يُبۡعَثُونَ } مدى شعوره بهول اليوم الآخر ومدى حيائه من ربه وخشيته من الجزاء أمامه وخوفه من تقصيره وهو النبي الكريم.

كما نستشف من قوله {يَوۡمَ لَا يَنفَعُ مَالٞ وَلَا بَنُونَ ٨٨ إِلَّا مَنۡ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلۡبٖ سَلِيمٖ ٨٩ } مدى إدراكه لحقيقة ذلك اليوم، وإدراكه كذلك لحقيقة القيم، فليست هنالك من قيمة في يوم الحساب إلا قيمة الإخلاص إخلاص القلب كله لله وتجرده من كل شائبة ومن كل مرض ومن كل عرض، وصفائه من الشهوات والإنحرافات وخلوه من التعلق بغير الله. [2]

إبراهيم يحطم الأصنام:

بعد أن دعا إبراهيم عليه السلام أباه وقومه إلى عبادة الله وترك عبادة الأصنام واستخدم معهم أساليب متعددة في دعوتهم إلى الله وأقام عليه الحجة لكنهم لم ينتفعوا بما قاله لهم سيدنا إبراهيم فانتقل من القول إلى الفعل فهددهم وتوعدهم من النيل من أصنامهم بعد أن يولوا مدبرين إلى عيدهم.

فقال الله على لسان إبراهيم عليه السلام {وَتَٱللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصۡنَٰمَكُم بَعۡدَ أَن تُوَلُّواْ مُدۡبِرِينَ ٥٧ }

أقسم إبراهيم عليه السلام قسماً أسمعه بعض قومه: أي والله لأجتهدن في كسر أصنامكم وفي إلحاق الأذى بها، بعد أن تذهبوا إلى عيدكم وكان لهم مجمع عيد يخرجون إليه كل سنة ثم يعودون فيسجدون للأصنام.

وقوله: بعد أن تولوا مدبرين أي منطلقين ذاهبين وسمع هذا القول رجل منهم فحفظه ثم أخبر عنه وشاع ذلك في جماعة ولذلك قال الله عز وجل {قَالُواْ سَمِعۡنَا فَتًى

١- خصائص النظم القرآني في قصة إبراهيم، د. الشحات محمد أبو سنين، ص ٧٣.
٢- في ظلال القرآن، سيد قطب، دار الشروق، ٥/ ٢٦٠٤.

يَذْكُرُهُمْ}[1] ولم يخرج إبراهيم معهم معتذراً بأنه سقيم وصمم على تنفيذ خطته عملياً لعلهم يتركون عبادة الأصنام. حينما يتأملون أنها لا تستطيع دفع الأذى عن نفسها. [2]

وقد نفذ إبراهيم عليه السلام ما توعد به الأصنام فقد انتهز فرصة ذهاب قومه بعيداً عنها فحطمها كما قال الله عز وجل: {فَجَعَلَهُمْ جُذَٰذًا إِلَّا كَبِيرًا لَّهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ ﴿٥٨﴾ } وتحولت الآلهة المعبودة إلى قطع صغيرة من الحجارة والأخشاب المهشمة إلا كبير الأصنام قد تركه إبراهيم {لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ } فيسألونه كيف وقعت الواقعة وهو حاضر فلم يدفع عن صغار الآلهة ولعلهم حينئذ يراجعون القضية كلها، فيرجعوا إلى صوابهم ويدركون منه ما في عبادة هذه الأصنام من سخف وتهافت.

وعاد القوم ليروا آلهتهم جذاذاً إلا ذلك الكبير ولكنهم لم يرجعوا إليه يسألونه ولا إلى أنفسهم يسألونها: إن كانت هذه آلهة فكيف وقع لها ما وقع دون أن تدفع عن أنفسها شيئاً وهذا كبيرها لم يدفع عنها لم يسألوا أنفسهم هذا السؤال لأن الخرافة قد عطلت عقولهم عن التفكير ولأن التقليد قد غل أفكارهم عن التأمل والتدبر. [3]

فحين رجعوا وشاهدوا ما فعله الخليل بأصنامهم من الإهانة والإذلال الدال على عدم أولوهيتها وعلى سخافة عقول عابديها {قَالُوا۟ مَن فَعَلَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَآ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ } أي في صنع هذا {قَالُوا۟ سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُۥٓ إِبْرَٰهِيمُ } أي قال من سمعه يحلف أنه ليكيدنهم {سَمِعْنَا فَتًى } أي شاباً بذكرهم يقال له إبراهيم. [4]

والفتى: الذكر الذي قوي شبابه.

وفي قولهم {يُقَالُ لَهُۥٓ إِبْرَٰهِيمُ } دلالة على أن المُنْتَصبين للبحث في القضية لم يكونوا يعرفون إبراهيم، أو أن الشهداء أرادوا تحقيره بأنه مجهول لا يُعرف وإنما يدعى أو يسمى إبراهيم أي ليس هو من الناس المعروفين. [5]

١- سورة الأنبياء، الآية ٦٠.
٢- التفسير المنير، د. وهبة الزحيلي، ١٧/ ٧٥.
٣- في ظلال القرآن، سيد قطب، ٤/ ٢٣٨٦.
٤- تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ٥/ ٣٤٩.
٥- التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور، ١٧/ ٩٩.

{قَالُواْ فَأْتُواْ بِهِۦ عَلَىٰٓ أَعْيُنِ ٱلنَّاسِ } أي على رءوس الأشهاد في الملأ الأكبر بحضرة الناس كلهم وكان هذا هو المقصود الأكبر لإبراهيم أن يتبيّن في هذا المحفل العظيم كثرة جهلهم وقلة عقلِهِم في عبادة هذه الأصنام التي لا تدفع عن نفسها ضراً ولا تملك لها نصراً فكيف يطلب منها شيء من ذلك.

{قَالُوٓاْ ءَأَنتَ فَعَلْتَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَا يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴿٦٢﴾ قَالَ بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا } يعني الذي تركه لم يكسره {فَسْـَٔلُوهُمْ إِن كَانُواْ يَنطِقُونَ } وإنما أراد بهذا أن يبادروا من تلقاء أنفسهم فيعترفون أنهم لا ينطقون فإن هذا لا يصدر عن هذا الصنم لأنه جماد.[1]

وكانت صدمة عنيفة ردتهم إلى الصحوة من سكرتهم فرجع بعضهم إلى بعض، ورجع كل منهم إلى نفسه متفكراً فيما كان عليه من الضلال وبين لبعضهم أنهم كانوا ظالمين بعبادتهم هذه الحجارة التي لا تدفع عن نفسها ضراً ولا تستجلب نفعاً فكيف تقدر على ذلك لسواها؟ وشعروا بأنهم قد قهروا وغُلبوا فأخذتهم العزة بالإثم، لذا التفتوا إلى إبراهيم وقالوا: {لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَٰٓؤُلَآءِ يَنطِقُونَ } فكيف نسألهم من فعل ذلك بهم وكيف نسأل كبيرهم؟

عندئذ سدد الخليل سهمه المحكم الثاني وقال {أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْـًٔا وَلَا يَضُرُّكُمْ } وأعلن استهزاءه بعقولهم تصريحاً دون تلميح {أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ أَفَلَا تَعْقِلُونَ } فلما ألزمهم الحجة غضبوا [2] وقالوا {قَالُواْ حَرِّقُوهُ وَٱنصُرُوٓاْ ءَالِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ } وهذا إبتلاء آخر بإلقاء إبراهيم عليه السلام في النار.

١- تيسير القرآن العظيم، ابن كثير، ٥/ ٣٤٩.

٢- فقه دعوة الأنبياء في القرآن الكريم، أحمد البراء الأميري، ص ١٦٠.

ثالثاً: ابتلاء الخليل إبراهيم عليه السلام بإلقائه في النار:

بعد أن وبخ إبراهيم عليه السلام قومه إلى قبيح ما ارتكبوه من عبادة الأصنام والأوثان التي لا تنفع ولا تضر وغلبهم بالحجة القاهرة ولم يجدوا مخلصاً إلا بإهلاكه فأخذتهم العزة بالإثم كما تأخذ الطغاة دائماً حين يفقدون الحجة يلجأون إلى القوة الغاشمة واختاروا له أشد أنواع العذاب وهو الإحراق فقالوا {حَرِّقُوهُ وَٱنصُرُوٓاْ ءَالِهَتَكُمۡ إِن كُنتُمۡ فَٰعِلِينَ }[1] القائل هو النمود وقيل رجل من الأكراد أو من أعراب فارس.[2]

أمر بجمع الحطب من أصناف الخشب حتى إن كانت المرأة لتنذر أن بلغت ما تطلب لتحتطب لنار إبراهيم حتى إذا أرادوا أن يُلقوُه فيها قدموه واشعلوا النار حتى إن كانت الطير لتمر بها فتحرق من شدتها وحرها [3] ثم وضعوه في المنجنيق مقيداً مغلولاً فرموه به فيها فناداها جبريل عليه السلام {يَٰنَارُ كُونِي بَرۡدٗا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ } فما أحرقت إلا وثاقه، وقيل رفع إبراهيم رأسه إلى السماء فقالت السماء والأرض والجبال والملائكة: ربنا إبراهيم يحرق فيك، فقال: أنا أعلم به فإن دعاكم فأغيثوه، وقال إبراهيم حين رفع رأسه إلى السماء: اللهم أنت الواحد في السماء وأنا الواحد في الأرض ليس في الأرض أحدٌ يعبدك غيري حسبي الله ونعم الوكيل فقذفوه في النار. [4]

روى البخاري عن ابن عباس أنه قال: حسبنا الله ونعم الوكيل قالها إبراهيم حيث ألقي في النار، وقالها محمدٌ حين قيل له إن الناس قد جمعوا لكم فأخشوهم فزادهم إيماناً وقالوا حسبنا الله نعم الوكيل. [5]

فناداها فقال {يَٰنَارُ كُونِي بَرۡدٗا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ }: قال ابن عباس لو لم يُتبع بردها سلاماً لمات إبراهيم من بردها. [6]

قال بعض العلماء: جعل الله فيها برداً يرفع حرها، وحراً يرفع بردها فصارت سلاماً عليه.

١- سورة الأنبياء، الآية ٦٨.
٢- فتح القدير، للشوكاني، ٣/ ٤٩٠. وتفسير القرطبي، ١١/ ٣٠٣.
٣- الكامل في التاريخ، ابن الأثير، دار الكتاب العربي، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م، تحقيق: عمر عبد السلام، ١/ ٨٩.
٤- تاريخ الطبري، ابن جرير، دار التراث، الطبعة الثانية، ١٣٨٧هـ، ١/ ٢٤٢.
٥- البداية والنهاية، ابن كثير، تحقيق: علي شبري، دار التراث العربي، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م، ١/ ١٦٩.
٦- تاريخ الطبري، ابن جرير، ١/ ٢٤٢.

قال أبو العالية: ولو لم يقل برداً وسلاماً لكان برْدها أشدَّ عليه من حرها ولو لم يقل {على إبراهيم} لكان بردها باقياً على الأبد. [١]

لكن الله جعلها برداً وسلاماً على إبراهيم بكلمة واحدة وهي {كُونِي } هذه هي الكلمة التي تكون بها أكوان وتنشأ عنها عوالم وتخلق لها نواميس {إِنَّمَآ أَمۡرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيۡـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾ }[٢] فلا تسأل كيف لم تحرق النار إبراهيم والمشهود المعروف أن النار تحرق الأجسام الحية؟ فالذي قال للنار كوني حارقة هو الذي قال لها كوني برداً وسلاماً. [٣]

يقول الإمام الزمخشري: "لقد نزع الله عنها طبعها الذي طبعها عليه من الحر والإحراق وأبقاها على الإضاءة والإشعال كما كانت والله على كل شيء قدير.

ثم قال ويجوز أن يدفع بقدرته عن جسم إبراهيم عليه السلام أذى حرها ويذيقه فيها عكس ذلك كما يفعل بخزنة جهنم، ويدل عليه قوله على إبراهيم وأرادوا أن يكبدوه ويمكروا به فما كانوا إلا مغلوبين مقهورين وفزعوا إلى القوة والجبروت فنصره وقواه. [٤]

وصار إبراهيم والنار تحيط به وهو في روضة خضراء والناس ينظرون إليه لا يقدرون على الوصول إليه ولا هو يخرج إليهم، فعن أبي هريرة أنه قال: أحسن كلمة قالها أبو إبراهيم إذ قال لما رأى ولده على تلك الحال: "نعم الرب رب إبراهيم"[٥].

وهكذا كان إبتلاء إبراهيم عليه السلام شديداً لكنه خرج منه منتصراً واثقاً بربه متوكلاً عليه.

١- تيسير القرطبي، دار الكتب المصرية، الطبعة الثانية، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م، تحقيق: أحمد البردوني – وإبراهيم أطمنش، ١١/ ٣٠٤.
٢- سورة يس، الآية ٨٢.
٣- في ظلال القرآن، سيد قطب، دار الشروق، ٤/ ٢٣٨٧.
٤- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، الزمخشري، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٧هـ، ٣/ ١٢٦.
٥- البداية والنهاية، ابن كثير، تحقيق: محمد شبري، ١/ ١٦٩.

المبحث الثاني: إبتلاء إبراهيم الخليل عليه السلام مع ملك مصر

لقد تعرض سيدنا إبراهيم عليه السلام لأنواع كثيرة من الإبتلاءات، إبتلاؤه بأبيه وقومه ثم إبتلاؤه بإلقائه في النار وإبتلاؤه أيضاً بذبح ولده، ثم تعرض لنوع آخر من الابتلاء ويتمثل ذلك في محاولة الملك الفاجر الإعتداء على زوجته سارة ولكن الله سلمها

يقول ابن خلدون: "خرج إبراهيم في أهل بيته وقدم مصر، ووصف لفرعون ملك القبط جمال امرأته ساره، فأحضرها عنده ولما هم بها يبست يده على صدره فطلب منها الإقالة فدعت له الله فانطلقت يده، ويقال عاود ذلك ثلاثاً يصاب في كلها وتدعو له فردها إلى إبراهيم واستخدمها هاجر. [١]

يقول ابن الأثير: "والملك الذي أراد سارة هو سنان بن علوان بن عبيد وقيل كان أخا الضحاك استعمله على مصر، وكانت سارة من أحسن النساء وجهاً وكانت لا تعصي إبراهيم شيئاً فلما وصفت لفرعون أرسل إلى إبراهيم فقال من هذه التي معك قال: أختي، يعني في الإسلام. [٢]

موقف إبراهيم من هذا الإبتلاء:

روى الإمام البخاري [٣] في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: (لم يكذب إبراهيم عليه السلام إلا ثلاث كذبات [٤]، ثنتين منهنَّ في ذات الله عز وجل قوله {إِنِّي سَقِيمٌ }[٥] وقولُهُ {بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا }[٦]. وقال بينما هو ذات يوم [٧] وسارة وسارة إذ أتى على جبّار من الجبابرة، فقيل له: إن هاهنا رجلاً معه امرأة من أحسن الناس، فأرسل إليه فسأله عنها، فقال من هذه؟ قال: أختي، فأتى سارة قال: يا سارة: ليس على وجه الأرض مؤمن غيري وغيرك وإن هذا سألني فأخبرته أنك أختي فلا تكذبيني، فأرسل إليها فلما دخلت عليه ذهب يتناولها بيده فأُخذ [٨] فقال: ادْعِي الله لي ولا أضرك فدعت الله فأطلق، ثم تناولها الثانية فأخذ مثلها أو أشد فقال: ادْعِي الله لي ولا أضرك ، فدعت فأطلق، فدعا بعض حَجَبته، قال: إنكم لم تأتوني بإنسان إنما أتيتُموني بشيطان،

١- تاريخ ابن خلدون، تحقيق: خليل شحادة، دار الفكر، الطبعة الثانية، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م، ٢/ ٣٩.
٢- الكامل في التاريخ، ابن الأثير، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، ١/ ٩١.
٣- صحيح البخاري، تحقيق: محمد زهير، دار طوق النجاة، ٤/ ١٤٠.
٤- كذبات: أي فيما يظهر للناس وبالنسبة لفهم السامعين وهي ليست كذباً في حقيقة الأمر لأنها من المعاريض.
٥- سورة الصافات، الآية ٨٩.
٦- سورة الأنبياء، الآية ٦٣.
٧- ذات الله: أي لأجله.
٨- فأخذ: اختنق حتى ضرب برجله الأرض كأنه مصروع.

فأخدمها هاجر، فأتَتْهُ وهو قائم يصلي فأومأ بيده: مَهْيَا [١]، قالت: رد الله كيد الكافر أو الفاجر في نحره وأخدم هاجر، قال أبو هريرة: "تلك [٢] أُمُكم يا بني ماء السماء". [٣]

ولا يخفى عظيم الابتلاء بأخذ الزوجة ومحاولة النيل منها خاصة إذا كان الزوج غاية في الصلاح والتقوى والغيْرة على محارم الله – ومَنْ أصلحُ وأتقى وأغيْرُ من إبراهيم – وإذا كانت الزوجة غاية في العفة والطهارة وصيانة العرض ، وتجمع – إلى ذلك – الحسن الباهر والجمال الآسر ومن أعف وأطهر، وأصونُ للعرض وأجمل من سارة زوج خليل الرحمن.

لقد صبر خليل الرحمن على هذا الابتلاء وفزع إلى الصلاة [٤] يدعو ربه أن ينقذه ويحفظ عليه زوجه ويردها إليه طاهرة مطهرة، مثلما خرجت من عنده واستجاب رب العزة لدعاء عبده ورسوله، وأكرمه بهذه المعجزة فحمى سارة من أن تمسها يدُ الفاجر وردها إلى بعلها لم يمسها سوء [٥] فهل ترى محنة أشد وفتنة أعظم من ذلك؟ رجل غريب يفدُ إلى بلد يسعى فيه لجلب الرزق فتسلب منه زوجته ويفرق بينه وبين أهله ولكن الذي نجى إبراهيم من حر النار وسعيرها – حفظه من وصمة العار ونجاه من الظلم والعدوان. [٦]

الكذبات الثلاث التي وردت في حق إبراهيم عليه السلام:

من خلال الحديث الذي رواه الإمام البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه عن أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "لم يكذب إبراهيم عليه السلام إلا ثلاث كذبات"[٧] .

وهذا الحديث أيضاً رواه الإمام مسلم في صحيحه وأخرجه أيضاً الإمام أحمد في مسنده عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لم يكذب إبراهيم إلا ثلاث كذبات، قوله حين دُعي إلى آلهتهم {إِنِّي سَقِيمٌ} وقوله {فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا} وقوله لسارة أنها اختي". [٨]

١- مهيا: كلمة يستفهم معناها ما حالك وما شأنك.
٢- تلك : أي هاجر عليها السلام.
٣- بني ماء السماء، أراد بهم العرب لأنهم يعيشون بالمطر ويتبعون مواقع القطر في البوادي لأجل المواشي.
٤- قال حذيفة: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا حزبه أمر صلى" أنظر مسند أحمد ، ط الرسالة، ٣٨/ ٣٣٠.
٥- فقه دعوة الأنبياء في القرآن الكريم، د. أحمد البراء الأميري، ص ١٧٨.
٦- قصص القرآن محمد جاد المولى، دار المعرفة، بيروت، ص ٥٤.
٧- الحديث سبق تخريجه.
٨- هذا جزء من الحديث الذي رواه الإمام أحمد في مسنده، حديث رقم ٩٢٤١، ١٥/ ١٣٢.

وغير ذلك من الأحاديث التي نسبت الكذب إلى إبراهيم عليه السلام وهذه الأحاديث كلها صحيحة وليست باطلة كما يدعي البعض وإنما استوفت هذه الأحاديث شروط الصحة والقبول من حيث المتن والإسناد.

ما ذكره الأئمة والعلماء في هذه الكذبات الثلاثة:

قال ابن كثير:

فهو حديث مخرج في الصحاح والسنن من طرق ولكن ليس هذا من باب الكذب الحقيقي الذي يذم فاعله حاشا لله وكلا وإنما أطلق الكذب على هذا تجوزاً وإنما هو من المعاريض في الكلام لمقصد شرعي ديني كما جاء في الحديث (إن في المعاريض [١] لمندوحة عن الكذب).

وقيل أراد {إِنِّي سَقِيمٌ} أي مريض القلب من عبادتكم الأوثان من دون الله. [٢]

قال ذلك معبراً عن ضيقه وتعبه، وأفصح عنه ليتركوه وشأنه ولم يكن هذا كذباً منه إنما كان له أصل في واقع حياته في ذلك اليوم وإن الضيق ليمرض ويسقم ذويه. [٣]

ويقول ابن حجر:

"وأما إطلاقهُ الكذب على الأمور الثلاثة فلكونه قال قولاً يعتقده السامع كذباً لكنه إذا حُقِّق لم يكن كذباً لأنه من باب المعاريض المحتملة للأمرين فليس بكذب محض فقوله {إِنِّي سَقِيمٌ} يحتمل أن يكون أراد إني سقيم سأسقم واسم الفاعل يستعمل بمعنى المستقبل كثيراً ويحتمل أنه أراد إني سقيم بما قدر علي من الموت أو سقيم الحجة على الخروج معكم. [٤]

قال الضحاك:

معنى سقيم سأسقم فسقم الموت لأنه من كتب عليه الموت يسقم في الغالب ثم يموت وهذه تورية وتعريض. كما قال للملك لما سأله عن ساره قال: هي أختي يعني أخوة الدين. [٥]

١- المعاريض: التورية بالشيء عن الشيء.
٢- تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ٧/ ٢١.
٣- في ظلال القرآن، سيد قطب، ٥/ ٢٩٩٣.
٤- فتح البارئ شرح صحيح البخاري، ابن حجر، دار المعرفة، بيروت، ١٣٧٩هـ، ٦/ ٣٩١.
٥- الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ١٥/ ٩٣.

وهذه حقيقة لأن الله عز وجل قال {إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ إِخۡوَةٌ}[1].

إبراهيم والشفاعة العظمة:

وهذه المواقف الثلاث أقدم عليها الخليل إبراهيم عليه السلام طاعتاً وتقرباً إلى الله تعالى وهو مأجور عليها. ومع ذلك كانت سبباً في عدم استحقاقه لمنصب الشفاعة العظمى والتي كانت من نصيب محمد صلى الله عليه وسلم.

فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: أُتي النبي صلى الله عليه وسلم يوماً بلحم فقال: إن الله يجمع يوم القيامة الأولين والآخرين في صعيد واحد فيسمعهم الداعي ويُنْفذهم البصر وتدنو الشمس منهم فذكر حديث الشفاعة، فيأتون إبراهيم فيقولون أنت نبي الله وخليله من الأرض، اشفع لنا إلى ربك فذكر كذباته نفسي نفسي اذهبوا إلى موسى. [2]

يقول الإمام القرطبي: "والأظهر أن قول إبراهيم فيما أخبر عنه عليه السلام كان من المعاريض وإن كانت معاريض وحسنات وحُجَجاً في الخلق ودلالات. لكنها أثرت في الرُّتبة، وخفضتْ عن محمد المنزلة واستحيا منها قائلُها على ما ورد في حديث الشفاعة فإن الأنبياء يُشْفقُون مما لا يُشْفِقُ منه غيرهم إجلالاً لله، فإن الذي كان يليقُ بمرتبة النبوة والخُلَّة، أن يصدع بالحق ويصرّح بالحق لأمر كَيْفَما كان، ولكنه رُخِّص له فقبل الرخصة فكان ما كان من القصة ولهذا في حديث الشفاعة "إنما اتخذت خليلاً من وَرَاء وراء..". والمعنى إني كنت خليلاً متأخراً عن غيري.

ويستفاد من هذا أن الخلة لم تصح بكمالها إلا لمن صح له في ذلك اليوم المقام المحمود وهو نبينا محمد صلى الله عليه وسلم. [3]

١- سورة الحجرات، الآية ١٠.

٢- صحيح البخاري، تحقيق: محمد زهير ناصر، ٤/ ١٤١.

٣- الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني – وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية، الطبعة الثانية، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م، ١١/ ٣٠١ – ٣٠٢.

المبحث الثالث: إبتلاء إبراهيم الخليل عليه السلام بذبح ولده

بعد أن نجى الله إبراهيم عليه السلام من النار ونصره على قومه بعد أن دعاهم إلى الإيمان قرر الهجرة ومفارقتهم وقال {وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيَهْدِينِ} وعاش إبراهيم عليه السلام حيناً من الدهر حتى وهن عظمه وشاب شعره وبلغ من الكبر عتياً وتحركت في نفسه فطرة حب الذرية وإشفاق إلى الولد فدعا ربه أن يهبه ذرية صالحة فقال {رَبِّ هَبْ لِي مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ } فاستجاب الله دعاءه وبشره رب العالمين بغلام حليم وهو إسماعيل عليه السلام قال تعالى: {وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴿٩٩﴾ رَبِّ هَبْ لِي مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠٠﴾ فَبَشَّرْنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٍ ﴿١٠١﴾ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعْيَ قَالَ يَٰبُنَيَّ إِنِّيٓ أَرَىٰ فِي ٱلْمَنَامِ أَنِّيٓ أَذْبَحُكَ فَٱنظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ۚ قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ۖ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٠٢﴾ فَلَمَّآ أَسْلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلْجَبِينِ ﴿١٠٣﴾ وَنَٰدَيْنَٰهُ أَن يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴿١٠٤﴾ قَدْ صَدَّقْتَ ٱلرُّءْيَآ ۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٠٥﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْبَلَٰٓؤُا۟ ٱلْمُبِينُ ﴿١٠٦﴾ وَفَدَيْنَٰهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ ﴿١٠٧﴾ }[1]

بعد أن جعل الله النار برداً وسلاماً على إبراهيم وأقام الحجة على قومه وأعذر منهم. وقال إني ذاهب إلى ربي إني مهاجر إليه قاصد إلى الأرض المباركة أرض الشام {سَيَهْدِينِ } يدلني إلى ما فيه الخير لي من أمر ديني ودنياي [2]. وفي هذا دليل على وجوب الهجرة من المكان إلى مكان آخر إذا لم يتمكن المؤمن من إقامة شعائر دينه. [3]

١- سورة الصافات، الآيات ٩٩ – ١٠٧.

٢- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن السعدي، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، الناشر: مؤسسة الرسالة، ١/ ٧٠٥.

٣- التفسير المنير، وهبة الزحيلي، مرجع سابق، ٢٣/ ١١٣.

وهي هجرة نفسية قبل أن تكون هجرة مكانية هجرة يترك وراءه فيها كل شيء من ماضي حياته، يترك أباه وقومه وأهله وبيته ووطنه كل ما يربطه بهذه الأرض وبهؤلاء الناس، ويدع وراءه كذلك كل عائق وكل شاغل، ويهاجر إلى ربه متخففاً من كل شيء، مسلماً نفسه لربه موقن أن ربه سيهديه، وسيرعى خطاه، وينقلها في الطريق المستقيم إنها الهجرة الكاملة من حال إلى حال ومن وضعٍ إلى وضع ومن أواصر شتى إلى آصرة واحدة لا يزحمها في النفس شيء إنه التعبير عن التجرد والخلوص والاستسلام والطمأنينة واليقين.[1]

وفي أثناء الهجرة دعا ربه بأن يرزقه الولد فقال {رَبِّ هَبۡ لِي مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ } أي رب هب لي ولداً صالحاً يعينني على طاعتك ويؤنسني في الغربة {فَبَشَّرۡنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٖ} أي فبشرناه بصبي ذكر كبير ويصير ذا حلم كثير.

والحليم: الموصوف بالحلم وهو اسم يجمع أصالة الرأي ومكارم الأخلاق والرحمة بالمخلوق.

وهذا الغلام الذي بشر به إبراهيم وهو إسماعيل ابنه البكر [2] لأنه أول من ولد له على رأس ست وثمانين سنة من عمر الخليل وهذا ما لا خلاف فيه بين أهل الملل لأنه أول ولد وبكره [3]، فلما شب وأطاق السعي والعمل رأى إبراهيم في نومه أنه يؤمر بذبح ولده ورؤيا الأنبياء حق، وأحلامهم صدق {قَالَ يَٰبُنَيَّ إِنِّيٓ أَرَىٰ فِي ٱلۡمَنَامِ أَنِّيٓ أَذۡبَحُكَ فَٱنظُرۡ مَاذَا تَرَىٰۚ قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفۡعَلۡ مَا تُؤۡمَرُۖ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ١٠٢}.

يقول الشهيد سيد قطب: "يالله ويالروعة الإيمان والطاعة والتسليم. هذا إبراهيم الشيخ المقطوع من الأهل والقرابة المهاجر من الأرض والوطن، ها هو ذا يرزق في

١- في ظلال القرآن، سيد قطب، مرجع سابق، ٥/ ٢٩٩٤.
٢- التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور، ٢٣/ ١٤٩.
٣- قصص الأنبياء، ابن كثير، تحقيق: مصطفى عبد الواحد، ١/ ٢١٠.

كبره وهرمه بغلام. طالما تطلع إليه فلما جاءه جاء غلاماً ممتازاً يشهد له ربه بأنه حليم. وها هو ذا ما يكاد يانس به وصباه يتفتح، ويبلغ معه السعي، ويرافقه في الحياة، ها هو ذا ما يكاد يأنس ويستروح بهذا الغلام الوحيد، حتى يرى في منامه أنه يذبحه، ويدرك أنها إشارة من ربه بالتضحية فماذا؟ إنه لا يتردد ولا يخالطه إلا شعور الطاعة، ولا يخطر له إلا خاطر التسليم. نعم إنها إشارة مجرد إشارة وليست وحياً صريحاً، ولا أمراً مباشراً ولكنها إشارة من ربه وهذا يكفي ليلبي ويستجيب ودون أن يعرض ودون أن يسأل ربه لماذا يا ربي أذبح ابني الوحيد؟ ولكنه لا يلبي في انزعاج ولا يستسلم في جذع ولا يطيع في اضطراب كلا إنما هو القبول والرضى والطمأنينة والهدوء"[1].

وجاء الجواب من الولد البار بأبيه {يَـٰٓأَبَتِ ٱفۡعَلۡ مَا تُؤۡمَرُۖ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّـٰبِرِينَ }

وفي هذا الرد ما فيه من الأدب، حيث قدم خشية الله تعالى، ونسب الفضل إليه واستعان به سبحانه، في أن يجعله من الصابرين على البلاء.

وهكذا الأنبياء عليهم السلام يلهمهم الله تعالى في جميع مراحل حياتهم ما يجعلهم في أعلى درجات السمو النفسي واليقين القلبي والكمال الخلقي. [2]

ثم بين الله سبحانه وتعالى بعد ذلك ما كان من الابن وأبيه: {فَلَمَّآ أَسۡلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلۡجَبِينِ } أي استسلما وانقادا إبراهيم امتثل لأمر الله تعالى وإسماعيل لطاعة الله وأبيه {وَتَلَّهُۥ لِلۡجَبِينِ } أي صرعه على وجهه ليذبحه من قفاه ولا يشاهد وجهه عند ذبحه ليكون أهون عليه [3] قال ابن عباس {وَتَلَّهُۥ لِلۡجَبِينِ } أكبه على وجهه {وَنَـٰدَيۡنَـٰهُ أَن يَـٰٓإِبۡرَٰهِيمُ ١٠٤ قَدۡ صَدَّقۡتَ ٱلرُّءۡيَآۚ }؛ أي قد نفذت ما أُمرت به

١- في ظلال القرآن، سيد قطب، ٥/ ٢٩٩٤.
٢- التفسير الوسيط، محمد سيد طنطاوي، ١٢/ ١٠١.
٣- تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ٧/ ٢٤.

وحصل المقصود من رؤياك بإضجاعك ولدك للذبح {إِنَّ هَـٰذَا لَهُوَ ٱلْبَلَـٰٓؤُا۟ ٱلْمُبِينُ } أي إن هذا لهو الابتلاء والامتحان الشاق الواضح الذي يتميز منه المخلص من المنافق {وَفَدَيْنَـٰهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ } أي وفديناه بكبش عظيم من الجنة فداء عنه.[١]

ويعلق الشهيد سيد قطب على هذا الحدث فيقول: "ومضت بذلك سنة النحر في الأضحى ذكرى لهذا الحادث العظيم الذي يرتفع منارة لحقيقة الإيمان، وجمال الطاعة وعظمة التسليم. والذي ترجع إليه الأمة المسلمة لتعرف فيه حقيقة أبيها إبراهيم، الذي نتبع ملته، والذي نرث نسبه وعقيدته، ولتدرك طبيعة العقيدة التي تقوم بها أو تقوم عليها، ولتعرف أنها الاستسلام لقدر الله في طاعة راضية واثقة ملبية لا تسأل ربها لماذا؟ ولا تتلجلج في تحقيق إرادته عند أول إشارة منه وأول توجيه. [٢]

ولا شك أن هذا إبتلاء عظيم ومحنة تنوء بها الجبال الراسيات ولكن العظائم كفؤها العظماء فعلى قدْر إبراهيم وعلو منزلته، وعلى مقدار ثبات يقينه وكمال إيمانه يكون إبتلاؤه واختباره. [٣]

اختلاف العلماء في تعيين الذبيح:

اختلف أهل العلم في الذبيح؟ هل هو إسحاق أو إسماعيل:

١- قال القرطبي [٤]: فقال أكثُرهُم الذبيح هو إسحاق وممن قال بذلك العباس بن عبد المطلب وابنه عبد الله، وهو الصحيح عن عبد الله بن مسعود ورواه أيضاً عن جابر وعلي بن أبي طالب وعبد الله بن عمر، وعمر بن الخطاب قال: فهؤلاء سبعة من الصحابة. قال: ومن التابعين وغيرهم: علقمة والشعبي ومجاهد وسعيد بن جبير، وكعب الأحبار وقتادة ومسروق وعكرمة، والقاسم بن أبي برزة وعطاء، ومقاتل والسدي ومالك بن أنس كلهم قالوا: الذبيح إسحاق، وعليه أهل الكتابين اليهود والنصارى. [٥]

١- صفوة التفاسير، محمد علي الصابوني، دار الصابوني للطباعة، ٣/ ٣٧.
٢- في ظلال القرآن، سيد قطب، ٥/ ٢٩٩٦.
٣- قصص الأنبياء، محمد جاد المولى، دار المعرفة، بيروت – لبنان، الطبعة الثانية، ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م، ص ٥٩.
٤- القرطبي، التفسير، ١٥/١٠٠.
٥- فتح القدير، الشوكاني، دار ابن كثير، ٤/ ٤٦٣.

واحتج القائلون بأنه اسحاق بأن الله عز وجل قد أخبرهم عن إبراهيم حين فارق قومه، فهاجر إلى الشام مع امرأته ساره وابن أخيه لوط فقال {إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيَهْدِينِ } أنه دعا فقال: {رَبِّ هَبْ لِي مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ } فقال: {فَلَمَّا ٱعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۖ }.

ولأن الله قال: {وَفَدَيْنَٰهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ } فذكر أنه في الغلام الحليم الذي بشر به إبراهيم، وإنما بشر بإسحاق؛ لأن الله قال {وَبَشَّرْنَٰهُ بِإِسْحَٰقَ }، وقال هنا {بِغُلَٰمٍ حَلِيمٍ } وذلك قبل أن يعرف هاجر وقبل أن يصير له إسماعيل وليس في القرآن أنه بشر بولد إلا إسحاق. (١)

٢- قال الإمام الطبري: إن الغلام الذي بشر به إبراهيم عليه السلام هو إسحاق.
ثم ساق حديثاً عن محمد بن حميد بن يحي بن واضح قال: حدثنا الحسين عن يزيد عن عكرمة: {فَبَشَّرْنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٍ } قال: هو إسحاق.

وحديثاً آخر عن موسى بن هارون عن عمرو بن حماد عن السُّدي قال: قال جبرائيل لساره أبشري بولد اسمه إسحاق ومن وراء إسحاق يعقوب فضربت جبهتها عجباً فذلك قوله {فَصَكَّتْ وَجْهَهَا } و {قَالَتْ يَٰوَيْلَتَىٰٓ ءَأَلِدُ وَأَنَا۠ عَجُوزٌ وَهَٰذَا بَعْلِى شَيْخًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عَجِيبٌ ﴿٧٢﴾ } إلى قوله {حَمِيدٌ مَّجِيدٌ } قالت سارة لجبرئل: ما آية ذلك؟ فأخذ بيده عوداً يابساً، فلواه بين أصابعه فاهتز أخضر، فقال إبراهيم: هو لله إذن ذبيح. (٢)

٣- ما رواه الإمام أحمد في مسنده قال: حدثنا يونس أخبرنا حماد عن عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ((إن جبريل ذهب بإبراهيم إلى جمرة العقبة فعرض له الشيطان فرماه بسبع حصات فساخ (٣)، ثم أتى به الجمرة الوسطى فعرض له الشيطان فرماه بسبع حصات فساخ، ثم أتى به الجمرة

١- فتح القدير، الشوكاني، دار ابن كثير، ٤/ ٤٦٤.
٢- جامع البيان في تأويل القرآن، ابن جرير الطبري، تحقيق: أحمد محمد شاكر، الناشر: مؤسسة الرسالة، ٢١/ ٧٤.
٣- يقال: ساخَتْ بهم الأرض تسوخُ سَوْخاً وسُوُوخاً وسَوَخانا إذا انخسفت وكذلك الأقدام تسوخ في الأرض وتسيخ، يدْخل فيها وتغيب وفي حديث سراقة والهجرة فساخت به فرس أي غاصت في الأرض، لسان العرب، ابن منظور، دار صادر، ٣/ ٢٧.

القصوى فعرض له الشيطان فرماه بسبع حصات فساخ فلما أراد إبراهيم أن يذبح ابنه اسحاق قال لأبيه: يا أبت، أوثقني لا أضطرب فينتضح عليك من دمي إذا ذبحتني فشده فلما أخذ الشفرة فأراد أن يذبحه نودي من خلفه: {أَن يَـٰٓإِبۡرَٰهِيمُ ١٤ قَدۡ صَدَّقۡتَ ٱلرُّءۡيَآۚ}[1]. [2]

ففي هذا الحديث بيان بأن الذبيح هو اسحاق عليه السلام.

٤- ما رواه ابن جرير قال حدثنا زيد بن حبان، عن الحسن بن دينار، عن علي بن زيد بن جُدْعان، عن الحسن، عن الأحنف بن قيس، عن العباس بن عبد المطلب، عن النبي صلى الله عليه وسلم في حديث ذكره، قال: هو إسحاق. [3]

٥- روى الثوري وابن جُرَيْج يرفعانه إلى ابن عباس قال: الذبيح اسحاق. وهو الصحيح عن عبد الله بن مسعود أن رجلاً قال له: يابن الأشياخ الكرام، فقال عبد الله: ذلك يوسف بن يعقوب بن إسحاق ذبيح الله ابن إبراهيم خليل الله صلى الله عليه وسلم. [4]

٦- ما اشتهر من كتاب يعقوب إلى يوسف عليه السلام من يعقوب إسرائيل نبي الله بن إسحاق ذبيح الله بن إبراهيم خليل الله. [5]

٧- قال السُّدّي: كان إبراهيم حين بشر بإسحاق قبل أن يولد له قال: هو إذن لله ذبيح فقيل لإبراهيم قد نذرت نذراً فوف بنذرك فلما أصبح قال يابني إني أرى في المنامك أني أذبحك. [6]

الرد على أدلة القائلين بأن الذبيح هو إسحاق:

١- أن سياق القصة يدل دلالة واضحة على أن الذبيح إسماعيل وليس إسحاق لأن الله تعالى حكى عن إبراهيم أنه تضرع إليه – تعالى – بقوله: {رَبِّ هَبۡ لِي مِنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ } فبشره – سبحانه – {بِغُلَٰمٍ حَلِيمٍ }، وهذا الغلام عندما بلغ السن التي يمكنه معها مساعدة أبيه في أعماله قال له أبوه: {يَـٰبُنَيَّ إِنِّيٓ أَرَىٰ فِي ٱلۡمَنَامِ أَنِّيٓ أَذۡبَحُكَ فَٱنظُرۡ مَاذَا

١- سورة الصافات، الآية ١٠٥.
٢- مسند أحمد، ط الرسالة، تحقيق: شعيب الأرنؤوط ، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م، ٥/ ١٣.
٣- جامع البيان في تأويل القرآن، الطبري، تحقيق: أحمد محمد شاكر، ٢١/ ٨٠.
٤- الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني إبراهيم، دار الكتب المصرية، الطبعة الثانية، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م، ١٥/ ٩٩.
٥- مفاتيح الغيب، الفخر الرازي، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الثانية ١٤٢٠هـ، ٢٦/ ٣٤٨.
٦- مفاتيح الغيب، الفخر الرازي، ٢٦/ ٣٤٦.

تَرَىٰ} ثم افتدى الله تعالى هذا الغلام بذبح عظيم، ثم قال – تعالى – بعد كل ذلك: {وَبَشَّرْنَٰهُ بِإِسْحَٰقَ نَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ } وهذا يدل على أن المبشر به الأول وهو إسماعيل غير المبشر به الثاني وهو إسحاق.[١]

٢- يقول القاسمي: يروي المفسرون هاهنا في قصة الذبيح روايات منكرة لم يصح سندها ولا متنها: بل ولم تحسن فهي معضلة تنتهي إلى السُّدي وكعب الأحبار والسدي حاله معلوم في ضعف مروياته وكذلك كعب. [٢]

٣- الحديث الذي رواه الإمام أحمد في مسنده قال الإمام الهيثمي: رواية أحمد في عطاء بن السائب وقد اختلط. [٣]

٤- الرد على الحديث الذي رواه ابن جرير الطبري قال ابن كثير: ففي إسناده ضعيفان وهما الحسن بن دينار البصري متروك وعلي بن زيد بن جُدعان منكر الحديث. [٤]

٥- حديث عبد الله بن مسعود أن رجلاً قال له: يابن الأشياخ الكرام. الحديث

قال الإمام ابن كثير بعد أن ذكر هذا الحديث: "وهذه الأقوال والله أعلم كلها مأخوذه عن كعب الأحبار فإنه لما أسلم في الدولة العمرية جعل يحدث عمر رضي الله عنه عن كتبه قديماً فربما استمع له عمر رضي الله عنه. فترخص الناس في استماع ما عنده ونقلوا ما عنده عنه غثها وسمينها وليس لهذه الأمة والله أعلم حاجة إلى حرْف واحد مما عنده". [٥]

٦- يقول الإمام البيضاوي في الرد على ما اشتهر من كتاب يعقوب إلى يوسف عليه السلام.

قال وما روى أن يعقوب كتب إلى يوسف مثل ذلك لم يثبت. [٦]

٧- يقول الإمام ابن القيم في زاد المعاد: "وأما القول بأنه إسحاق فباطل بأكثر من عشرين وجهاً وسمعت شيخ الإسلام ابن تيمية – قدس الله روحه- يقول: هذا القول إنما هو ملتقى عن أهل الكتاب مع أنه باطل بنص كتابهم فإن فيه إن الله أمر إبراهيم أن

١- التفسير الوسيط، محمد سيد طنطاوي، دار نهضة مصر للطباعة، ١٢/ ١٠٤.
٢- محاسن التأويل، القاسمي، ٨/ ٢٢٠.
٣- مجمع الزوائد ونبع الفوائد، الهيثمي، تحقيق: حسام الدين القدسي، الناشر: مكتبة القدس، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م، ٣/ ٢٦٠.
٤- تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: محمد حسن شمس الدين، دار الكتب العلمية، ٧/ ٢٩.
٥- تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ٧/ ٢٨.
٦- أنوار التنزيل وأسرار التأويل، البيضاوي، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، ٥/ ١٥.

يذبح ابنه بكره وفي لفظ وحيدهُ ولايشك أهل الكتاب مع المسلمين أن إسماعيل هو بكر أولاده والذي غر أصحاب هذا القول أن في التوارة التي بأيديهم: اذبح ابنك إسحاق قال: وهذه الزيادة من تحريفهم وكذبهم لأنها تناقض قوله: اذبح بكرك ووحيدك". [١]

القائلون بأن الذبيح هو إسماعيل:

ذهب عدد كثير من الصحابة والتابعين إلى أن الذبيح هو إسماعيل عليه السلام ومن هؤلاء أبوبكر ومعاوية بن أبي سفيان وأبو هريرة وعبد الله بن عمر وسعيد بن المسيب والشعبي والحسن البصري ومجاهد والربيع بن أنس ومحمد بن كعب القرظي والكلبي وسعيد بن جبير وعامر الشعبي ويوسف بن مهران وعطاء وابن عباس في رواية أخرى عنه. [٢]

١- وأيدوا بما ذهبوا إليه بما رواه الحاكم في مستدركه قال: حدثنا أبو العباس محمد بن يعقوب، ثنا أحمد بن عبد الجبار، ثنا يونس بن بكير عن محمد بن إسحاق قال سمعت محمد بن كعب القرظي يقول: إن الذي أمر الله إبراهيم بذبحه من ابنه إسماعيل، وإنا لنجد ذلك في كتاب الله في قصة الخير عن إبراهيم وما أمر به من ذبح ابنه أنه إسماعيل وذلك أن الله يقول حين فرغ من قصة المذبوح من ابني إبراهيم قال: {وَبَشَّرْنَٰهُ بِإِسْحَٰقَ نَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ } ثم يقول: {فَبَشَّرْنَٰهَا بِإِسْحَٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسْحَٰقَ يَعْقُوبَ } يقول: يابن ويابن ابن فلم يكن يأمر بذبح إسحاق وله منه من الله موعود بما وعده وما الذي أمر بذبحه إلا إسماعيل. [٣]

٢- ما رواه الحاكم أيضاً في مستدركه عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله عز وجل {وَإِنَّ مِن شِيعَتِهِۦ لَإِبْرَٰهِيمَ } قال: من شيعة نوح إبراهيم على منهاجه وسنته بلغ معه السعي شب حتى بلغ معه سعي إبراهيم في العمل، فلما أسلما ما أمرا به وتلة للجبين وضع وجهه إلى الأرض فقال لا تذبحني وأنت تنظر عسى أن ترحمني فلا تُجهز

١- زاد المعاد في هدي خير العباد، ابن القيم، مؤسسة الرسالة، الطبعة السابعة والعشرون، ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م، ١/ ٧١.

٢- الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ٤/ ٣٦.

وتفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ٧/ ٢٩. والنسفي، تحقيق: يوسف علي مدنوي، دار الكلم الطيب، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ - ١٩٩٧م، ٣/ ١٣٢.

وانظر مفاتيح الغيب، الرازي، دار إحياء التراب العربي، ٢٦/ ٣٤٧.

٣- المستدرك على الصحيحين، الحاكم، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ - ١٩٩٩م، ٥/ ٦٠٥.

عليَّ اربط يدي إلى رقبتي ثم ضع وجهي على الأرض فلما ادْخَل يده ليذبحه فلم يحُك المدية حتى نودي {أَن يَـٰٓإِبۡرَٰهِيمُ ١٠٤ قَدۡ صَدَّقۡتَ ٱلرُّءۡيَآ } فأمسك يده ورفع، قَوْلُهُ {وَفَدَيۡنَـٰهُ بِذِبۡحٍ عَظِيمٍ } بكبش عظيم متقبل، وزعم ابن عباس أن الذبيح إسماعيل، هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يُخرجاه. (١)

٣- واستدلوا أيضاً بما رواه الإمام أحمد في مسنده عن أبي الطفيل عن ابن عباس أنه قال: "لما أمر إبراهيم عليه الصلاة السلام بالمناسك عرض له الشيطان عند السعي فسابقه فسبقه إبراهيم عليه الصلاة والسلام ثم ذهب به جبريل عليه الصلاة والسلام إلى جمرة العقبة فعرض له الشيطان فرماه بسبع حصيات حتى ذهب ثم عرض له عند الجمرة الوسطى فرماه بسبع حصيات وثمَّ تله للجبين وعلى إسماعيل عليه الصلاة والسلام قميص أبيض فقال له: يا أبت إنه ليس لي ثوب تُكفنني فيه غيرهُ فاخلعه حتى تكفنني فيه فعالجه ليخْلَعَهُ فنودي من خلفه أن يا إبراهيم قد صدقت الرؤيا فالتفت إبراهيم فإذا بكبش أبيض أقرن أعين قال ابن عباس: لقد رأيتُنا نَتْبَع ذلك الضرب من الكباش".(٢)

٤- يقول البيضاوي: "في تفسير قوله تعالى: {إِنِّيٓ أَرَىٰ فِي ٱلۡمَنَامِ أَنِّيٓ أَذۡبَحُكَ } قال: "والأظهر أن المخاطب إسماعيل عليه السلام لأنه الذي وهب له أثر الهجرة ولأن البشارة بإسحاق بعد معطوفه على البشارة بهذا الغلام.

ولقوله عليه الصلاة والسلام: (أنا ابن الذبيحين) فأحدهما جده إسماعيل والآخر أبوه عبد الله، فإن جده عبد المطلب نذر أن يذبح ولداً إن سهل الله له حفر زمزم أو بلغ بنوه عشرة، فلما سهل أقرع فخرج السهم علي عبد الله ففداه بمائة من الإبل، ولذلك سنت الدية مائة ؛ ولأن ذلك كان بمكة وكان قرنا الكبش معلقين بالكعبة حتى احترقا معها في زمن أيام الزبير، ولم يكن إسحاق ثمة ولأن البشارة بإسحاق كانت مقرونة بولادة يعقوب منه فلا يناسبها الأمر بذبحه مراهقاً. (٣)

١- المستدرك على الصحيحين، الحاكم، حديث رقم ٣٦١٢، ٢/ ٤٦٨.

٢- تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: محمد حسن شمس الدين، ٧/ ٢٤.
وانظر إلى هذا الحديث بطوله في مسند الإمام أحمد، تحقيق: شعيب الأرنؤوط – عادل مرشد، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م، ٤/ ٤٣٧.

٣- انوار التنزيل وأسرار التأويل، البيضاوي، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، الناشر: دار إحياء التراث العربي، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ، ٥/ ١٥.

ذكر الإمام الفخر الرازي وجوه كثيرة احتج بها القائلون بها بأن الذبيح إسماعيل عليه السلام ومن هذه الوجوه:

١- أن الله وصف إسماعيل بالصبر دون إسحاق في قوله: {وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا ٱلْكِفْلِ ۖ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰبِرِينَ } وهو صبره على الذبيح ووصفه أيضاً بصدق الوعد في قوله: {إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلْوَعْدِ } لأنه وعد أباه من نفسه الصبر على الذبح فوفى به.

٢- نقل عن الأصمعي أنه قال: سألت أبا عمرو بن العلاء عن الذبيح فقال: يا أصمعيُّ أين عقلك، ومتى كان إسحاق بمكة وإنما كان إسماعيل بمكة وهو الذي بنى البيت مع أبيه والمنْحر بمكة". (١)

٣- يقول الإمام ابن القيم في كتابه زاد المعاد: "فإن الله سبحانه أجرى العادة البشرية أن بكر الأولاد أحب إلى الوالدين ممَّن بعدهُ، وإبراهيم عليه السلام لما سأل ربه الولد ووهبه له تعلَّقت شُعْبَهُ من قلبه بمحبته، والله تعالى قد اتخذه خليلاً، والخلة منصب يقتضي توحيد المحبوب، وأن لا يُشارك بينهُ وبين غيره فيها، ومعلوم أن هذا الإمتحان والاختبار إنما حصل عند أول مولود ولم يكن ليحصل في المولود الآخر دون الأول، بل لم يحصل عند المولود الآخر من مُزاحمة الخُلَّة ما يقتضي الأمر بذبحه وهذا في غاية الظهور". (٢)

الرأي الراجح والمختار

بعد أن بينت كلا الرأيين بالأدلة أرى أن الرأي الراجح والمختار الذي أميل إليه وهو أن الذبيح هو إسماعيل عليه السلام حيث كثرة الأدلة الصحيحة على ذلك وهو القول الصحيح عند علماء الصحابة والتابعين ومن بعدهم.

وأما القول الأول فأكثر الأدلة فيه ضعيفة سواء من حيث السند أو المتن كما بينت سابقاً.

وفي النهاية أحببت أن أطرح هذه القضية لكي يطلع عليها الدعاة إلى الله تعالى حتى يكونوا على علم وبصيرة بهذا الأمر.

١- مفاتيح الغيب، الفخر الرازي، إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٢٠هـ، ٢٦/ ٣٤٧.

٢- زاد المعاد في هدي خير العباد، ابن القيم، بتصرف، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة السابعة والعشرون، ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م، ١/ ٧٣– ٧٤.

الفوائد الدعوية من إبتلاء سيدنا إبراهيم عليه السلام بذبح ولده وإبتلاءه بملك مصر:

١- اللجوء إلى الله وحسن الظن به:

الداعية إلى الله عز وجل ينبغي عليه أن يلجأ إلى ربه ويحسن الظن به في كل أمور حياته يلجأ إليه بالدعاء والعبادة والصلاة وذلك أدعى للإطمئنان وأرجى للقبول.

قال تعالى: {رَبِّ ٱجۡعَلۡنِي مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ وَمِن ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلۡ دُعَآءِ ﴿٤٠﴾ }[١].

{رَبَّنَا تَقَبَّلۡ مِنَّآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾ }[٢].

{رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ يَوۡمَ يَقُومُ ٱلۡحِسَابُ ﴿٤١﴾ }[٣].

{رَبِّ هَبۡ لِي مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠٠﴾ }[٤].

فإبراهيم عليه السلام دعا ربه ولجأ إليه وأحسن الظن به فسأل ربه الولد، سأله الذرية الصالحة، فقال {رَبِّ هَبۡ لِي مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠٠﴾ } فاستجاب الله دعاءه بقوله {فَبَشَّرۡنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٍ } وبعد أن رزقه الله الذرية الصالحة لهج لسانه بالحمد والشكر {ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى ٱلۡكِبَرِ إِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ﴿٣٩﴾}[٥].

فإبراهيم عليه السلام هو النموذج والقدوة لدعاة اليوم فعلى الدعاة أن يلجئوا إلى الله في السراء والضراء محسنين الظن بالله فحسن الظن عبادة قلبية، فالقلب المؤمن حسن الظن بربه يتوقع منه الخير دائماً يتوقع منه الخير في السراء والضراء ويؤمن بأن الله يريد به الخير في الحاليين وسر ذلك أن قلبه موصول بالله وفيض الخير من الله لا ينقطع أبداً. [٦]

١- سورة إبراهيم، الآية ٤٠.
٢- سورة البقرة، الآية ١٢٧.
٣- سورة إبراهيم، الآية ٤١.
٤- سورة الصافات،الآية ١٠٠.
٥- سورة إبراهيم، الآية ٣٩.
٦- في ظلال القرآن، سيد قطب، ٦/ ٣٣١٩.

وليس أريح لقلب العبد في هذه الحياة ولا أسعد لنفسه من حسن الظن فيه فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (حسن الظن من حسن العبادة)[١].

٢- التضحية في سبيل الله:

لقد ضحى سيدنا إبراهيم عليه السلام بولده وفلذة كبده إيماناً بالله وإمتثالاً لأمره واليقين بأن أمر الله كله خير لعبده المؤمن، فقدم إبراهيم عليه السلام مثلاً في التضحية لكل غال وثمين وصدق وصبر في المكروه حتى نجى الله إبراهيم عليه السلام وولده إسماعيل من الكرب الشديد وفداه بذبح عظيم.

وفي هذا درس للدعاة إلى الله ببذل النفس والمال والوقت في سبيل دعوتهم وفي سبيل غايتهم يضحون من أجل هذا الدين بكل ما يملكون فالتضحية تبرع بالنفس والمال دون مقابل [٢]. ورحم الله الإمام البنا وهو يتحدث عن ركن التضحية فيقول: "وأريد بالتضحية بذل النفس والمال والوقت والحياة وكل شيء في سبيل الغاية وليس في الدنيا جهاد ولا تضحية معه ومن قعد عن التضحية فهو آثم"[٣] قال تعالى {۞ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشۡتَرَىٰ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَنفُسَهُمۡ وَأَمۡوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلۡجَنَّةَۚ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقۡتُلُونَ وَيُقۡتَلُونَۖ وَعۡدًا عَلَيۡهِ حَقّٗا فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَٱلۡإِنجِيلِ وَٱلۡقُرۡءَانِۚ وَمَنۡ أَوۡفَىٰ بِعَهۡدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِۚ فَٱسۡتَبۡشِرُواْ بِبَيۡعِكُمُ ٱلَّذِي بَايَعۡتُم بِهِۦۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ١١١ }[٤].

وإن الذين لا يضحون من أجل الله ولا يبذلون المال والجهد والوقت من أجل دعوتهم وتبليغ دينهم وانغمسوا في الحرص على هذه الحياة فقد حكم الله عليهم بالفسق قال تعالى: {قُلۡ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمۡ وَأَبۡنَآؤُكُمۡ وَإِخۡوَٰنُكُمۡ وَأَزۡوَٰجُكُمۡ وَعَشِيرَتُكُمۡ وَأَمۡوَٰلٌ ٱقۡتَرَفۡتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٞ تَخۡشَوۡنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرۡضَوۡنَهَآ أَحَبَّ إِلَيۡكُم مِّنَ ٱللَّهِ

١- مسند أحمد، ط الرسالة، حديث رقم ٨٠٣٦، ١٣/ ٤٠٦.
٢- المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، القاهرة، الناشر: دار الدعوة، ١/ ٥٣٥.
٣- مجموعة الرسائل للإمام حسن البنا، دار الكلم للنشر والتوزيع، ص ٣٨٥.
٤- سورة التوبة، الآية ١١١.

وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَـٰسِقِينَ ﴿٢٤﴾ }[1].

يقول الشهيد سيد قطب: "إن هذه العقيدة لا تحتمل لها في القلب شريكاً فإما تجردٌ لها، وإما إنسلاخ منها، وليس المطلوب أن ينقطع المسلم عن الأهل والعشيرة والزوج والولد والمال والعمل والمتاع واللذة ولا أن يترهبن ويزهد في طيبات الحياة، كلا إنما يريد هذه العقيدة أن يخلص لها القلب، ويخلص لها الحب وأن تكون هي المسيطرة والحاكمة، وهي المحركة والدافعة، فإذا تم لها هذا فلا حرج عندئذ أن يستمتع المسلم بكل طيبات الحياة، على أن يكون مستعداً لنبذها كلها في اللحظة التي تتعارض مع مطالب العقيدة.[2]

٣- معرفة الداعي للوسط الدعوي وأثر ذلك في نجاح دعوته:

الداعية إلى الله تعالى لكي ينجح في دعوته لابد له من معرفة أحوال المدعويين ودراسة طبائعهم وعاداتهم وقيمهم وأعرافهم ومدى استعدادهم لقبول دعوته كل ذلك سيكون له أثر في نجاح الدعوة والمتتبع لسيرة الخليل إبراهيم عليه السلام نجد أنه انتقل بين بلدان مختلفة وخالط أهل تلك البلاد وعرف عادتهم وتقاليدهم ومعتقداتهم وأعراقهم. ودرس الأوضاع الاجتماعية والأخلاقية في أرض مصر التي حل بها ومعه زوجته سارة وحصل على معلومات عن حاكم مصر وأنه يفجر بالمرأة المتزوجة ويقتل زوجها قبل ذلك. وهذه المعلومات في غاية الأهمية بالنسبة لإبراهيم وزوجته سارة إذ قد يتعرضان لهذه الفتنة فلابد أن يعد للأمر عدته، بحيث ينجوان من عدوان وفجور هذا الفاجر. [3]

والدعاة إلى الله اليوم لابد أن يعرفوا أحوال المدعويين ويتنوعوا في أساليب دعوتهم ويستفيدون من أسلوب ودعوة سيدنا إبراهيم عليه السلام في تعامله مع أصحاب العقائد المنحرفة والملل الباطلة، والسلوكيات الخاطئة يأخذون بأيدي الناس من الظلمات إلى النور ومن الشر إلى الخير ومن البدعة إلى السنة.

يخرجون الناس من عبادة العباد إلى عباد رب العباد ومن ضيق الدنيا إلى سعة الدنيا والآخرة ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام.

١- سورة التوبة، الآية ٢٤.
٢- في ظلال القرآن، سيد قطب، دار الشروق، ٣/ ١٦١٥.
٣- مع الأنبياء في الدعوة إلى الله، محمد عبد القادر أبو فارس، ص ١٥٩.

٤- تقديم أمر الله على كل أمر:

أمر الله لا يتقدم عليه أمر: إن المسلم لا يقدم بين يدي الله ورسوله، بل ينصاع إلى الأمر، وينقاد له، ويرضى به وإن كان مؤلماً لنفسه محزناً لقلبه.

وكذلك حب الله يتقدم على حب كل شيء، يتقدم على حب الولد، وحب النفس وحب المال وحب الأهل وحب الدنيا والناس أجمعين، هكذا كان وهكذا وقف إبراهيم عليه السلام في هذه الابتلاء يقدم أمر الله على كل أمر وأمر الله على كل حب.

وعلى الدعاة إلى الله أن يدركوا أن دعوتهم أعز عليهم من أبنائهم وأنفسهم وأزواجهم وآبائهم وإخوانهم وأموالهم ومصالحهم يعيشون لها وبها ومن أجلها هي شغلهم الشاغل ينفقون أعمارهم ويبذلون دماءهم سخية لتحيا في نفوس الناس، بل إنهم يعيشون للناس، حين يسعون لانقاذهم بدعوتهم من النار إلى الجنة ومن الضلال إلى الهدى ومن الشقاء إلى السعادة. عليهم أن يذكروا موقف إبراهيم عليه السلام وأن يقتدوا به. لقد أثر حب الله تعالى على كل حب والقرآن يأمرنا بذلك وينهانا أن نقدم حب الله أي شيء على أي أمر من أوامر الله [١]، قال تعالى: {قُلۡ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمۡ وَأَبۡنَآؤُكُمۡ وَإِخۡوَٰنُكُمۡ وَأَزۡوَٰجُكُمۡ وَعَشِيرَتُكُمۡ وَأَمۡوَٰلٌ ٱقۡتَرَفۡتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخۡشَوۡنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرۡضَوۡنَهَآ أَحَبَّ إِلَيۡكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٖ فِي سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُواْ حَتَّىٰ يَأۡتِيَ ٱللَّهُ بِأَمۡرِهِۦۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡفَٰسِقِينَ ٢٤ }[٢].

٥- دراسة سيرة الأنبياء ترفع من معنويات الدعاة إلى الله:

دراسة سيرة الأنبياء ترفع من معنويات الدعاة إلى الله وإعطائهم دفعةً إلى الأمام لتثبت أقدامهم على طريق الدعوة لأن القصص القرآني فيه العبر والعظات قال تعالى {لَقَدۡ كَانَ فِي قَصَصِهِمۡ عِبۡرَةٞ لِّأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ}[٣].

فإن مهمة الرسل عليهم الصلاة والسلام مهمة عظيمة شريفة يجب أن يعرفها الناس ويفقهوها ويعرفوا حقوق الرسل الكرام ويتخذونها منهاجاً يهتدون بهديه وبخاصة من

١- مع الأنبياء في الدعوة إلى الله، محمد عبد القادر أبو فارس، منشورات جمعية المحافظة على القرآن الكريم، ص ٢٠٩.
٢- سورة التوبة، الآية ٢٤.
٣- سورة يوسف، الآية ١١١.

نصب نفسه إلى الدعوة إلى الله حيث يتعين عليه دراسة حياة الرسل ليترسم طريقهم إن أراد الفوز في الدنيا والآخرة.

ويمكن إبراز أهمية دراسة حياة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام من خلال أمور كثيرة أهمها ما يلي:

أولاً: لأننا مأمورن من الله بالإقتداء بهم والتأسي بهديهم وفي ذلك طاعة لله سبحانه وتعالى قال تعالى: {أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡۗ قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًاۖ إِنۡ هُوَ إِلَّا ذِكۡرَىٰ لِلۡعَٰلَمِينَ ﴿٩٠﴾ }[1].

ثانياً: فمن دراسة حياة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام أكبر العظات والعبر للدعاة إلى الله عز وجل في كل زمان ومكان سواء ما يتعلق بالإيمان والتوحيد الصادق الذي عليه أنبياء الله أو فيما يتعلق بأخلاقهم وسلوكهم أو بهديهم ومنهجهم وصبرهم في الدعوة والصراع مع الباطل وأهله، وإبراز هذه الجوانب من حياة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام هو من أهم أغراض ورود قصص الأنبياء في القرآن الكريم حيث لم يأتي لمجرد التسلية والمعرفة التاريخية فقط وإنما جاءت للإقتداء والتأسي بتوحيدهم الله والدعوة إليه.

ثالثاً: وتأتي دراسة حياة الأنبياء في عصرنا الحاضر، ونحن في أشد الحاجة إلى دراستها من أي وقت مضى وذلك لما يشهده عصرنا من غربة في أحوال كثير من الناس وفرقة بين دعاة الحق وتسلط الأعداء وكيد المنافقين وتخبط في بعض المناهج الدعوية ما بين يائس ومداهن ومستعجل، وهنا يبرز أهمية التعرف على حياة الأنبياء من واقعنا المعاصر. [2]

٦- الفزع إلى الصلاة حال الخوف:

عندما يتعرض الإنسان المسلم للفتن والمحن ويبتلى في نفسه أو ماله أو عرضه أو غير ذلك من صنوف الإبتلاءات فعليه أن يستعين بالله ويفزع إلى الصلاة قال تعالى {يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسۡتَعِينُواْ بِٱلصَّبۡرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٣﴾ }[3]. (وكان

١- سورة الأنعام، الآية ٩٠.

٢- مقال على الإنترنت، تحت عنوان: لماذا ندرس حياة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، عبد العزيز بن ناصل الجليل، تاريخ النشر ٢٧ شوال ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م، بتاريخ ٨/ ١١، موقع مداد.

٣- سورة البقرة، الآية ١٥٣.

النبي صلى الله عليه وسلم إذا حزبه أمر صلى) [1]، فالصلاة صلة بين العبد وربه ففي الصلاة راحة للنفس وطمأنينة للقلب ومناجاة للرب فإذا اشتد بالمسلم أمراً لجأ إلى ربه ووقف بين يديه يناجيه بكشف الكرب والضيق، وهكذا فعل إبراهيم عليه السلام عندما ذهبت زوجته سارة إلى جبار مصر قام إبراهيم عليه السلام إلى الصلاة ونصب قدميه بين يدي الله ولم يزل كذلك حتى عادت زوجته سارة سالمة غانمة لم يمسها الجبار بسوء، وفي هذا درس للعاملين في حقل الدعوة الإسلامية اليوم أن يدركوا ويعلموا أن طبيعة الشر والفساد واحدة لا تتغير بتغير الزمان ومرور الأيام، وأن أعداء الله لا يتورعون عن الإعتداء على الزوجات والبنات والأخوات، إما بقصد إشباع شهواتهم البهيمية وإما بقصد إذلال الدعاة إلى الله، وإكراههم على الخضوع والإذعان وليس أمام الدعاة إلا حسن التوكل على الله واللجوء إلى الصلاة والدعاء أن يحفظ الله عليهم أعراضهم ويصونها إقتداءً بأبيهم إبراهيم عليه السلام. [2]

٧- الهجرة إلى الله تعالى:

الداعية إلى الله تعالى إذا لم يتمكن من تبليغ دعوته وإقامة شعائر دينه وجب عليه أن يهاجر إلى أرض أخرى يبلغ فيها دعوته ويقيم فيها شعائره فالهجرة إذن فريضة على هذه الأمة من بلد الشرك إلى بلد الإسلام وهي باقية إلى أن تقوم الساعة قال تعالى: {إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِيٓ أَنفُسِهِمۡ قَالُواْ فِيمَ كُنتُمۡۖ قَالُواْ كُنَّا مُسۡتَضۡعَفِينَ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ قَالُوٓاْ أَلَمۡ تَكُنۡ أَرۡضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُواْ فِيهَاۚ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَأۡوَىٰهُمۡ جَهَنَّمُۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا ٩٧ إِلَّا ٱلۡمُسۡتَضۡعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلۡوِلۡدَٰنِ لَا يَسۡتَطِيعُونَ حِيلَةٗ وَلَا يَهۡتَدُونَ سَبِيلٗا ٩٨ فَأُوْلَٰٓئِكَ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَعۡفُوَ عَنۡهُمۡۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَفُوّٗا غَفُورٗا ٩٩}[3]؛ وفي الآية دليل على أن الهجرة من أكبر الواجبات وتركها من المحرمات. [4]

١- حديث رواه حذيفة، انظر مسند أحمد، ط الرسالة، ٣٨/ ٣٣٠.

٢- فقه دعوة الأنبياء في القرآن الكريم، أحمد البراء الأميري، دار السلام للطباعة والنشر والترجمة، ص ١٧٩.

٣- سورة النساء، الآيات ٩٧ ــ ٩٩.

٤- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن السعدي، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م، ١/ ١٩٥.

والله عز وجل رغب في الهجرة من أجل إعلاء دينه فقال: {۞ وَمَن يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ يَجِدْ فِي ٱلْأَرْضِ مُرَٰغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً ۚ وَمَن يَخْرُجْ مِنۢ بَيْتِهِۦ مُهَاجِرًا إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ يُدْرِكْهُ ٱلْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٠٠﴾ }[1].

يقول الشهيد سيد قطب: "إنها هجرة في سبيل الله، وهذه هي الهجرة المعتبرة في الإسلام فليست هجرة للثراء أو هجرة للنجاة من المتاعب، أو هجرة للذائذ والشهوات أو هجرة لأي عرض من أعراض الحياة [2]، ولهذا هاجر إبراهيم عليه السلام من أجل الله وهو أول من هاجر في سبيل الله وذلك حين خلصه الله من النار {وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيَهْدِينِ }[3] وكانت سنة لمن بعده من الأنبياء وأتباعهم فهاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم وأشار على أصحابه بالهجرة، قال ابن اسحاق: فلما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يصيب أصحابه من البلاء وما هو فيه من العافية بمكانته من الله ومن عمة أبي طالب قال لهم "لو خرجتم إلى أرض الحبشة فإن فيها ملكاً لا يظلم عنده أحد وهي أرض صدق حتى يجعل الله لكم فرجاً". [4]

ثم كانت هجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة بعد تمهيد سابق وإعداد محكم تمت تحت تأثير ظروف حتمت هذه الهجرة وجعلتها إجراء ضرورياً لسير هذه الدعوة في الخط المرسوم الذي قدره الله لها بتدبيره. [5]

١- سورة النساء، الآية ١٠٠.
٢- في ظلال القرآن، سيد قطب، دار الشروق، بيروت، ٢/ ٧٤٥.
٣- سورة الصافات، الآية ٩٩.
٤- السيرة النبوية، ابن هشام، تحقيق: مصطفى الشفا وإبراهيم الأميري، ١/ ٣٢١.
٥- في ظلال القرآن، سيد قطب، دار الشروق، ١/ ٢٨.

الدروس المستفادة من سيرة إبراهيم الخليل عليه السلام

١. الإبتلاء سنة ربانية لا يستثني منها أحد حتى ولو كان نبياً من الأنبياء.
٢. الداعية إلى الله تعالى مأمور بأن يقتدي بالأنبياء في صبرهم وثباتهم وشجاعتهم وجرأتهم على الصدع بالحق فإبراهيم عليه السلام اتصف بهذه الصفات.
٣. أهمية الدعوة إلى الله تعالى فالداعية إلى الله هو أفضل وأحسن إنسان قال تعالى: {وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾ }[1].
٤. الإبتلاء يكون بالسراء والضراء فإذا ابتلي الإنسان بالسراء فشكر كان خيراً له وإن ابتلي بالضراء فصبر كان خيراً له.
٥. أهل الباطل دائماً يحاربون الدعوة والدعاة إذا هددت مصالحهم حيث ظهر ذلك في دعوة إبراهيم عليه السلام.
٦. الإبتلاء ليس دليل على سخط الله على العبد وإنما الابتلاء يدل على حب الله للمبتلى.
٧. أعداء الدعوة يهددون الدعاة إلى الله إما بالسجن أو الرجم أو القتل أو الإخراج من الديار فالواجب عليهم ألا يخافوا منهم ولا من تهديداتهم.
٨. الداعي إلى الله ينبغي عليه أن يقدم الحجج والبراهين الساطعة على بطلان المعبودات التي يعبدها الأعداء من أصنام وأوثان وأشخاص وأحجار وغير ذلك.
٩. بدأ إبراهيم عليه السلام الدعوة بأبيه وقومه وقدم لهم النصح والإرشاد وفي هذا درس للدعاة أن لا ينسوا أنفسهم وأهليهم إنطلاقاً من قول الله تعالى {يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا }[2].
١٠. الداعية إلى الله يجوز له أن يغير المنكر بيده إذا أتيح له ذلك بحيث لا يترتب عليه منكر أكبر، فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "من رأى منكم منكراً فليغيره بيده فإن لم يستطع

١- سورة فصلت، الآية ٣٣.
٢- سورة التحريم، الآية ٦.

فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان"[١]. ولذلك غير إبراهيم عليه السلام المنكر بيده فحطم الأصنام وجعلها جذاذاً وأنكر عليهم فعلهم.

١١. يستحب عند محاورة الخصوم عدم التعالي عليهم بل التواضع لهم للتأثير على قلوبهم.

١٢. إقامة الحجة على المحاور بالبرهان العقلي كما فعل إبراهيم عليه السلام.

١٣. التبشير بالفرج والخير من عند الله كما في حوار الملائكة مع سارة امراة إبراهيم حين بشروها بإسحاق. [٢]

١٤. الداعي إلى الله لا يغتر بعمله أو بعمله وإنما يسأل الله القبول كما سأل إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام {رَبَّنَا تَقَبَّلۡ مِنَّآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ١٢٧}[٣].

١٥. أقوى معركة في حياة الداعية هو الثبات على الدين كما ثبت إبراهيم عليه السلام.

١٦. الداعية الثابت على إيمانه ودينه آمن في الدنيا والآخرة.

١٧. الله قادر على كل شيء ومن قدرته أن جعل النار برداً وسلاماً على إبراهيم عليه السلام.

١- انظر صحيح مسلم، حديث رقم ٧٨، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، ١/ ٦٩.

٢- نقلاً عن كتاب الحوار في السيرة النبوية، د. السيد علي خضر، رابطة العالم الإسلامي، الطبعة الأولى، ١٤٣١هـ، ص ٥٦.

٣- سورة البقرة، الآية ١٢٧.

الخاتمة

وتشتمل على أهم النتائج والتوصيات التي توصلت إليها من خلال بحثي ويمكن بيانها على النحو التالي:

النتائج:

١. سيرة الأنبياء وخاصة إبراهيم عليه السلام فيها العبر والعظات للدعاة إلى الله.

٢. الله يحفظ عبده المؤمن إذا حفظ المؤمن أوامر الله.

٣. صاحب القلب السليم سعيد في الدنيا والآخرة.

٤. من فوائد الابتلاء رفع الدرجات وتكفير السيئات ومعرفة حقيقة النفس.

٥. من صفات سيدنا إبراهيم عليه السلام الصدق والوفاء والشكر والحلم والصبر والتوكل على الله.

٦. دعوة إبراهيم عليه السلام اتسمت بالحكمة والموعظة الحسنة والمجادلة بالتي هي أحسن مع أبيه وقومه.

٧. اسم والد إبراهيم عليه السلام هو آزر.

٨. الإسلام هو دين الأنبياء جميعاً.

٩. أهمية الإخلاص في حياة الدعاة إلى الله فالله لا يقبل العمل إلا إذا كان خالصاً وموافقاً للسنة.

١٠. كثرة ذكر صفات سيدنا إبراهيم عليه السلام في الكتاب والسنة.

١١. عصمة الأنبياء عن الكذب وأن الكذبات التي تعرض لها إبراهيم عليه السلام هي من المعاريض في الإسلام.

١٢. استغفار إبراهيم لأبيه كان قبل أن يتبين أنه عدو لله فلم تبين أنه عدو لله تبرأ منه.

١٣. أعلى درجات المحبة اتخاذ إبراهيم عليه السلام خليلاً.

١٤. جوز الاستغفار للمسلمين وعدم جوازه للمشركين.

١٥. تنوع سيدنا إبراهيم عليه السلام في أساليب دعوته.

١٦. عاقبة الصبر على البلاء محمود.

١٧. الذبيح على الرأي الراجح هو إسماعيل وليس إسحاق عليهما السلام.

١٨. حرص الداعية على أن يكون له ذرية صالحة تدعوا له بعد موته كما دعا إبراهيم عليه السلام {رَبِّ هَبۡ لِي مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ }.

١٩. الغيرة بين النساء موجودة حتى ولو كن زوجات أنبياء فغارت سارة من هاجر وأمهات المؤمنين كن يغرن من بعضهن.

٢٠. اختيار الداعي إلى الله للزوجة الصالحة عون له على دينه ورسالته ونشر دعوته.

٢١. الله عز وجل ينجي المؤمنين والمؤمنات من كيد ومكر وتمرد ودسائس الأعداء.

٢٢. حقيقة هي أن الطغاة المستبدين والحكام الظالمين والملوك الجبارين على استعداد أن يسفكوا الدماء ويحرقوا الأبرياء وينتهكوا الأعراض ويخرجوا الدعاة من أرضهم في سبيل البقاء على زعامتهم.

٢٣. قد يكون الأب مؤمناً والابن كافراً ، والعكس الأب كافر والابن مؤمناً؛ فهذا ليس عيباً في حق الأنبياء فابن نوح كافراً وأبوه من أولي العزم، وإبراهيم عليه السلام كان حنيفاً مسلماً وأبوه كافر بل صانعاً للأصنام.

٢٤. الولد الصالح قد يخرج من منبت السوء فقد خرج إبراهيم عليه السلام من بيئة انتشر فيها الشرك والوثنية بيئة عمها الفساد والخرافات عبدو الأصنام والأوثان من دون الله ولكن الله أخرج من هذه البيئة وهذا المجتمع الفاسد أبو الأنبياء إبراهيم عليه السلام.

٢٥. إن طريق الدعوة إلى الله عز وجل ليس هيناً ليناً وليس مفروشاً بالزهور والرياحين ولا خالياً من المكذبين والمعاندين والمحاربين ولكنه طريق طويل مفروش بالدماء والأشلاء محفوف بالمخاطر والفتن والإبتلاءات قال تعالى { الٓمٓ ١ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتۡرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمۡ لَا يُفۡتَنُونَ ٢ وَلَقَدۡ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۖ فَلَيَعۡلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعۡلَمَنَّ ٱلۡكَٰذِبِينَ ٣ }[1].

١- سورة العنكبوت، الآيات ١ – ٢.

التوصيات:

١. الدعاة إلى الله ينبغي عليهم أن يوطنوا أنفسهم على الابتلاء فما خلق الإنسان إلا ليبتلى قال تعالى: { هَلۡ أَتَىٰ عَلَى ٱلۡإِنسَٰنِ حِينٞ مِّنَ ٱلدَّهۡرِ لَمۡ يَكُن شَيۡـٔٗا مَّذۡكُورًا ۝١ }[1].

٢. أوصي الدعاة إلى الله بإتباع منهج إبراهيم في دعوته وتنوع الدعاة في الأساليب واستخدام الوسائل المتاحة في الدعوة كما فعل إبراهيم عليه السلام.

٣. تدريس فقة الابتلاء في المناهج التعليمية من خلال الإبتلاءات التي تعرض لها سيدنا إبراهيم عليه السلام.

٤. عقد دورات متخصصة للدعاة إلى الله في فوائد وحكم الإبتلاء.

٥. إصدار نشرات تثقيفية متعلقة بإبتلاءات سيدنا إبراهيم عليه السلام وإيصالها للدعاة في مساجدهم.

٦. أوصي نفسي والدعاة إلى الله بتقوى الله والعمل لدينه والصبر على الإبتلاءات التي يتعرض لها الدعاة إلى الله.

٧. ينبغي على الدعاة إلى الله أن يستفيدوا من الوسائل الحديثة بما يخدم دعوتهم ويساعدهم على نشر هذا الدين في كل مكان.

٨. ينبغي على الجامعات والمؤسسات التعليمية تدريس مادة الوسائل الدعوية للطلاب المتخصصين في الدراسات الإسلامية لكي تعينهم على نشر دعوتهم.

٩. تخريج جيل من الدعاة يتمتع بفهم عميق للإسلام متمسك بثوابت الإسلام مراع للمتغيرات والمستجدات في عصره قادر على تحمل الإبتلاءات والمحن.

١٠. أوصي الداعية إلى الله أن يكون قدوة حسنة ونموذجاً حياً للإسلام الذي يدعوا إليه عاملاً بما يقول متورعاً عن الشبهات مراقباً لله عز وجل في كل صغيرة وكبيرة.

١١. أوصي نفسي والدعاة إلى الله العاملين في مجال الدعوة أن يتمسكوا بكتاب الله وسنة رسوله ورد أي خلاف يقع بينهم إلى الكتاب والسنة كما قال عز وجل

١- سورة الإنسان، الآية ١.

{يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِى ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَـٰزَعۡتُمۡ فِى شَىۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا ﴿٥٩﴾ }[1].

١- سورة النساء، الآية ٥٩.

قائمة المصادر والمراجع

أولاً: المصادر:

١. القرآن الكريم.

٢. السنة النبوية.

ثانياً: كتب التفسير وعلومه:

١. إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، لأبي السعود، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٢. أضواء البيان في إيضاح القرآن، للشنقيطي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، لبنان، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م.

٣. انوار التنزيل وأسرار التأويل، البيضاوي، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، الناشر: دار إحياء التراث العربي، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ.

٤. أيسر التفاسير، للجزائري، مكتبة العلوم والحكم، المدينة، الطبعة الخامسة.

٥. التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور، الدار التونسية للنشر، ١٩٨٤م.

٦. تفسير الشعراوي، مطابع أخبار اليوم.

٧. تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: محمد حسين شمس، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ.

٨. تفسير القرآن العظيم، لابن أبي حاتم، تحقيق: أسعد محمد الطيب، مكتبة نزار.

٩. التفسير الكبير، الرازي دار احياء التراث العربي بيروت، الطبعة الثالثة.

١٠. تفسير المنار، محمد سيد رضا، الهيئة المصرية العامة للكتاب.

١١. التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، د. وهبة مصطفى الزحيلي، دار الفكر المعاصر، دمشق، الطبعة الثانية، ١٤١٨هـ.

١٢. تفسير المنير، وهبة الزحيلي، دار الفكر المعاصر، دمشق- دمشق- الطبعة الثانية ١٤١٨م.

١٣. التفسير الميسر، نخبة من أساتذة التفسير، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف.
١٤. تفسير النسفي، تحقيق: يوسف علي مدنوي، دار الكلم الطيب، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ - ١٩٩٧م.
١٥. التفسير الوسيط، محمد سيد طنطاوي، دار النهضة، مصر للطباعة والنشر، الطبعة الأولى.
١٦. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن السعدي، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م.
١٧. جامع البيان في تأويل القرآن، ابن جرير، تحقيق: أحمد محمد شاكر، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م.
١٨. الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق: أحمد البردونس وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية، الطبعة الثانية، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م.
١٩. زاد المسير في علم التفسير، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (المتوفى: ٥٩٧هـ، المحقق: عبدالرزاق المهدي، الناشر: دار الكتاب العربي - بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤٢٢هـ.
٢٠. السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير الخطيب الشربيني، مطبعة بولاق القاهرة.
٢١. صفوة التفاسير، محمد علي الصابوني، دار الصابوني للطباعة.
٢٢. غرائب القرآن ورغائب الفرقان، النيسابوري، تحقيق: الشيخ زكريا عميران، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ.
٢٣. في ظلال القرآن، سيد قطب، دار الشروق، الطبعة السابعة عشر، ١٤١٢هـ.
٢٤. الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، الزمخشري، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الثالثة.

٢٥. لباب التأويل في معاني التنزيل، الخازن، تحقيق محمد على شاهين، دار الكتب العلمية.
٢٦. محاسن التأويل، القاسمي، تحقيق: محمد باسل عيون السود، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى.
٢٧. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي، دار الكتب العلمية.
٢٨. مختصر تفسير ابن كثير، محمد علي الصابوني، الناشر: دار القرآن، بيروت، الطبعة السابعة، ١٤٠٢هـ - ١٩٨١م.
٢٩. معالم التنزيل في تفسير القرآن، البغوي، تحقيق: محمد عبد الله النمر، عثمان جمعة، الناشر دار طيبة للنشر والتوزيع.
٣٠. معالم التنزيل في تفسير القرآن، تفسير البغوي، دار إحياء التراث العربي، تحقيق: عبد الرازق المهدي.
٣١. مفاتيح الغيب، الرازي، الناشر دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٢١هـ.
٣٢. المنتخب في تفسير القرآن الكريم، تأليف: لجنة من علماء الأزهر، الناشر: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، طبع مؤسسة الأهرام، الطبعة الثامنة عشر، ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م.
٣٣. موسوعة الصحيح الميسور من التفسير بالمأسور، حكمت بن بشر بن ياسين، دار المآثر للتوزيع والنشر.
٣٤. الوسيط في تفسير القرآن المجيد، الواحدي.

ثالثاً: كتب الحديث:

٣٥. الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة.
٣٦. الجامع المسند الصحيح المختصر - صحيح البخاري، تحقيق: محمد زهير بن ناصر، الناشر دار طوق النجاة.

٣٧. رياض الصالحين، النووي، المكتب الثقافي للنشر والتوزيع.
٣٨. سنن ابن ماجة، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء الكتب العربية.
٣٩. سنن أبو داود، أبو داود، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، الناشر: المكتبة العصرية، صيدا – بيروت.
٤٠. صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل البخاري، تحقيق: محمد زهير بن ناصر ، الناشر دار طوق النجاة.
٤١. صحيح مسلم، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر دار إحياء التراث العربي، بيروت.
٤٢. فتح الباري بشرح صحيح البخاري، أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، دار الفكر للطباعة للنشر والتوزيع.
٤٣. فتح البارئ شرح صحيح البخاري، ابن حجر، دار المعرفة، بيروت، ١٣٧٩هـ.
٤٤. مجمع الزوائد ونبع الفوائد، الهيثمي، تحقيق: حسام الدين القدسي، الناشر: مكتبة القدس، ١٤١٤هـ – ١٩٩٤م.
٤٥. المستدرك على الصحيحين، الحاكم، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ – ١٩٩٩م.
٤٦. مسند أحمد، ط الرسالة، تحقيق: شعيب الأرنؤوط ، إشراف: عبد الله التركي، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ – ٢٠٠١م.
٤٧. المعجم الوسيط، الطبراني، تحقيق: طارق بن عوض الله بن محمد – عبد الحميد بن إبراهيم، الناشر: دار الحديث، القاهرة.
٤٨. منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية، ابن تيمية، تحقيق: محمد رشاد سالم، الناشر جامعة الإمام محمد بن سعود.
٤٩. النهاية من غريب الحديث والأثر، ابن الأثير – الناشر المكتبة العلمية – بيروت ١٣٩٩هـ، ١٩٧٩م تحقيق طاهر أحمد الزاوي، محمود الطناحي.

رابعاً: كتب التاريخ والسير:

٥٠. امتاع الأسماع، المقريزي، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ – ١٩٩٩م.

٥١. البداية والنهاية، ابن كثير تحقيق عل شيري– دار احياء التراث العربي – الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ – ١٩٨٨م.

٥٢. تاريخ ابن خلدون، ابن خلدون، تحقيق خليل شحادة، الناشر دار الفكر بيروت، الطبعة الثانية ١٤٠٨هـ ١٩٨٨م.

٥٣. تاريخ الطبري، ابن جرير، دار التراث، الطبعة الثانية، ١٣٨٧هـ.

٥٤. الحوار في السيرة النبوية، د. السيد علي خضر، رابطة العالم الإسلامي، الطبعة الأولى، ١٤٣١هـ.

٥٥. السيرة النبوية والدعوة في العهد المدني، أحمد غلوش، مؤسسة الرسالة.

٥٦. الرحيق المختوم، صفي الرحمن المباركفوري، الناشر: دار الهلال، بيروت، الطبعة الأولى.

٥٧. زاد المعاد في هدي خير العباد، ابن القيم، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة السابعة والعشرون، ١٤١٥هـ – ١٩٩٤م.

٥٨. السيرة الحلبية، إنسان العيون في سيرة الأمين المأمون، علي بن إبراهيم بن برهان الدين، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٢٧هـ.

٥٩. السيرة النبوية عرض وقائع وتحليل أحداث، د. علي محمد الصلابي، دار المعرفة ، بيروت، الطبعة الثامنة.

٦٠. السيرة النبوية، ابن هشام، تحقيق: مصطفى الشفا وإبراهيم الأميري.

٦١. الشفا بتعريف حقوق المصطفى، وحاشية الشمني، القاضي عياض، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.

٦٢. الشفاء بتعريف حقوق المصطفى، عياض بن موسى أبو الفضل، دار الفيحاء، الطبعة الثانية.

٦٣. فقه السيرة، محمد الغزالي، دار القلم، دمشق، الطبعة الأولى، ١٤٢٧هـ.

٦٤. قصص الأنبياء، ابن كثير، تحقيق: مصطفى عبد الواحد، مطبعة دار التأليف، القاهرة، الطبعة الأولى.
٦٥. قصص الأنبياء، محمد جاد المولى، دار المعرفة، بيروت – لبنان، الطبعة الثانية، ١٤١٨هـ – ١٩٩٨م.
٦٦. القول المبين في سيرة سيد المرسلين، محمد الطيب النجار، الناشر: دار الندوة الجديدة، بيروت، لبنان.
٦٧. الكامل في التاريخ، ابن الأثير – تحقيق عمر عبد السلام تدمري، الناشر الكتاب العربي – بيروت الطبعة الأولى ١٤١٧هـ ١٩٩٧م.
٦٨. من أعلام الحركة الإسلامية المعاصرة، تأليف: المستشار عبد الله العقيل، دار النشر، الطبعة الثامنة، ٢٠٠٨م – ١٤٢٩هـ.
٦٩. نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم، تأليف عدد من المختصين بإشراف الشيخ صالح بن عبد الله بن حميد، دار الوسيلة للنشر والتوزيع، الطبعة الرابعة.
٧٠. نظرات في أحسن القصص، د. محمد السيد الوكيل، دار القلم، دمشق، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ – ١٩٩٤م.

خامساً: كتب الأخلاق والرقائق:

٧١. تزكية النفوس، أحمد فريد، الناشر دار العقيدة للتراث.
٧٢. تسلية أهل المصائب، محمد بن محمد شمس الدين المنيجي، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة الثانية.

سادساً: كتب اللغة:

٧٣. تاج العروس، محمد بن محمد الملقب بمرتضى الزبيري – مجموعة من المحققين.
٧٤. التعريفات، محمد الجرجاني، تحقيق جماعة من العلماء – دار الكتب العلمية، ط١.
٧٥. تهذيب اللغة، محمد بن أحمد أبو السعود، تحقيق محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي– بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠٠١م.

٧٦. التوقيف على مهام التعريف، المناوي، الناشر: عالم الكتب، عبد الخالق ثروت، الطبعة الأولى.
٧٧. الفروق اللغوية، العسكري، تحقيق محمد إبراهيم سليم، دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع القاهرة.
٧٨. الكليات، الكفوي، تحقيق عدنان إدريس، محمد المصري، مؤسسة الرسالة.
٧٩. لسان العرب، ابن منظور، دار صادر، بيروت، الطبعة الثالثة ١٤١٤هـ.
٨٠. لسان العرب، الأفريقي، دار صادر بيروت.
٨١. مجمع اللغة، لابن فارس تحقيق زهير عبد المحسن، دار النشر مؤسسة الرسالة.
٨٢. مختار الصحاح الرازي، الناشر المكتبة المصرية – الدار النموذجية– بيروت صيدا، الطبعة الخامسة ١٤٢٠هـ، ١٩٩٩م، تحقيق يوسف الشيخ محمد.
٨٣. المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، محمد فؤاد عبد العاطي، مكتبة الغزالي– دمشق.
٨٤. المعجم الوسيط – مجمع اللغة العربية، تحقيق إبراهيم مصطفى أحمد الزيات، القاهرة، الناشر دار الدعوة.
٨٥. المفردات في غريب القرآن، الراغب الاصفهاني، تحقيق عدنان الداودي الناشر دار القلم، الدار الشامية، دمشق الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ.
٨٦. مقاييس اللغة، ابن فارس تحقيق عبد السلام هارون، الناشر دار الفكر، ١٣٩٩هـ.

سابعاً: كتب الدعوة:

٨٧. الحكمة في الدعوة إلى الله تعالى، د. سعيد بن علي وهب القحطاني، الناشر: وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى.
٨٨. زاد الداعي إلى الله، الشيخ محمد بن العثيمين، الناشر: دار الثقة للنشر والتوزيع، مكة المكرمة، الطبعة الأولى.

٨٩. سماحة الإسلام في الدعوة إلى الله والعلاقات الإنسانية، د. عبد العظيم المطعني، مكتبة وهبة.
٩٠. طريق الدعوة الإسلامية جاسم بن محمد بن مهلهل الياسين، مؤسسة الكلمة، الكويت، الطبعة الثانية.
٩١. فقه دعوة الأنبياء في القرآن الكريم، أحمد البراء الأميري، دار السلام للطباعة والنشر والترجمة.
٩٢. مع الأنبياء في الدعوة إلى الله، محمد عبد القادر أبو فارس، الناشر جمعية المحافظة على القرآن الكريم.
٩٣. النبوة والأنبياء، محمد علي الصابوني، دار القلم دمشق، الطبعة الرابعة.

ثامناً: مراجع عامة:

٩٤. أبو الحسن الندوي الداعية الحكيم والمربي الجليل، د. محمد ضياء الندوي، دار القلم – دمشق.
٩٥. أضواء على الثقافة الإسلامية، د. نادية شريف العمري، مؤسسة الرسالة – الطبعة الثانية.
٩٦. إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان، ابن القيم، تحقيق: محمد حامد الفقي، مكتبة المعارف، الرياض.
٩٧. الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ابن تيمية، الناشر: وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد – السعودية، الطبعة الأولى.
٩٨. الثبات وأثره في حياة المسلم في ضوء الكتاب والسنة، الأمين الصادق الأمين دار الجوزي.
٩٩. جلال الأفهام في فضل الصلاة على محمد خير الأنام، ابن القيم، دار العروبة، الكويت.
١٠٠. خصائص النظم القرآني في قصة إبراهيم عليه السلام، د. الشحات محمد أبو سنين، مطبعة الأمانة، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ – ١٩٩١م.

١٠١. صفوة الصفوة، ابن الجوزي، تحقيق: أحمد محمد علي، دار الحديث – القاهرة.
١٠٢. صيد الخاطر، ابن الجوزي، تحقيق: حسن الماحي سويدان، دار القلم – دمشق.
١٠٣. العبودية، ابن تيمية، تحقيق: محمد زهير الشاوش، الناشر الكتب الإسلامي، الطبعة السابعة.
١٠٤. الفتاوى الكبرى، ابن تيمية، دار الكتب العلمية.
١٠٥. فتح القدير، الشوكاني، الناشر: دار ابن كثير، ودار الكلم الطيب.
١٠٦. الفوائد، ابن القيم، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثانية.
١٠٧. في رحاب الإسلام، حسام حميده، دار التوزيع النشر الإسلامية.
١٠٨. في نور الإسلام، محمود أبو ربه، دار التوزيع النشر سلام.
١٠٩. فيض القدير، المنادي، الناشر: المكتبة التجارية الكبرى، الطبعة الأولى.
١١٠. القدوة المبادئ ونماذج، صالح بن عبد الله بن حميد، الناشر وزارة الأوقاف السعودية.
١١١. مجموعة الرسائل للإمام حسن البنا، دار الكلم للنشر والتوزيع.
١١٢. مدارك السالكين، ابن، القيم دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة الثالثة.
١١٣. مفاهيم تربوية، محمد عبد الله الخطيب، دار المنار الحديثة الطبعة الثامنة.

تاسعاً: الرسائل الجامعية:

١١٤. سنة الابتلاء في القرآن الكريم، إعداد رجب نصر موسى الأنس، أطروحة لمتطلبات درجة الماجستير، في كلية أصول الدين، جامعة النجاح الوطنية، نابلس – فلسطين، ٢٠٠٧م.

عاشراً: المجلات والمنشورات:

١١٥. الشيخ أبو الحسن الندوي، بحوث ودراسات، للدكتور: محمد رجب البيومي، تحت عنوان: أبو الحسن الندوي وسيرته الذاتية، رابطة الأدب الإسلامي العالمية، سنة ١٤١٧هـ – ١٩٦٠م، مكتبة العبكان ١٤٢٤هـ.

١١٦.الشيخ أبو الحسن الندوي، بحوث ومقالات، د. عبد الحليم عويس، تحت عنوان: الشيخ أبو الحسن الندوي وقضايا الأمة العربية، رابطة الأدب الإسلامي العالمية، سنة ١٤١٧هـ – ١٩٦٠م، مكتبة العبكان ١٤٢٤هـ..
١١٧.فوائد الإبتلاء، مقال للدكتور محمد أبو الصعاليك ، على الإنترنت، ١٣ مارس ٢٠١٤.
١١٨.مجلة البيان، صادرة عن المنتدى الإسلامي، مقال: محمد صالح المنجد، ٦٧/١٤.
١١٩.مع الأنبياء في الدعوة إلى الله، محمد عبد القادر أبو فارس، منشورات جمعية المحافظة على القرآن الكريم.
١٢٠.مقال على الإنترنت، تحت عنوان: لماذا ندرس حياة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، عبد العزيز بن ناصل الجليل، تاريخ النشر ٢٧ شوال ١٤٢٨هـ – ٢٠٠٧م، بتاريخ ٨/ ١١، موقع مداد.
١٢١.مقال للدكتور نظمي خليل أبو العطا، بعنوان: تعلم فقه التمكين العلمي الإيماني من سورة يوسف، بتاريخ ٢٤/ ١/ ٢٠١٠م، على الإنترنت موقع در عطى.
١٢٢.مقومات الداعية الناجح، على بادحدح، دار الأندلس الخضراء، الطبعة الأولى. انظر كتاب الندوة العالمية المتخصصة – قضايا الدعوة الإسلامية في السودان، ص ٢٠ – عدد فبراير ٢٠٠٨م.
١٢٣.الندوة العلمية العالمية المتخصصة في قضايا الدعوة الإسلامية في السودان، صفر ١٤٢٩هـ فبراير ٢٠٠٨م، د. علاء الدين الأمين الزاكي، بعنوان: الأصول العلمية لمنهج الدعوة.

فهرس الآيات القرآنية

الرقم	طرف الآية	السورة	رقم الآية	الصفحة
١.	{إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ	الفاتحة	٥	٤٧
٢.	{أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُواْ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ	البقرة	٢١٤	٣
٣.	{قَالُواْ نَعْبُدُ إِلَـٰهَكَ وَإِلَـٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِـۧمَ	البقرة	١٣٣	١٦
٤.	{۞ وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَـٰتٍ	البقرة	١٢٤	٢٢، ٥٨
٥.	{ۖ كُلٌّ لَّهُۥ قَـٰنِتُونَ	البقرة	١١٦	٢٤
٦.	{وَقُومُواْ لِلَّهِ قَـٰنِتِينَ	البقرة	٢٣٨	٢٤
٧.	{قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِـۧمَ حَنِيفًا	البقرة	١٣٥	٢٥
٨.	{فَٱذْكُرُونِىٓ أَذْكُرْكُمْ وَٱشْكُرُواْ لِى وَلَا	البقرة	١٥٢	٣٠
٩.	{وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ	البقرة	١٨٦	٤٧
١٠.	{رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ	البقرة	١٢٧	٤٩، ١٤٤، ١٥٢
١١.	{رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ	البقرة	١٢٩	٥٠
١٢.	{وَفِى ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ	البقرة	٤٩	٥٥
١٣.	{وَإِذْ نَجَّيْنَـٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ	البقرة	٤٩	٦٠
١٤.	{رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ	البقرة	٢٥٠	٦٣
١٥.	{وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَىْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ	البقرة	١٥٥	١٠٦

١٦.	{فَٱعۡتَزِلُواْ ٱلنِّسَآءَ فِي ٱلۡمَحِيضِ	البقرة	٢٢٢	١١٣
١٧.	{يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسۡتَعِينُواْ بِٱلصَّبۡرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ إِنَّ	البقرة	١٥٣	١٤٨
١٨.	{يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ	آل عمران	١٠٢	٢
١٩.	{وَلۡتَكُن مِّنكُمۡ أُمَّةٞ يَدۡعُونَ إِلَى ٱلۡخَيۡرِ وَيَأۡمُرُونَ	آل عمران	١٠٤	٢٣
٢٠.	{مَا كَانَ إِبۡرَٰهِيمُ يَهُودِيّٗا وَلَا نَصۡرَانِيّٗا وَلَٰكِن	آل عمران	٦٧	٢٥، ٢٦، ٢٧
٢١.	{قُلۡ صَدَقَ ٱللَّهُۗ فَٱتَّبِعُواْ مِلَّةَ	آل عمران	٩٥	٢٥، ٢٧
٢٢.	{وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنٗا	آل عمران	٩٧	٥٢
٢٣.	{رَبَّنَا لَا تُزِغۡ قُلُوبَنَا بَعۡدَ إِذۡ	آل عمران	٨	٦٣
٢٤.	{لَتُبۡلَوُنَّ فِيٓ أَمۡوَٰلِكُمۡ وَأَنفُسِكُمۡ وَلَتَسۡمَعُنَّ	آل عمران	١٨٦	٦٤
٢٥.	{وَلَا تَهِنُواْ وَلَا تَحۡزَنُواْ وَأَنتُمُ ٱلۡأَعۡلَوۡنَ إِن	آل عمران	١٣٩ – ١٤١	٦٥
٢٦.	{وَلَقَدۡ صَدَقَكُمُ ٱللَّهُ وَعۡدَهُۥٓ إِذۡ تَحُسُّونَهُم بِإِذۡنِهِۦۖ حَتَّىٰٓ	آل عمران	١٥٢	٧٢
٢٧.	{مَّا كَانَ ٱللَّهُ لِيَذَرَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ عَلَىٰ مَآ أَنتُمۡ عَلَيۡهِ حَتَّىٰ	آل عمران	١٧٩	٧٣
٢٨.	{وَلَقَدۡ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدۡرٖ وَأَنتُمۡ	آل عمران	١٢٣	٧٣
٢٩.	{۞ لَتُبۡلَوُنَّ فِيٓ أَمۡوَٰلِكُمۡ وَأَنفُسِكُمۡ	آل عمران	١٨٦	٦٤، ٧٧

	وَلَتَسۡمَعُنَّ			
٣٠.	{أَمۡ حَسِبۡتُمۡ أَن تَدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ وَلَمَّا يَعۡلَمِ	آل عمران	١٤٢	٧٩
٣١.	{يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصۡبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ	آل عمران	٢٠٠	٨١
٣٢.	{يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم	النساء	١	٢
٣٣.	{وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبۡرَٰهِيمَ	النساء	١٢٥	١٨، ٢٥، ٤١
٣٤.	{وَٱبۡتَلُواْ ٱلۡيَتَـٰمَىٰ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغُواْ ٱلنِّكَاحَ فَإِنۡ	النساء	٦	
٣٥.	{وَلَوۡ أَنَّهُمۡ فَعَلُواْ مَا يُوعَظُونَ بِهِۦ لَكَانَ	النساء	٦٦	٦٢
٣٦.	{وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡمَـٰعِيلَ وَإِسۡحَـٰقَ	النساء	١٦٣	٨٢
٣٧.	{وَٱهۡجُرُوهُنَّ فِى ٱلۡمَضَاجِعِ	النساء	٣٤	١١٣
٣٨.	{وَٱبۡتَلُواْ ٱلۡيَتَـٰمَىٰ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغُواْ ٱلنِّكَاحَ فَإِنۡ	النساء	٦	٥٨، ١١٥
٣٩.	{وَلَا تُؤۡتُواْ ٱلسُّفَهَآءَ أَمۡوَٰلَكُمُ ٱلَّتِى جَعَلَ	النساء	٥	١١٥
٤٠.	{إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلۡمَلَـٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمۡ قَالُواْ فِيمَ	النساء	٩٧ – ٩٩	١٤٩
٤١.	{۞ وَمَن يُهَاجِرۡ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ يَجِدۡ فِى ٱلۡأَرۡضِ مُرَٰغَمًا كَثِيرًا	النساء	١٠٠	١٥٠
٤٢.	{وَلَقَدۡ كُذِّبَتۡ رُسُلٌ مِّن قَبۡلِكَ فَصَبَرُواْ عَلَىٰ	الأنعام	٣٤	٦٤
٤٣.	{۞ وَإِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ ءَازَرَ	الأنعام	٧٤	١٧، ٢٨

٤٤.	{إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ	الأنعام	٧٩	٢٥
٤٥.	{قُلْ إِنَّنِي هَدَىٰنِي رَبِّيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ	الأنعام	١٦١	٢٥
٤٦.	{وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُواْ عَلَىٰ مَا	الأنعام	٣٤	٣
٤٧.	{وَلَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَخَذْنَٰهُم	الأنعام	٤٢	٧١
٤٨.	{أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِي بِهِۦ فِي	الأنعام	١٢٢	٧٩
٤٩.	{وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ وَأَيُّوبَ	الأنعام	٨٤	٨٢
٥٠.	{أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ ۗ قُل	الأنعام	٩٠	١٤٨
٥١.	{وَبَلَوْنَٰهُم بِٱلْحَسَنَٰتِ وَٱلسَّيِّـَٔاتِ لَعَلَّهُمْ	الأعراف	١٦٨	٥٨
٥٢.	{ٱدْعُواْ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً ۚ إِنَّهُۥ	الأعراف	٥٥	٧٠
٥٣.	{وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ	الأنفال	٦٠	٦٨
٥٤.	{يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ	التوبة	١١٩	٣٣
٥٥.	{وَيَوْمَ حُنَيْنٍ ۙ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ	التوبة	٢٥	٧٣
٥٦.	{وَمَا كَانَ ٱسْتِغْفَارُ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن	التوبة	١١٤	٢٩، ٣٢، ١١٣، ١٢٣
٥٧.	{۞ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ	التوبة	١١١	١٤٥
٥٨.	{قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ	التوبة	٢٤	١٤٦، ١٤٧

	وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ			
٥٩.	{وَأَنْ أَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا وَلَا	يونس	١٠٥	٢٥
٦٠.	{فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ ءَامَنَتْ فَنَفَعَهَآ إِيمَٰنُهَآ إِلَّا	يونس	٩٨	٧٠
٦١.	{لِنَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ	يونس	١٤	٨١
٦٢.	{وَلَئِنْ أَخَّرْنَا عَنْهُمُ ٱلْعَذَابَ إِلَىٰٓ أُمَّةٍ	هود	٨	٢٢
٦٣.	{إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّٰهٌ	هود	٧٥	٣١
٦٤.	{وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ	هود	١٢٠	٦٣
٦٥.	{قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ	يوسف	١٠٨	٢١
٦٦.	{وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُۥ مِن	يوسف	٢١	٦٧، ٦٩
٦٧.	{وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِى ٱلْأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا	يوسف	٥٦	٦٨
٦٨.	{قَالَتِ ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْـَٰٔنَ حَصْحَصَ ٱلْحَقُّ أَنَا۠	يوسف	٥١	٦٩
٦٩.	{نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ بِمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ	يوسف	٣	٩٤
٧٠.	{قَالَتْ فَذَٰلِكُنَّ ٱلَّذِى لُمْتُنَّنِى فِيهِ ۖ وَلَقَدْ رَٰوَدتُّهُۥ عَن	يوسف	٣٢ – ٣٤	٦٩
٧١.	{وَقَالَ ٱلْمَلِكُ ٱئْتُونِى بِهِۦٓ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِى ۖ فَلَمَّا	يوسف	٥٤	٦٩

٧٢.	{لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي	يوسف	١١١	١٤٧
٧٣.	{رَّبَّنَآ إِنِّيٓ أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي	إبراهيم	٣٧	٤٢، ٥٢
٧٤.	{رَبِّ ٱجْعَلْنِي مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ وَمِن ذُرِّيَّتِي	إبراهيم	٤٠	٥٣، ١٤٤
٧٥.	{يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِي	إبراهيم	٢٧	٦٢
٧٦.	{رَبَّنَا ٱغْفِرْ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ	إبراهيم	٤١	٥١، ٥٣، ١٤٤
٧٧.	{إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ	النحل	١٢٠ – ١٢١	٢١، ٢٣، ٢٥، ٢٦، ٣٠، ٤٣
٧٨.	{ثُمَّ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ أَنِ ٱتَّبِعْ	النحل	١٢٣	٢٥
٧٩.	{وَٱصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ وَلَا تَحْزَنْ	النحل	١٢٧	٨٠
٨٠.	{كُلًّا نُّمِدُّ هَٰٓؤُلَآءِ وَهَٰٓؤُلَآءِ مِنْ عَطَآءِ رَبِّكَ ۚ وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ	الإسراء	٢٠	٦٧
٨١.	{إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ	الإسراء	٩	٩٤
٨٢.	{إِنَّا مَكَّنَّا لَهُۥ فِي ٱلْأَرْضِ وَءَاتَيْنَٰهُ	الكهف	٨٤	٦٨
٨٣.	{قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي	الكهف	٩٥	٦٨
٨٤.	{وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم	الكهف	٢٨	٧٥
٨٥.	{وَإِذِ ٱعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا	الكهف	١٦	١١٣
٨٦.	{يَٰٓأَبَتِ لَا تَعْبُدِ ٱلشَّيْطَٰنَ ۖ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ	مريم	٤٤ – ٤٥	٢٨، ١١٠
٨٧.	{سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّيٓ ۖ إِنَّهُۥ	مريم	٤٧	٢٨، ١٠٨

٨٨.	{قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ ءَالِهَتِى يَـٰٓإِبْرَٰهِيمُ ۖ لَئِن	مريم	٤٦ – ٤٧	٣٢، ١١١
٨٩.	{وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَـٰبِ إِبْرَٰهِيمَ ۚ إِنَّهُۥ	مريم	٤١	٣٣
٩٠.	{وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَـٰبِ إِسْمَـٰعِيلَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ	مريم	٥٤	٣٣
٩١.	{وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَـٰبِ إِدْرِيسَ ۚ إِنَّهُۥ	مريم	٥٦	٣٣
٩٢.	{وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَـٰبِ إِبْرَٰهِيمَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴿٤١﴾ إِذْ قَالَ	مريم	٤١ – ٥٠	١٠٧
٩٣.	{وَفَتَنَّـٰكَ فُتُونًا	طه	٤٠	٦١
٩٤.	{ۚ كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ ۚ وَعْدًا	الأنبياء	١٠٤	٤٤
٩٥.	{وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً	الأنبياء	٣٥	٥٥، ٥٩
٩٦.	{قَالُوا۟ حَرِّقُوهُ وَٱنصُرُوٓا۟ ءَالِهَتَكُمْ إِن	الأنبياء	٦٨	٦٣، ١٢٧
٩٧.	{۞ وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ	الأنبياء	٨٣	٧٦، ٨٣
٩٨.	{۞ وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ	الأنبياء	٨٣ – ٨٤	٨٢
٩٩.	{۞ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَآ إِبْرَٰهِيمَ رُشْدَهُۥ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِۦ عَـٰلِمِينَ ﴿٥١﴾ إِذْ قَالَ	الأنبياء	٥١ –٦٣	١١٤
١٠٠.	{حُنَفَآءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِۦ	الحج	٣١	٢٥
١٠١.	{وَٱجْتَنِبُوا۟ قَوْلَ ٱلزُّورِ	الحج	٣٠ – ٣١	٢٦
١٠٢.	{وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلْعَذَابِ وَلَن يُخْلِفَ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥ ۚ وَإِنَّ	الحج	٤٧	٧٦

١٠٣.	{وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِفُرُوجِهِمۡ	المؤمنون	٩	٣٦
١٠٤.	{وَلَقَدۡ أَخَذۡنَٰهُم بِٱلۡعَذَابِ فَمَا	المؤمنون	٧٦	٧١
١٠٥.	{وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ	النور	٥٥	٦٨
١٠٦.	{وَعِبَادُ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمۡشُونَ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ	الفرقان	٦٣	٣٢
١٠٧.	{وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلۡجَٰهِلُونَ قَالُواْ سَلَٰمٗا	الفرقان	٦٣	١٠٨
١٠٨.	{رَبِّ هَبۡ لِي حُكۡمٗا وَأَلۡحِقۡنِي	الشعراء	٨٣	٦، ١٢١
١٠٩.	{وَٱجۡعَل لِّي لِسَانَ صِدۡقٖ فِي	الشعراء	٨٤	٣٤
١١٠.	{يَوۡمَ لَا يَنفَعُ مَالٞ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا	الشعراء	٨٨ – ٨٩	٣٥
١١١.	{ٱلَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهۡدِينِ ﴿٧٨﴾ وَٱلَّذِي	الشعراء	٧٨ – ٧٩	٤١
١١٢.	{وَسَيَعۡلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَيَّ مُنقَلَبٖ	الشعراء	٢٢٧	٤٥
١١٣.	{وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ إِبۡرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾ إِذۡ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوۡمِهِۦ مَا	الشعراء	٦٩ – ٨٩	١١٥، ١١٨
١١٤.	{قَالَ هَٰذَا مِن فَضۡلِ رَبِّي لِيَبۡلُوَنِيٓ	النمل	٤٠	٦٠
١١٥.	{وَلَمَّا وَرَدَ مَآءَ مَدۡيَنَ وَجَدَ عَلَيۡهِ	القصص	٢٣	٢١
١١٦.	{وَإِذَا سَمِعُواْ ٱللَّغۡوَ أَعۡرَضُواْ عَنۡهُ وَقَالُواْ لَنَآ	القصص	٥٥	١٠٨
١١٧.	{ الٓمٓ ﴿١﴾ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتۡرَكُوٓاْ أَن	العنكبوت	١– ٣	٣، ٧٩
١١٨.	{وَوَهَبۡنَا لَهُۥٓ إِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَجَعَلۡنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ	العنكبوت	٢٧	٣٧

١١٩.	{أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّا جَعَلۡنَا حَرَمًا ءَامِنًا وَيُتَخَطَّفُ	العنكبوت	٦٦	٥٢
١٢٠.	{فَأَقِمۡ وَجۡهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًاۚ فِطۡرَتَ	الروم	٣٠	٢٥
١٢١.	{وَأۡمُرۡ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَٱنۡهَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ	لقمان	١٧	٧٨
١٢٢.	{يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا	الأحزاب	٧٠ – ٧١	٢
١٢٣.	{إِنَّ ٱلۡمُسۡلِمِينَ وَٱلۡمُسۡلِمَٰتِ	الأحزاب	٣٥	٣٦
١٢٤.	{اعملوا آل داود شكرا	سبأ	١٣	٣٠
١٢٥.	{۞ أَلَمۡ أَعۡهَدۡ إِلَيۡكُمۡ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ أَن لَّا	يس	٦٠	١١٠
١٢٦.	{إِنَّمَآ أَمۡرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيۡـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ	يس	٨٢	١٢٨
١٢٧.	{إِذۡ جَآءَ رَبَّهُۥ بِقَلۡبٖ سَلِيمٍ	الصافات	٨٤	٣٤
١٢٨.	{رَبِّ هَبۡ لِي مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠٠﴾ فَبَشَّرۡنَٰهُ	الصافات	١٠٠ – ١٠١	٤٧، ١٤٤
١٢٩.	{إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلۡبَلَٰٓؤُاْ	الصافات	١٠٦	٥٥
١٣٠.	{وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيَهۡدِينِ ﴿٩٩﴾ رَبِّ هَبۡ لِي	الصافات	٩٩ – ١٠٧	١٢٨
١٣١.	{وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي	الصافات	٩٩	١٥٠
١٣٢.	{إِنَّا وَجَدۡنَٰهُ صَابِرٗاۚ نِّعۡمَ ٱلۡعَبۡدُۖ إِنَّهُۥٓ	ص	٤٤	٨٢
١٣٣.	{وَٱذۡكُرۡ عَبۡدَنَآ أَيُّوبَ إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ	ص	٤١ – ٤٤	٨٣
١٣٤.	{ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحۡسَنَ ٱلۡحَدِيثِ	الزمر	٢٣	٩٤
١٣٥.	{وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ	غافر	٦٠	٤٧

١٣٦.	{وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ	فصلت	٣٣	١٥١
١٣٧.	{وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّنِى	الزخرف	٢٦	٢٨
١٣٨.	{إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم	الزخرف	٢٣	١١٠
١٣٩.	{وَءَاتَيْنَٰهُم مِّنَ ٱلْأَيَٰتِ مَا فِيهِ	الدخان	٣٣	٦٠
١٤٠.	{وَإِن لَّمْ تُؤْمِنُواْ لِى فَٱعْتَزِلُونِ	الدخان	٢١	١١٣
١٤١.	{وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ ٱلْمُجَٰهِدِينَ مِنكُمْ	محمد	٣١	٥٦، ٨١، ٨٦
١٤٢.	{إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ	الحجرات	١٠	١٤٣
١٤٣.	{هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ	الذاريات	٢٤	١٨
١٤٤.	{هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْمُكْرَمِينَ ﴿٢٤﴾ إِذْ	الذاريات	٢٤ – ٢٨	٣٨
١٤٥.	{وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا	الذاريات	٥٦	٦٣
١٤٦.	{وَإِبْرَٰهِيمَ ٱلَّذِى وَفَّىٰٓ	النجم	٣٧	٣٦
١٤٧.	{وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَٰهِيمَ وَجَعَلْنَا فِى ذُرِّيَّتِهِمَا	الحديد	٢٦	٣٧
١٤٨.	{وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ	الحشر	١٠	٣٥
١٤٩.	{قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِىٓ	الممتحنة	٤	٤، ٢٨
١٥٠.	{يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ	التحريم	٦	١٥١
١٥١.	{لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً	الملك	٢	٨١

١٥٢.	{وَدُّواْ لَوۡ تُدۡهِنُ فَيُدۡهِنُونَ	القلم	٩	٣٣
١٥٣.	{وَٱلَّذِينَ هُمۡ عَلَىٰ صَلَاتِهِمۡ	المعارج	٣٤	٣٦
١٥٤.	{وَٱهۡجُرۡهُمۡ هَجۡرٗا جَمِيلٗا	المزمل	١٠	١١٤
١٥٥.	{ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ ۝١ قُمۡ فَأَنذِرۡ ۝٢ وَرَبَّكَ	المدثر	١-٧	٧٨
١٥٦.	{إِنَّا نَحۡنُ نَزَّلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡقُرۡءَانَ	الإنسان	٢٣	٧٨
١٥٧.	{فَٱصۡبِرۡ لِحُكۡمِ رَبِّكَ وَلَا تُطِعۡ	الإنسان	٢٤	٧٨
١٥٨.	{وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ	البينة	٥	٢٥
١٥٩.	{وَٱمۡرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلۡحَطَبِ ۝٤ فِي جِيدِهَا	المسد	٤-٥	٨٧

فهرس الأحاديث النبوية

الرقم	طرف الحديث	الراوي والتخريج	الصفحة
١.	" يلقى إبراهيم أباه آزر يوم القيامة، وعلى وجه آزر	البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه	١٧
٢.	(إن الله اتخذني خليلا كما اتخذ إبراهيم	الحاكم عن جندب رضي الله عنه	١٨
٣.	«بعثت بالحنيفية السمحة	أحمد عن أبي أمامة رضي الله عنه	٢٧
٤.	«قيل: يا رسول الله! أي الأديان أحب إلى الله	أحمد والبخاري في المفرد وابن المنذر عن ابن عباس رضي الله عنه	٢٧
٥.	(أصبحنا على فطرة الإسلام وكلمة الإخلاص، وسنة	أحمد في المسند	٢٧
٦.	«وجهت وجهي للذي فطر السماوات والأرض حنيفا، وما أنا	مسلم عن أبي بن كعب رضي الله عنه	٢٨
٧.	"أولا أكون عبداً شكوراً	مسند أحمد	٣٠
٨.	(من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه)	متفق عليه عن أبي هريرة رضي الله عنه	٣٨
٩.	(ثم جاء بها إبراهيم وبابنها إسماعيل وهي ترضعه حتى	البخاري عن ابن عباس رضي الله عنه	٤٢
١٠.	إنكم تحشرون حفاة عراء غرلاً،	البخاري عن ابن عباس رضي الله عنه	٤٤
١١.	جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يا خير البرية	مسلم عن أنس بن مالك رضي الله عنه	٤٦
١٢.	"عُرض عليَّ الأنبياء فإذا موسى ضرْب من الرجال	مسلم عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه	٤٦
١٣.	"إنه من لم يسأل الله يغضب عليه	رواه الترمذي وحسنه الألباني	٤٧
١٤.	إن الدعاء هو العبادة	أحمد عن النعمان بن بشير رضي الله عنه	٤٧

١٥.	أنا دعوة أبي إبراهيم وبشرى أخي عيسى	أحمد في مسنده	٥٠
١٦.	(اللهم إني أعوذ بك من العجز والكسل والجبن والبخل والهرم وأعوذ	البخاري في صحيحه	٦٣
١٧.	(اللهم إني أعوذ بك من الجبن وأعوذ بك أن أرد إلى أرذل	البخاري عن سعيد بن أبي وقاص رضي الله عنه	٦٣
١٨.	شكونا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهو متوسد برْدةً له في ظل	البخاري عن خباب بن الأرت رضي الله عنه	٦٥
١٩.	(يا حي يا قيوم برحمتك أستغيث أصلح لي شأني	الحاكم في المستدرك والترمذي في السنن	٧٠
٢٠.	أن ناساً من الأنصار سألوا رسول الله فأعطاهم ثم سألوه فأعطاهُم ثم	متفق عليه عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه	٧٧
٢١.	أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يصلي عند البيت وأبو جهل وأصحابه له جلوس	البخاري عن ابن مسعود رضي الله عنه	٨٦
٢٢.	(ألا وإني أوتيت الكتاب ومثله معه	أبي داود عن المقداد بن معد يكرب رضي الله عنه	٩٣
٢٣.	(فإنه من يعش منكم بعدي فسيرى اختلافاً كثيراً فعليكم	الترمذي عن العرباض بن سارية رضي الله عنه	٩٤
٢٤.	(مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم	مسلم عن النعمان بن بشير رضي الله عنه	٩٨
٢٥.	(من لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم، ومن لم	الطبراني في الأوسط عن حذيفة رضي الله عنه	٩٦
٢٦.	(عجباً لأمر المؤمن إن أمره كله خير وليس ذاك لأحد إلا	مسلم عن صهيب رضي الله عنه	٩٦
٢٧.	(ما يصيب المسلم من نصب ولا وصب	مسلم عن أبي سعيد وأبي هريرة رضي الله عنهما	٩٦
٢٨.	يا رسول الله إنك توعك وعكاً شديداً؟	البخاري عن الحارث بن سويد رضي الله عنه	٩٩
٢٩.	يا رسول الله من أشد الناس بلاءً؟ قال:	صحيح ابن حبان عن مصعب بن سعد عن أبيه	٩٩

٣٠.	قلت يا رسول الله علمني شيئاً اسأله الله عز وجل، قال:	الترمذي عن العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه	١٠٢
٣١.	((عِظم الجزاء مع عظم البلاء وإن الله إذا أحب قوماً	ابن ماجه عن أنس بن مالك رضي الله عنه	١٠٥
٣٢.	حسبنا الله ونعم الوكيل قالها إبراهيم حيث ألقي في النار، وقالها	البخاري عن ابن عباس رضي الله عنه موقوفاً	١٢٦
٣٣.	((إن جبريل ذهب بإبراهيم إلى جمرة العقبة فعرض له	أحمد في المسند عن ابن عباس رضي الله عنه	١٣٣
٣٤.	(من شيعة نوح إبراهيم على منهاجه وسنته بلغ معه السعي شب حتى	الحاكم في مستدركه عن ابن عباس رضي الله عنه موقوفاً	١٣٦
٣٥.	قال لما أمر إبراهيم عليه الصلاة السلام بالمناسك عرض له الشيطان	أحمد عن ابن عباس رضي الله عنه موقوفاً	١٣٦
٣٦.	(لم يكذب إبراهيم عليه السلام إلا ثلاث كذبات	البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه	١٣٩
٣٧.	أُتي النبي صلى الله عليه وسلم يوماً بلحم فقال: إن الله يجمع	البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه	١٤٢
٣٨.	(حسن الظن من حسن العبادة	أحمد عن أبي هريرة رضي الله عنه	١٤٤
٣٩.	(وكان النبي صلى الله عليه وسلم إذا حزبه أمر صلى)	أحمد عن حذيفة رضي الله عنه	١٤٨
٤٠.	"من رأى منكم منكراً فليغيره بيده فإن لم يستطع	مسلم عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه	١٥٢

فهرس الموضوعات

الرقم	الموضوع	الصفحة
١.	آية	أ
٢.	استهلال	ب
٣.	إهداء	ج
٤.	شكر وعرفان	د – هـ
٥.	مستخلص البحث	و
٦.	Abstract	ز – ح
٧.	**الفصل الأول: أساسيات خطة البحث وفيه أربعة مباحث.**	**١ – ١٤**
٨.	المبحث الأول: المقدمة وأهمية الموضوع وأسباب اختياره.	٢
٩.	المبحث الثاني: مشكلة البحث وأهدافه وأسئلته فروضه.	٥
١٠.	المبحث الثالث: منهج البحث وحدوده ووسائله وأدواته ومصطلحاته والدراسات السابقة ومساهمته في الفكر الإنساني وهيكله.	٧
١١.	**الفصل الثاني: حياة الخليل إبراهيم عليه السلام ووفاته وفضائله وصفاته ودعائه.**	**١٥ – ٥٣**
١٢.	المبحث الأول: حياة الخليل إبراهيم عليه السلام ووفاته.	١٦
١٣.	المبحث الثاني: فضائل إبراهيم عليه السلام وصفاته.	٢١
١٤.	المبحث الثالث: دعاء إبراهيم عليه السلام.	٤٧
١٥.	**الفصل الثالث: الابتلاء من سنن الدعوات.**	**٥٤ – ١٠٤**
١٦.	المبحث الأول: مفهوم الابتلاء والحكمة منه.	٥٥
١٧.	المبحث الثاني: صبر الدعاة على الابتلاء.	٧٥
١٨.	المبحث الثالث: فوائد الابتلاء.	٩٨
١٩.	**الفصل الرابع: الفوائد الدعوية من ابتلائه مع أبيه وملك مصر وولده والدروس المستفادة من سيرته.**	**١٠٥ – ١٥١**
٢٠.	المبحث الأول: ابتلاء إبراهيم الخليل بأبيه وقومه.	١٠٦

٢١.	المبحث الثاني: ابتلاء ابراهيم الخليل مع ملك مصر.	١٢٩
٢٢.	المبحث الثالث: ابتلاؤه بذبح ولده.	١٣٣
٢٣.	**الخاتمة؛ وتشمل:**	**١٥٢ – ١٥٥**
٢٤.	النتائج.	١٥٢
٢٥.	التوصيات.	١٥٤
٢٦.	**الفهـــارس**	**١٥٦ – ١٨١**
٢٧.	فهرس المصادر والمراجع.	١٥٦
٢٨.	فهرس الآيات القرآنية.	١٦٦
٢٩.	فهرس الأحاديث النبوية.	١٧٧
٣٠.	فهرس الموضوعات.	١٨٠